

جامعة الكوفة – كلية الآداب

قسم اللغة العربية

هجـائيّاتُ الجـواهريّ

-دراسة في الموضوع والفن-

رسالة قدمها الى

مجلس كلية الآداب في جامعة الكوفة

عادل ناجح عباس البصيصي

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

بإشراف

أ.د. علي كاظم أسد

ربيع الثاني – 1432هـ نيسان – 2011م

أشهد أنّ إعداد هذه الرسالة قد جرى بإشرافي ، بمراحلها كافة وأرشحها للمناقشة.

الإمضاء :

الاسم : أ.د. علي كاظم أسد

التاريخ : / /

بناءً على ترشيح المشرف العلمي وتقرير الخبير العلمي أرشّح الرسالة للمناقشة.

الإمضاء:

الاسم : أ.م.د. رحيم خريبط الساعدي

التاريخ : / /

إقرار لجنة المناقشة

استناداً الى محضر مجلس الكلية في جلسته......المنعقدة بتأريخ............. بشأن تشكيل لجنة لمناقشة الرسالة الموسومة بـ (**هجائيات الجواهري – دراسة في الموضوع والفن**) للطالب (**عادل ناجح البصيصي**) نقرّ نحن رئيس لجنة المناقشة واعضاءها بأننا اطلعنا على الرسالة وناقشنا الطالب في محتوياتها وفيما له علاقة بها بتاريخ............فوجدناها جديرة بالقبول لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها وبتقدير ( ) .

الإمضاء :

الاسم : أ.د. صباح عنوز

جامعة الكوفة – كلية الفقه

رئيساً

التاريخ : / /

الإمضاء :

الاسم : أ.د. رحمان غركان

جامعة القادسية – كلية التربية

عضواً

التاريخ : / /

الإمضاء :

الإمضاء :

الاسم : أ.م.د. رحيم خريبط　　　　　　الاسم : أ.د. علي كاظم أسد

جامعة الكوفة – كلية الآداب　　　　　　جامعة الكوفة – كلية الآداب

عضوا　　　　　　عضواً ومشرفاً

التاريخ :　/　/　　　　　　التاريخ :　/　/

صادق مجلس كلية الآداب-جامعة الكوفة بإقرار لجنة المناقشة

الإمضاء :

عميد الكلية وكالة

التاريخ : أ.د. حسن عيسى الحكيم

التاريخ :　/　/

الإهداء

إلى

أبي الذي فارقني

قبلَ أن يؤثثَ قلبي مطمئناَ

إلى

أمي التي ما يزال

دعاؤها يقترح بقائي

شكر وعرفان

أتقدم بالشكر الجزيل لكل من أفادني بهذه الدراسة ولاسيما الأستاذ الدكتور علي كاظم أسد الذي وضع عنوانها ، واختار منهج بحثها ، فشكراً لمكنون عمله ، ولكرم أخلاقه ، وصبره عليّ مدة البحث ، وبالشكر أتقدم أيضاً إلى من ذهب على عجلٍ فلم يمهله المرض إلا لُماماً وإن أفدتُ منه على هذا اللُّمام كثيراً ، الأستاذ الدكتور محمد حسين الأعرجي (رحمه الله) ، الذي لم يألُ جهداً في إن زودني بما أريد ولاسيما الأسرار التي عرفها عن شاعر العرب الأكبر ومن خاصمهم ، فقد لازمه (رحمهما الله) بما يقرب وربما يزيد على ربع قرن ، وإني لأشكر أيضاً أساتذتي الذين لم يبخلوا بما عندهم من علمٍ ليس عليَّ بل علينا شاكراً كلَّ الشعراء أصدقائي وأشكر غيرهم ممن حسُنَ ظنهُ بي فكلٌ ساعد في إنجاز هذه الدراسة .

الباحث

المحتويات

المقدمة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله الذي علا بحوله ، ودنا بطوله ، مانحِ كلِّ غنيمة وفضل ، وكاشف كل عظيمة وأزل ، أَحمُدُه على عواطف كرمه وسوابغ نعمه ، وأُومِن به أوّلاً باديا ، واستهديه قريباً هاديا ، وأستعينه قاهراً قادراً ، وأتوكلُ عليه كافياً ناصراً ، والصلاة والسلام على محمد عبده ورسوله ، أرسله لإنفاد أمره وإنهاء عُذره وتقديم نُذره .

والسلام على آل محمد مفاتيح الخير وأبواب البركة وعلى أصحابه الذي مازوا منهجه ، فساروا مؤمنين .

وبعد ...

فقد ذاعت شهرة الجواهري الشاعر ذيوعاً كبيراً وشغل فنه الشعري النقاد والباحثين والدارسين ، وارتبطت به الجماهير ؛ لأنّه عبّر عن آلامها وآمالها ، ما ناهز السبعين عاماً ، وما زال شعره محط أنظار الدرس الأكاديمي ، وإن كان هذا الدرس لا يرقى رقيَّ مكانة الشاعر بالإضافة إلى ما ناله شاعر معاصر آخر مثل البياتي ، الذي وصل عديد الرسائل والأبحاث إلى أكثر من المئات في جامعات عربية وغربية ، فضلا عن الجامعات العراقية ، وربما نال أكثر مما ينبغي ، على حين لم ينل شاعر العرب الأكبر أقل القليل مما ناله معاصره المذكور آنفاً ؛ لذلك كان اختياري لهذه الدراسة ، ومن مسوغات هذا الاختيار :

1- إن لم يحظَ هجاء الجواهري بدراسة مفصّلة في موضوعه وفنّه ، إلا ما ذكر لماماً في بعض الأبحاث والمقالات التي لم تقف إزاءها موقف التفصيل .

2- إن هجاء الشاعر يعد وثيقة مهمة لارتباطه بالأحداث السياسية والاجتماعية التي ألمتْ بالعراق والمنطقة .

3- إن الهجاء غرض مهم ، حضر بقوة في شعر الشاعر كماً ونوعاً ، وأحسب أنّه مثّل رؤية الشاعر عمّا اعتمل في نفسه من انفعالات ، فضلا عما كان يجري من حوله .

4- إنّه محاولة لإضافة بعض الجهد العلمي للمكتبة العراقية والعربية المهتمة بالشأن الشعري .

5- حبي للشعر عامة ولشعر الجواهري خاصة ، فضلا عن صلتي بهذا الفن الجميل كتابة وتذوقاً .

ولقد اتخذتُ من ديوان الجواهري الذي طبعته وزارة الإعلام العراقية في عام 1973م بأجزائه السبعة مصدراً في متابعة الهجاء ، مقارناً هذه النسخة بديوان الجواهري طبعة دار العودة في بيروت عام 1983م ، واتخذت أيضاً من ديوان الجواهري طبعة بيسان في بيروت في عام 2000م مصدراً آخر ؛ كونه أورد قصائد لم تُنشر في الديوانين السابقين ، وأفدتُ ايضاً من كتاب (الجواهري دراسة ووثائق) للأستاذ الدكتور محمد حسين الأعرجي (رحمه الله) لنشره قصائد نادرة لم تُنشر .

وحضرت بين يديَّ وفرة من المصادر قد تنوعت من رسائل جامعية جادة ، ومن كتب طافت بالشاعر وفنّه وتفاصيل مواقفه ، ومن أبحاث علمية لها مكانتها في هذا البحث ، وقبل هذا في إلقاء ضوء على أشتاتٍ كثيرة من حياة هذا الشاعر الطويلة ، هذه الحياة التي ارتبطت بقضايا فنّه وخلجات إبداعه ، ومن مقالات هنا وهناك حاولتُ أن ألمَّ شتاتها تناثرت في مجلات قديمة ودوريات لم تعد بين يدي التناول ، هداني إليها من هداني ، ممن لهم صلة بهذا الشاعر وفنّه ، كالدكتور الأعرجي (رحمه الله) والمشرف على الرسالة ، وأساتذة وأدباء آخرون ، فمن هذه الرسائل رسالة الأستاذ الدكتور علي عباس علوان (تطور الشعر العربي الحديث في العراق) الأثيرة لدى دارسي الأدب العراقي عامة ، وأدب الجواهري خاصة ، فقد وقف أزاء فن الرجل طويلاً مدققاً في كثير من تقنياته التي عُرِفَ بها ، فاستوى بها فنّه هجاءً وأغراضاً أخرى ، وتعدُّ هذه الرسالة من الأعمال الأكاديمية الجادة في منهجها ورؤيتها النقدية ، التي كانت في عقد السبعينات من القرن الماضي ، جلاءً لصورة النقد الذي لم يرتبط بعد في الدرس النقدي الغربي ، ولا أريد أن أقف طويلاً أزاء هذه الدراسة المتميزة إلا ما يتعلّق بإفادتي منها ، إذ هدتني إلى أطواء كثيرة في فن هذا الشاعر الكبير ، ومن الرسائل المهمة أيضاً رسالة الدكتور عدنان حسين العوادي (لغة الشعر الحديث في العراق) ، التي وقف في فصلٍ منها على بوادر التجديد في فن الجواهري الشعري ، وقدرته على التصرف بالمفردة وانسجامها مع روح العصر ، وأفدت من رسائل أخرى ذُكرت في الدراسة بما يتعلق بشعر الشاعر وتقنياته الفنية ، ومنها لغة الشعر عند الجواهري للأستاذ الدكتور علي ناصر غالب ، وأزمة المواطنة في شعر الجواهري للباحث فرحان اليحيى ، وغيرها ، أما الكتب التي ألقت بأضوائها في الدراسة فيقف في مقدمتها كتاب (الجواهري دراسة ووثائق) للأستاذ الدكتور محمد حسين الأعرجي ؛ لما ورد فيه من تفاصيل فنية دقيقة ورؤية واقعية وأحداث فريدة ، وأفدت أيضا من كتاب الشاعر نفسه (ذكرياتي) ؛ لأنه خير من تحدث عن نفسه ، وبما يتعلق بالأبحاث العلمية ، أفدت فائدة جلية من بحث الأستاذ الدكتور علي كاظم أسد (مقصورة الجواهري – قراءة في آفاق البناء) ؛ لتماسه مع موضوع الدراسة ، فضلا عن سبره أغوار المقصورة فناً ودوافعاً وبناءاً ، وقد أغنتني المقابلات العلمية الخاصة حول الشاعر وفنّه ، ومنها المقابلات التي أجريتها مع الدكتور الأعرجي ، والأستاذ المشرف على الدراسة ، فضلاً عن مراجع ومصادر تفاوتت في إغناء البحث ، وهذا كلّه صبَّ في إنجازه .

وقد قامت هذه الدراسة الموسومة (هجائيات الجواهري – دراسة في الموضوع والفن) على تمهيد وثلاثة فصول ، ففي التمهيد عرضت إلى غرض الهجاء ونشأته في الأدب العربي ، وأهم خصائصه الفنية والمعايير التي استندت إليها في عصوره المختلفة وصولاً إلى عصر ما قبل الجواهري بإيجازٍ ؛ ذلك لأنني لم أجد بعد دراستي لفن الشاعر أنّه ينتمي إلى غرض الهجاء القديم تماماً ، ولولا أنّيَ في درس أكاديمي لما أدرجت شيئاً من عرض لذلك الفن ، إذ لم أرد أن استبق البحث بحكم حاضر وهذا من طبيعة البحث الأكاديمي الذي تعلمته فإني أدخل إلى الموضوع بذهن فارغ من رأي سابق ، إلا أن ألج بنفسي فيه .

وقام الفصل الأول الموسوم (تصنيف الهجائيات) لينفذ الإحصاء العام للهجاء وبعد تمامه من الإحصاء قمتُ بتصنيفه بحسب اتجاهاته ، فانتظم في الهجاء السياسي والهجاء الخاص والهجاء الاجتماعي وهجاء رجال الدين وهجاء متعدد الاتجاهات .

ثم صنفت ما توصلت إليه بحسب الأنماط فكان على نمطين ، النمط الجاد والنمط الساخر ، الذي ضمّ السخرية والتهكم والازدراء والاحتقار ، وقد جمعتها معا في هذا النمط لأنني وجدت بين هذه المعاني صلة وثيقة تعريفاً وبحثاً في غرض الهجاء ، وذكرت أمثلة هجائية في الاتجاهات وفي الأنماط مبيناً أوزانها ومناسباتها وسنيّ نظمها .

وفي الفصل الثاني الموسوم (دوافع الهجائيات) ابتدأت بمدخل عرضت فيه نظرة بعض المصادر العربية القديمة بشأن الدوافع وأثرها في بناء النص الشعري ، وأيضاً ما ورد في بعض المؤلفات الحديثة عن الدوافع وما يترتب عليها شعريا ، ثم نظرت في تفاصيل التكوين النفسي للجواهري في أسرته وبيئته ، ثم وقفتُ أزاء بعض ما أوردته من أمثلة هجاء له تنوعت اتجاهاتها وأنماطها محللا ، علّيَ واجدٌ للدوافع الموضوعية أو الذاتية آثارها التي دفعت الشاعر وهو ينجز نصوصه الهجائية ، وبنهاية هذا الفصل تنتهي الدراسة في الموضوع .

إما الفصل الثالث الموسوم (دراسة في التفاصيل الفنية) فقد قسمته على أربعة مباحث هي المبحث الأول وتناولت فيه المعايير التي استند إليها الشاعر وأثرها الفني في بناء هجائياته وكيف تعامل مع المعايير التراثية للهجاء وكيف أفاد مما حوله في إنضاج معايير معاصرة .

والمبحث الثاني خصصته للألفاظ مبيناً توظيف الشاعر لها في الهجائيات من جانبين الأول أفادته من مصادر لغته وتصرفه ، ليجد للفظة سياقا لما يريده منها ، و الجانب الثاني ما تركه الشاعر من ألفاظ هجائية على معانيها المعجمية ، وما زحزحه عن معجميتها مستثمراً طاقاتها في بناء هجائه .

وفي المبحث الثالث ، تناولت التراكيب وأهم ما تميزت به ، وطريقة استعمال الشاعر لها في النص الهجائي ، وفي المبحث الرابع تابعت صورة المهجو عند الشاعر ، متناولاً مصادرها ومعرّفا بأنواعها ، وقد ذكرت أمثلة هجائية في كل مبحث من المباحث الأربعة بما ينسجم مع كل مبحث .

وقد ختمت الفصول الثلاثة بخاتمة ربما لم أُحسن أن أنجزها بما تكون صورة الخاتمة ، إلا أن تكون بين الاستخلاص وإحصاء النتائج ، وربما يَحسُنُ بي أن أُجمل ما وجدته بعد كل مبحث لتكون أشبه بالخاتمة .

الباحث
عادل ناجح عباس البصيصي
النجف الأشرف
في نيسان 2011

التمهيد

(1)

الهجاء غرض شعري نشأ مع نشأة الشعر العربي [1] ، وهو الوقيعة في الأنساب وغيرها ، ورَميُ الإنسان بالمعايب [2] ، و الشتم بالشعر ، وهو خلاف المدح [3] .

ويقوم الهجاء على التعبير عن عاطفة الغضب والاستهزاء وسلب قيم الفضيلة من المهجو وهو (مثل المديح في تصويره لقيم المجتمع ، فسلب المهجو منها ، وسلخه من الشخصية التي يعتز بها أيُّ فرد في المجتمع) [4] ، ويعتقد ابن رشيق أن (أجود ما في الهجاء أنْ يُسلبَ الإنسانُ الفضائل النفسية وما تركّب بعضها مع بعض ، فأما ما كان في الخلقة الجسمية من المعايب فالهجاء به دون ما تقدم) [5] .

ويبدو أن الهجاء ارتبط بالسحر في العقل العربي القديم ؛ لما كان يثيره من الرهبة في قلوب متلقيه من خلال قوته التي كان الجن سببا لها – بحسب ما يعتقدون - ولذلك ترتبط أصول الهجاء العربي (بفكرة قديمة تزعم أن بعض الإفراد الذين لهم نفوذ خاص إذا تلفظوا بكلمات كان لها من القداسة والسلطان ما يجعل لها تأثيرا دائما .... والشاعر في أصل الهجاء يطلعُ على الناس بقوة شعره التي يوحيها الجن إليه) [6] .

وقد يترصد الهجّاء الأخطاء فهو (ناقدٌ بطبعه ، عَيّابٌ تسترعيه حماقاتُ الناس وأخطاؤهم بأكثر ما تسترعيه فضائلهم ، فهو لا يحس مثله الأعلى بطريق مباشر ولا يفطن إليه إلا عن طريق ما يعارضه ويثيره) [7] لذلك هابته القبائل والأفراد .

وقد لوحِظَ أنّ بعض الهجّاءين الذين تمرسوا بفن الهجاء وأتقنوه ، كانوا يعيشون حياة مضطربة بائسة ، أو أنهم مصابون بمرض اجتماعي أو نفسي ، أو مرض جسدي ، وهم (قد قاسوا من الحياة ما بغضّها إليهم وحقّرها في نظرهم وجعلهم يتطيرون بكل شيء فيها ويحقدون على كل صاحب نعمة يعيش بسعادة وهناء) [8] .

(2)

هذا من ناحية الشاعر أما من ناحية الشعر ، فيعد الهجاء من أقدم أغراض الشعر [9] ، وقد قسّمه النقاد على ثلاثة أقسام ، هجاء شخصي ، ويعتمد على مهاجمة الأفراد بالسباب ، ويتأثر بالأهواء الشخصية ، وهجاء أخلاقي ، موضوعه الجرائم الأخلاقية والمفاسد الاجتماعية والعادات القبيحة والعيوب الإنسانية ، وهجاء سياسي ، وفيه يرى الهجّاءُ أن انتماءه هو المثل الأعلى ؛ ولذلك يهاجم كل ما يتعارض مع هذا المثل من نقائض ومعايب ، ويلتحق به الهجاء الديني والهجاء القبلي [10] .

واعتمد فن الهجاء قديما على تقرير الواقع أي مثالب الشخصية ،كشأن المديح والرثاء ، ولم يرقَ إلى المستوى الذي بلغه الهجاء في العصور التالية من الاعتماد على الابتكار والخلق ، فمجال المنافرات والمساجلات بين الأفراد والقبائل ، هذا المجال الذي لا يرتفع عن الارتجال وتطويق

([1]) ظ : فن الهجاء وتطوره عند العرب :83 وما بعدها .
([2]) ظ : شرح ديوان الحماسة لأبي تمام : 2 : 849 .
([3]) لسان العرب : مادة : هجا .
([4]) الأمالي في الأدب الإسلامي : 199 .
([5]) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده :2 / 166 .
([6]) الهجاء والهجاءون في الجاهلية : 52 .
([7]) م.ن : 32 .
([8]) فن الهجاء وتطوره عند العرب : 22 .
([9]) ظ : الهجاء الجاهلي صوره وأساليبه الفنية : 129 وما بعدها .
([10]) ظ : الهجاء والهجاءون في الجاهلية : 32 وما بعدها .

المهجو ببعض المثالب ، فهو كما وصفه عقيل بن علّفة حين سُئِلَ : ((ما لكَ لا تطيل الهجاء ؟ فقال : يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق)) [11] ، فهو لا يختلف عن فنون الشعر الأخرى التي نضجت ولملمت أدواتها الفنية .

وأبرز الخصائص الفنية للهجاء الجاهلي هي أن المعاني الهجائية الجاهلية لم تعرف الاستقلال عن غيرها من معاني القصيدة الأخرى ، بمعنى أنها جاءت ضمن نسيج القصيدة من دون أن تشغل حيزا بمفردها ، واتصف الهجاء الجاهلي بأنه فن التزامي ، كالفخر مثلا أو غيره من الفنون الشعرية وقد ابتعد عن الألفاظ والشتائم المقذعة في أكثره ، واعتمد على الحال النفسية للشاعر أزاء مهجوه ، ومن خصائصه أيضا أنه جاء على هيأة نقائض بين الشعراء ، مثلما حدث مع امرئ القيس وعبيد بن الأبرص بعد قتل والد الأول ، وقد انعدم في الهجاء الجاهلي شعور شعرائه بعاهاتهم أو بالنقص الذي تمكن من بعضهم [12] ، فالحطيأة وإن كان (سؤولا ملحفاً دنيء النفس كثير الشر قليل الخير قبيح المنظر رثّ الهيئة) [13] لم يركن إلى نفسه ، ولم ينطوِ عليها ، ولم يجعل العاهة تحول بينه وبين متطلبات حياته العامة ، فعاش مثلما يريد (فهو من أولئك الناس الذين أحسوا ببشاعة خلقهم فلم ينطووا على نفوسهم ولم ينزوِ عن العالم بل حاول أن يتغلب على هذه العلة ليبدو أمام الناس غير مبال ببشاعة وجهه وقبح شكله) [14] .

في بداية العصر الإسلامي ، ومع ظهور الإسلام قوة اجتماعية كبيرة مؤثرة أحدثت ثورة غيّرت كثيرا من المفاهيم القبلية السائدة ، وبحضور البعد البلاغي والعقائدي للقرآن الكريم في المجتمع العربي ، طرأت على أغراض الشعر الجاهلي ، ومنها الهجاء تغييرات جديدة فرضها الواقع الإسلامي الجديد ، و (لعل هذا الغرض أول الأغراض التقليدية التي طرأت عليها التغييرات منذ أن استخدم الشعر وسيلة من وسائل الدفاع عن الدين الإسلامي) [15] ، فالهجاء برز كأداة من أدوات الصراع بين المسلمين والمشركين ، الذين وظّفوا شعرائهم وشنّوا حربا على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأتباعه ودعوته الجديدة ، فأمر النبي شعراء المسلمين بالرد على شعراء المشركين ، فانبرى عدد من الشعراء لهذه المهمة الدفاعية مستندين على فن الهجاء في الرد على المشركين ، وقد جاءت صورة هذا الهجاء متفاوتة في المضامين أو الألفاظ أو طرق التعبير بحسب إيمان الشاعر المسلم فمنه ممن نقض على المشركين ما افتروه على الرسول والدعوة ، ومنهم من ابتدع معاني جديدة لم يألفها الشعر العربي ولا الأسس القبلية السائدة مثل معاني الكفر والضلال وقصور التفكير . منذريهم بمأواهم وهو النار والعقاب الذي ينتظر كل من يحارب الدعوة الإسلامية ، وقد ورد من هذا الهجاء ما كان جاهليا بكل أبعاده ، وقد مثلت هذا الاتجاه بعض قصائد حسان بن ثابت التي هجا بها شعراء قريش متبادلا مع شعرائها النقائض والمهاجاة ، وقد هجا الوليد بن المغيرة هجاءً معتمدا على أسس قبلية مثلما كان سائدا في الجاهلية [16]، إلا أن هذه الصورة لم تكن الوحيدة للهجاء وفي عصر صدر الإسلام وما بعده ، فمن الشعراء الذين عاشوا في العصرين الجاهلي والإسلامي بقيَ على نهج حياته الجاهلية وظلّ هجاؤه قائما على الأسس الجاهلية التي نشأ عليها حتى وإن أظهر إسلامه ، والحطيأة أحد هؤلاء فهو

([11]) الشعر والشعراء : 183 .

([12]) ظ : فن الهجاء وتطوره عند العرب :22 وما بعدها .

([13]) ديوان الحطيأة ، ط1 ، 1995 : 9 .

([14]) الأمالي في الأدب الإسلامي :96 .

([15]) م.ن :199 .

([16]) ظ : الأمالي في الأدب الإسلامي :199 وما بعدها

(شاعر بدوي استمر على نهج حياته التي كان يعيشها قبل الإسلام وسايرت أشعاره حياته ولم يكن من شعراء الدعوة أو الشعراء الذين هزّتهم أحداث العصر) [17] .

(3)

تبدو صورة الهجاء في العصر الأموي مختلفة عن نظيرتها في عصر صدر الإسلام ، مع عودة أدوات الهجاء ودوافعه في هذا العصر (وقد أعان التشجيع من جانب الخلفاء والزعماء والطمع من جانب الشعراء على استفحال الهجاء السياسي ، فاستطار شرُّهُ بين الناس حتى أصبحوا يجتمعون لذلك فينشدون أهاجيهم ولا يفترقون إلا بعد قتال) [18] ، فضلا عن المزاج الأموي الحاكم الذي استحوذ على السلطة ونقلها من موطنها في الحجاز إلى الشام ، وشجع النعرة القبلية – التي حاربها الإسلام – للظهور على مسرح الحياة العربية مرة أخرى ، فعاد الشعر جاهليا بكل أبعاده (ومن المؤكد أن هذا الانتقال إلى الشام لم يكن تجنبا للنقاش النظري فحسب في شكل الحكم ، ولكنه كان فوق كل ذلك تعبيرا عن سلوك خلقي خاص ، في إثارة العصبيات وفي مظاهر الترف فيه) [19] ، فتطور الهجاء الشخصي والسياسي تطورا ملحوظا خاصة مع بروز المعارضة السياسية للحكم الأموي ، ومن مختلف الاتجاهات الفكرية والعقائدية .

وقد حفل العصر الأموي بظهور النقائض ، التي كان الفرزدق وجرير والأخطل محورها الرئيس ، والنقائض أشهر ما عُرِفَ في الأدب العربي في فن الهجاء ، وأطوله و (النقائض قامت أساسا على الهجاء ، ولكنها اختلفت عن قصائد الهجاء الخالصة في كونها تستلزم وجود شاعر آخر يردُّ على الشاعر الهاجي بقصيدة تقوم على الوزن والبحر والقافية التي قال فيها الشاعر الأول) [20] ، وبهذا يكون الشاعر في النقائض بين همين الأول أن يكلّف نفسه العناء في أن يجيب خصمه الشاعر بنفس البحر والروي ، والهم الثاني أن يبدع ويتفوق في فنه ، لذلك (نحن لا نستطيع أن نزعم أن الفن الهجائي في هذه النقائض ممتاز يبلغ حدَّ الرفعة) [21] .

أما من الناحية الفنية فقد تميز فن الهجاء في العصر الأموي (بسهولة الألفاظ وخفة الأوزان التي تعين على ذيوعه وانتشاره ، ومن هنا كانت خطورته وشدة خوف الناس منه) [22] .

وإذا كان التهاجي والتفاخر في الأصل العربي دون غيره سمة من سمات الهجاء في العصر الأموي ، فإن هذه الحركة شغلت شعراء العصر العباسي أيضا ، وقد أثرت تأثيرا عميقا في تطور الشعر ، فضلا عن أن التنازع العقلي والديني والفلسفي كان الدافع الأول لما حفلت به قصائد الشعراء في العصر العباسي من المجاهرة بالكفر والتظاهر بالمجون والعربدة ، فأنتج نوعا من الهجاء الاجتماعي ، الذي يقتصر على الأصل حينا ، مثلما ورد في شعر بشار بن برد ، أو يتعدى في أحيان كثيرة إلى الدين والعادات والأخلاق ، كالذي نجده في شعر أبي نواس ، وهناك أيضا الهجاء الذي عبّر عن اختلاف المقاييس الاجتماعية ، كالذي نجده في شعر ابن الرومي وشعر أبي الطيب المتنبي وشعر أبي العلاء المعري . ويلاحظ في هجاء العصر العباسي أيضا وجود بقايا من الهجاء القديم الذي يلم بنقائص الأصل والجبن والبخل وعورات الشرف [23] . ويرى ابن رشيق في

---

[17] م.ن :103 .
[18] الهجاء والهجاءون في صدر الإسلام :25 .
[19] تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام :350 .
[20] الأمالي في الأدب الإسلامي :218 .
[21] الهجاء والهجاءون في صدر الإسلام :157 .
[22] م.ن :122 .
[23] ظ : فن الهجاء وتطوره عند العرب :440 وما بعدها .

هجّائي العصر الأموي والعباسي ، أن كثيرهم يرى أن قصر الهجاء أجود وترك الفحش فيه أصوب ، ما عدا جرير الذي أطال وأفحش في القول ، وقد سلك طريقته ابن الرومي ، ويرى ابن رشيق أيضا أن التعريض أهجى من التصريح ؛ لتعلق النفس به وطلب معرفته إذا كان المهجو ذا قدر في نفسه ، أما إذا كان عكس ذلك فالتصريح أولى ، ولهذه العلة اختلف هجاء أبي نواس عن هجاء أبي الطيب المتنبي لاختلاف مراتب المهجوين [24] .

(4)

ما إن دالت دولة بني العباس وسقطت بغداد على يد المغول سنة 656هـ ، حتى تعاقبت على العراق وأهله حكومات احتلال أجنبية أسهمت في تمزيق نسيج الحياة العامة فتفشت الأمية والجهل والرشوة والإقطاع ، فضلا عن الظلم والاستبداد الذي مارسه حكّام العراق الغرباء من الفرس والعثمانيين وغيرهم ، وإزاء هذا تدنت الحركة العلمية والأدبية بشكل كبير ، وخَفَتَ صوت الشعر وضَعُفَ إلى حد خطير ، وربما عُدَّ الحكم العثماني من أشد ما مرَّ على الحركة العلمية والأدبية ، حتى إن الحكام العثمانيين شنوا - من بين حروبهم الكثيرة - حربا شعواء على اللغة العربية وعلومها، وقد منعوها من الحياة الرسمية ، ووصل الأمر إلى رفض حتى العرائض التي تكتب بها ، فغدا التعليم والتعلم صعبا لولا الدراسة في المدارس الدينية في المدن الرئيسة فبدا هذا على الشعر فلم يأت الشعراء بجديد وبقوا على ما حفظوه من القديم من موضوعات وتقنيات بلاغية لذا عُدَّت قرون الاحتلال حتى العصر الحديث عصورا مظلمة من حيث الفن الشعري الذي فَقَدَ الإبداع في المضامين والتطور لأسباب كثيرة منها الاحتلال والحالة الاجتماعية وشيوع الجهل وسطحية الوعي [25] .

فالشاعر صدى بيئته ، وهو المعبر عن صورتها الفكرية والاجتماعية ، وهو صوتها في آلامها وآمالها ، فلا عجب إذن أن تنتج الحياة العراقية آنذاك ، شاعرا ضيق التفكير ، سطحيا ساذجا ، ظل يجتر قديمه الناصع بصورة سيئة ومشوهة ، ولم يفرق بين وظيفته شاعرا يحمل تبعة رقي المجتمع برقي عاطفته وشعوره ، وبين أمية المجتمع الذي جرّه لضعف عاطفته وشعوره إلى ما هو فيه من تخلف وأمية وتبعية ، فصار ناظما أو ألعوبة للحكام والوجهاء وأصحاب الأموال لا أصحاب الوعي والعقل ، وتماشيا مع صورة الشعر العراقي سار فن الهجاء في نفس الركب الذي سارت فيه كل أغراض الشعر العراقي في تلك الفترة ، من تدني الشعرية وعدم التجديد والإبداع ، إلا أن ما يلاحظ أيضا على الهجاء وهو غرض شعري أصيل ، أنه لم يكن ذا حظوة كبيرة عند شعراء القرن التاسع عشر ، قياسا على بقية الأغراض والفنون ، فالشعراء (أكثروا من شعر التوسل والتصوف ولهم في الحماسة والفخر والشكوى والتنديد بالظلم ، شعر غير قليل ، ولم تخل بعض الدواوين من شعر الهجاء ، ولكنه قليل بالنسبة للموضوعات الأخرى) [26] .

([24]) ظ : العمدة في محاسن الشعر وآدابه : 2 /164 .

([25]) ظ : تطور الشعر العربي في العراق، د. علي عباس علوان، الشعر العراقي مرحلة وتطور، د. جلال الخياط، 1970م ، الشعر العراقي أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر –د. يوسف عز الدين، مكتبة الدراسات الأدبية (73)، دار المعارف ، الشعر العراقي الحديث والتيارات السياسية والاجتماعية، د. يوسف عز الدين، دار المعارف، مصر ، الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر، إبراهيم الوائلي، ط2، 1978م.

([26]) الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر :119 .

ويبدو أن من أسباب ضعف الهجاء وقلته عند شعراء ذلك العصر يرجع إلى الحالة السياسية آنذاك ، إذ بدا الحكام قساة ، لا يبالون بأحد مهما علا شأنه ، وأيضا ضعف دور المجتمع في رد الظلم والاستبداد ، مما خلق شاعرا خانعا خاضعا لسطوة الحاكم – إلا ما ندر- بعد أن تخلى عن مجده ومكانته العالية التي ورثها من شعراء العرب القدماء ، فالشاعر (الذي كان العظيم بشعره ، الفخور بمجده ، لسان الأمة الناطق ، والذي بلغ السيادة الشعرية في الجاهلية .... غدا ملهاة يتلهى بها الوالي ، يتسلى بها القوم ، فَقَدَ شخصيته إنسانا ، ومكانته شاعرا) [27] .

وعلى هذا انقسم الشعراء في العراق ، فمنهم من انكفأ على نفسه ، وآثر الابتعاد عن الحاكم وسطوته ، ومنهم من تزلف وقَرُبَ من الوالي ، وألّف فيه أو في أحد أمرائه كتبا تعظمه ، ودواوين شعر تمجده ، متحاشيا جبروت الحاكم ، فضلا حاجة الشاعر التي جعلته متكسبا حتى لو فقد أخلاقه .

وربما سعى بعضهم إلى أكثر من ذلك حين سعى إلى هجاء من ثار على ظلم وقسوة المحتل العثماني ، وقد امتلأ هجاؤهم بالتزلف والكذب والرغبة بنيل جائزة الوالي (وأكثر هذا الشعر لا يخرج عن الملق والطمع والتقليد والمحاكاة ، ولا يعبر عن عاطفة صادقة يتجاوب معها المواطنون) [28] .

أما الشعر السياسي وما ضمّ من نفحات هجائية ، فلا يمكن عدّهُ صورة واضحة في مجابهة الظلم ونقده و هجائه (فالخطرات التي نظمها الشعراء في مناوأة الحكم العثماني ، لا تؤلف مجموعة ذات دلالة قوية على مجابهة الحكم من لدن الشعراء) [29] .

إذن كان شعر الهجاء يستمد معانيه من سمات الفرد والقبيلة مديحا في بنائهما وهجاء في هدمهما أو من كونه وسيلة إعلامية بيد الحاكم ، ولم يكن المعنى السياسي قد اشتد ساعده بين معاني الهجاء حتى أن تطور مفهوم الدولة والشعب صار للهجاء معناه الذي نلمسه عند شعراء الدولة المعاصرة .

ومع هذا ، فقد ظهرت بعض الأصوات الشعرية العالية أكثر وضوحا وصراحة في نقد الحكم القائم ، ويعدُّ الشاعر عبد الغني جميل في مقدمة هؤلاء ، وقد (جاء شعره أكثر وضوحا في التعبير عن موقف التمرد على السلطة العثمانية وأشد عنفا في مهاجمة الأتراك الحاكمين) [30] .

وقد برزت في شعر القرن التاسع عشر ظاهرة يمكن أن تندرج ضمن الهجاء الديني والسياسي ، وهو ما رافق نشأة الحركة الوهابية ونشاطاتها العسكرية التي طالت كثيرا من المدن العراقية ، وقد وقف الشعراء أزاء هذه الحملات العسكرية وما حدث فيها من قتل وسلب وتشريد ، موقف الهجّائين ، وقد حفل شعرهم الهجائي هذا والذي انطلق من الاستدلال بقضية استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) بمعان هجائية كثيرة ، سارت باتجاهين : الأول هو هجاء العقيدة الوهابية ، وبيان فساد أفكارها ، وقد شاعت في هذا الاتجاه الألفاظ الدينية ذات الدلالة التي تدعو إلى التفريق بين الحق والباطل ، والاتجاه الثاني هو هجاء بعض الولاة العثمانيين ، جرّاء سلوكياتهم داخل المجتمع العراقي ، وسكوتهم وتخاذلهم أزاء الهجمة الوهابية ، وقد مثل هذه الظاهرة الشاعر هاشم الكعبي ، وصالح الكواز ، وحيدر الحلي وغيرهم [31] .

ومن ثمَّ يمكن أن نلحظ أنَّ الهجاء في الشعر العراقي في القرن التاسع عشر لم يكن غرضا أو فنا مهما عند الشعراء ، قياسا على ما كتبوه في بقية الأغراض الشعرية ، وقد توضح أن من

---

(27) الشعر العراقي أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر :51 .
(28) م.ن :129 .
(29) م.ن :19 .
(30) تطور الشعر العربي الحديث في العراق :84 .
(31) ظ : الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر :221 وما بعدها .

أسباب ذلك سطوة الحاكم العثماني وجبروته ، وتزلف الشعراء وتملقهم ، وغياب الدوافع الحقيقية للهجاء لتردي أحوال المجتمع فكريا واجتماعيا وسياسيا ، فتخلى الشاعر عن مهمته الجوهرية في رصد الأخطاء وتشخيصها وهجاء المسببين لها ، فضلا عن تراجع قيمة الشعر . وما ظهر من الهجاء في القرن التاسع عشر لا يخرج عن المحاكاة والتقليد الساذج ، و تشبعه بالتزويق اللفظي والمحسنات البديعية ، وهي سمة غالبة على شعر ذلك القرن .

مع بداية القرن العشرين شهد العراق نهاية احتلال قديم ، وبداية احتلال جديد ، وقد تصارع الاحتلالان معا في معارك دموية للاستئثار بالعراق وخيراته ، وأزاء هذا الصراع بين العثمانيين والبريطانيين ، وقف الشعراء العراقيون موقفا مضطربا حينا ، ومتناقضا حينا آخراً ، فجاء من الشعر ما تأسى على انهيار دولة الخلافة العثمانية ممجدا أيامها ووقائعها ومستنفرا كل طاقاته في هجاء البريطانيين الغزاة الجدد ، وأكثر حجج هذا الشعر جاءت منطلقة من قواعد دينية .

وقد حفل هذا الشعر بهجاء لاذع لبعض الشخصيات التي تواطأت مع البريطانيين وسهّلت لهم احتلال العراق وقصائد السيد عبد المطلب الحلي والشيخ أبي المحاسن وغيرهم خير دليل على ذلك ، وقد جاء من الشعر العراقي أيضا ما استبشر خيرا بقدوم الفاتحين البريطانيين الذين أنقذوا العراق من الظلم والاستبداد العثماني ، وقد أوغل هذا الشعر في ذم العثمانيين وهجاء أيامهم ، ووصل أمر هذا الشعر إلى رثاء الجنرال مود الذي توفي في بغداد ، رثاءً حاراً يغلب عليه التزلف والملق [32] .

ويبدو أن شعراء هذه الفترة من الذين بدأوا كتابة الشعر مع نهاية القرن التاسع عشر لم يستطيعوا التخلص من تأثير الجو الشعري السائد ، فجاء شعرهم كشعر نظرائهم شعراء القرن التاسع عشر ، محملا بالصنعة والتكلف ، محاكيا الشعر العربي القديم في مختلف عصوره ، حتى أن حاول بعضهم تناول ما جدّ في الحياة السياسية والاجتماعية وفي (الواقع أنهم لم يكونوا يقصدون استخدام الصنعة والمحسنات قصدا ، إنما الأمر يتعلق بخلفيتهم الثقافية والبلاغية) [33] ، وقد افتقر شعر هؤلاء الشعراء كشعر من سبقوهم إلى الابتكار والجدّة في الصورة والعاطفة والأفكار إذ (ليس في هذا الشعر لمحات فنية مضيئة وتفتق واضح للمعاني بل هو صور جامدة لا حسَ فيها ولا رواء) [34] ولم يستند سلوك الشاعر مع الغرض الشعري على حقيقة دوافعه ، بل بنى مثالا وكال عليه صفات مثالية .

ويبدو أن بوادر التجديد بدأت بالظهور في الشعر العراقي مع تقادم سنوات القرن العشرين ، على الرغم من أن حركة التجديد لم تكن قد تبلورت بشكل واضح ، إنما كانت تتجاذبها عدة اتجاهات باختلاف مصادر حركة التجديد وتنوعها ، إلا أن من الممكن وضعها في اتجاهين رئيسيين ، أحدهما يسعى إلى تحديث الاتجاه الكلاسيكي مع مراعاة الحفاظ على أصوله ويقف على رأس هذا الاتجاه أحمد شوقي (عربيا) ثم الرصافي والزهاوي من العراق ، ولكن بدرجة أدنى ، وتتمثل رؤية أصحاب هذا الاتجاه في محاولة زحزحة الرؤية التقليدية لعلاقة الماضي بالحاضر ، والسعي لإقامة صلات أوثق ، فليس للماضي قيمة بذاته ، إنما قيمته مرهونة بدرجة امتداده في الحاضر وتأثيره فيه فهو على هذا جزء من الحاضر وليس العكس ، ومن هنا بَرِمَ شاعر هذا الاتجاه بهيمنة الماضي على الحاضر ، فتمرد عليه وقد بدأ هذا التمرد على الموضوعات بالتحول التدريجي عن الأغراض التقليدية العامة التي تقع خارج ذات الشاعر إلى الموضوعات التي يضطرب بها عصره وتتحسسها

([32]) ظ : الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث : 24 وما بعدها .
([33]) تطور الشعر العربي في العراق : 196 .
([34]) الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث : 50 .

ذاته ، كذلك اقترن التمرد على الموضوعات بالتمرد على التقنيات الفنية ؛ وذلك بالتحول عن الأنماط والأساليب اللغوية التقليدية والتي شاعت في القرن التاسع عشر وما قبله إلى اللغة الحيّة القادرة على أداء الهواجس والخواطر ، أما الاتجاه الآخر ، فكان يرمي إلى إدخال تقنيات جديدة على الأصول الكلاسيكية ، أو إبدال البعض منها بمعايير مستقاة من الأدب الغربي ، وقد مثّل هذا الاتجاه عربيا جماعة الديوان في مصر ، والغربال في المهجر [35] .

إن التجديد لم يقتصر على الموضوعات والتقنيات الفنية ، فالدوافع أيضا تأثرت ببوادر التجديد ، فقد انغمس الشعراء العراقيون بالأحداث السياسية التي طرأت على العراق ، وحاولوا تسجيل هذه الأحداث شعريا في الذاكرة العراقية (فأخذوا على عاتقهم تشخيصها وتقديم العلاج اللازم لها وكان همهم أن تسود وطنهم الحرية) [36] .

لقد وعى الشاعر العراقي متغيرات عصره ومفاهيمه الجديدة في التحرر والديمقراطية وما أنتجته حركة الاستعمار العالمي وتفكك الإمبراطورية العثمانية وقيام الحرب العالمية الأولى ، مما أسهم في ظهور رؤية شعرية جديدة لدى الشاعر العراقي والأهم من ذلك (أن الشاعر لم يعد ضيق محدود النظرة لا يعرف غير منفعته الشخصية) [37] ، لقد أسهمت بوادر التجديد في تطور الرؤية عند الشاعر أزاء أغراض الشعر ، ومنها الهجاء الذي كان أحد أهم أدوات الشعراء العراقيين في صراعهم مع المستعمر البريطاني ، فالعراق – وإن كان تابعا للدولة البريطانية في فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى – إلا أنه حاول وهو دولة ناشئة أن يجد له شخصية مستقلة تتناسب مع مفاهيم الحرية والاستقلال ، وقد أدرك الشعراء العراقيون – وهم الطبقة الواعية المثقفة – هذه الحقيقة ، فكانوا دعاتها ، فظهرت نبرة جديدة في الشعر العراقي لم يكن وعي الشعراء السبب الوحيد فيها (إنما يضاف إلى ذلك فهمهم لدور الشعر وهدفه باعتباره سلاحا يقارعون به الظلم) [38] .

ويمكننا أن نلحظ أن الشاعر العراقي الذي اتسم بالجد والصرامة والبعد عن إطلاق النكتة والسخرية لذاتها ، لجأ إلى استعمالها في شعره تعبيرا عن حاجات في نفسه ، منها ضيقه بالمفاسد السياسية والاجتماعية ، فتكونت لديه نزعات نفسية انتقلت من الشعور إلى اللاشعور فاحتاج أن ينفس عن اضطرامه في ذاته فاستعمل السخرية كأداة هجائية أسهمت في ظهور موضوعات وآليات لم تألفها القصيدة الهجائية العراقية من قبل [39] .

لقد كان الشاعر العراقي – أزاء كل هذه المعطيات – يقف موقف المعارض للسلطة وحكامها ، غير خائف من بطشها ، ورأيناه يقود الجماهير ويثيرها ويحرضها على الثورة ضد الظلم والاستبداد ، مستفيدا من موضوعات وتقنيات ودوافع القصيدة الهجائية التي تأثرت ببوادر التجديد في العشرين سنة الأولى من القرن العشرين ، وهذا مشهد لم نره عند شاعر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، والذي قام على الاتكاء واجترار القديم من دون أي تجديد وابتكار .

إن صوت الجواهري الشعري الذي انطلق قبل عشرينيات القرن العشرين في بيئة النجف الأشرف الصارمة دينيا والمتزمتة تراثيا وسياسيا ، قد اختلف عن غيره من الأصوات الشعرية ، وأصبح مثارا للجدل بين النقاد وغيرهم من المثقفين ، فمنهم من اعتقد أن الجواهري شاعر لم ينل شهرته بسبب الشعر فـ(شهرة الجواهري أقول إنها لم تأتِ من كونه شاعر مبدعا كبيرا ، وإنما

---

(35) ظ : لغة الشعر الحديث : 316 وما بعدها

(36) الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث : 8 .

(37) تطور الشعر العربي الحديث في العراق : 112 .

(38) تطور الشعر العربي الحديث في العراق : 114 .

(39) ظ : النقد الاجتماعي الساخر في العراق : 54 وما بعدها .

صنعتها ظروف سياسية وغير سياسية حتى أصبح عند كثير من السواد كأنه أسطورة شعرية وأنّه إلـه الشـعر) [40] . ومـن النقـاد مـن رأى خـلاف ذلـك حـين أسـبغ عليـه صـفات الشـاعرية الفريـدة ، واعتبـــــــــــــــــره ظـــــــــــــــــاهرة ، فـــــــــــــــــالجواهري (شاعر مستقل ووجوده في القرن العشرين يمثل ظاهرة غريبة ؛ لأنه شاعر ذو أسلوب عباسي قدّر لـه أن يعيش أحداث القرن العشرين وأن يتأثر بمشكلاته وتعقيداته) [41] ، ويرى ناقد آخر وبدراسة مستفيضة [42] أن الجواهري مرَّ بحياته الشعرية بمراحل ثلاث حتى وصل إلى ما وصل إليه من الشاعرية والشهرة ومراحل حياته الشعرية ابتدأت بمرحلة التقليد ، وهي بدايات الجواهري ما قبل العشرينيات ، وفيها ينضوي شعره تحت الخصائص العامة للمدرسة الكلاسية الموروثة ، وقصائد الجواهري في هذه المرحلة تجري مع الموروث فالمحاكاة كثيرا ما تجيء متماثلة مع غيرها مع بعض التغيير ، فالجواهري في مرحلته هذه يوضع ضمن إتباع مدرسة الزهاوي والرصافي والشبيبي والكاظمي .

أمَّا المرحلة الثانية فهي مرحلة الاضطراب التي بدأت بعد عام 1935م ، وفيها يُرى أن بعض قصائده استمرار لخط التقليد والمحاكاة مع بعض القصائد الجديدة التي يُلمس فيها مجموعة من المتغيرات طرأت على روح الشاعر ومواقفه ، فقد حاول الجواهري التعبير عن ذاته وإحساسه الفـــــــــردي بطريقـــــــــة خـــــــــالف فيهـــــــــا قـــــــــيم مجتمعـــــــــه ومثلـــــــــه العليا ، أمَّا في رؤيته السياسية فيُلمس الاضطراب والقلق ، فهو مندفع في بعض قصائده إلى التعريض بالسلطة مهاجما الحكّام والسياسيين ، ولكنه في قصائد أخرى يندفع إلى مدح الملك والساسة من وزراء وغير هم ، ولم تعد المحاكاة عند الجواهري في هذه المرحلة مقصورة على النماذج الشعرية العربية القديمة ، وإنما معارضة المحدثين من شعراء عصره .

أما مرحلة النضج فهي المرحلة الثالثة عند الجواهري ، وابتدأت قبل عام 1940 بقليل ، ويظهر فيها الجواهري أنه لا يرتد إلى الموروث التراثي ويقتطعه اقتطاعا ويلصقه بنسجه ، إنما يُلحـــظ هـــذا المـــوروث وقـــد صُـــهِرَ صـــهراً جديـــدا فأخـــذ نســـقا يجـــري فـــي نســـغ القصيدة ، لقد امتلك الجواهري في هذه المرحلة تراثه ولغته امتلاكا حقيقيا ، فأخذ يخلق صوره البارعة كيف يشاء ، وقد بدا وكأنه ورث الأداء الشعري المتحكم بلغة الأمة ، حتى باتت اللغة بين يديه مادة مطاوعة ، وقد استطاع الجواهري في مرحلة نضجه أن يجمع ما بين ظاهرة التمرد والفن ، أو بمعنى آخر بين السياسة والفن ، فكان شعره ظاهرة مركبة اختلفت عن كل الشعراء الذين سبقوه .

لقد تميز الجواهري من غيره من الشعراء بتأثره بالتراث الشعري العربي ، حتى وإن بدا مماهيـــا لهـــم فـــي بداياتـــه ، وســـبب التميـــز هـــذا هـــو إحســـاس الجـــواهري بـــالتراث فـ(إحساس الجواهري بالتراث لم يكن يعني الخضوع إلى زمن التراث بقدر مما يعني التأثر بجودته كما يراها ومن هذا المنطلق ألغى الجواهري منذ وقت مبكر التعارض بين القديم والمعاصر في التراث) [43] .

لقد توافرت مجموعة من العوامل في نفس الجواهري ابتدأت من صرامة بيئته الدينية والاجتماعية وقيودها وما اعتمل في نفسه من قلق وطموح بأن يكون شاعرا ثائرا ومتمردا على واقعه السياسي والاجتماعي ، وحتى الديني فـ(نفسه تطفح بالقلق العنيف ويستبد بها الطماح الجامح ويعتورها التمرد والغرور وهو مرهف الحس وقّاده ، فجعلت كل هذه الأسباب من الجواهري

([40]) الجواهري ونقد جوهرته، نظرات في شعره وحياته :27 .
([41]) الشعر العراقي الحديث، مرحلة وتطور :105 .
([42]) ينظر، تطور الشعر العربي الحديث في العراق :257 وما بعدها
([43]) لغة الشعر الحديث في العراق : 119 .

مخلوقا متمردا) [44] ، فضلا عمّا امتلكه الجواهري من وعي وإدراك جعله يصبح قيمة وطنية مثلـــــــت إرادة الشـــــــعب بوجـــــــه المستبدين ، و(لقد تحول الجواهري منذ الأربعينيات إلى ذات واعية تتمثل وجدان الشعب ومعاناته الوطنية والقومية والإنسانية) [45] .

لقد شُحِنَ الجواهري بِنَفْسٍ كانت تصطدم حتى مع المقربين إليه إذا رأى منهم إغفالا عن الحق والسكوت عليه ، وكان لا يبالي بأن يحمل عليهم ويكتب فيهم ما يشاء هجاءً غير مكترث بمدى العلاقة بينه وبينهم [46] .

ويبدو أن هذا التمرد والوعي أثرا بصورة واضحة في فن الهجاء عند الجواهري ، الذي حتى وإن نظر إلى الهجاء كأي فن أو غرض من أغراض الشعر وعبّر فيه عن آرائه السياسية والاجتماعية ، إلا أنه (تميّز في غرض الهجاء أنّه استطاع تحويل الخاص منه إلى العام ، بمعنى أنّه لم يقيد هجاءه بالقيد الشخصي أو المرحلي أو الظرفي) [47] .

لقد تمكن الجواهري من نقل شعره الهجائي وخاصة السياسي منه من موضوع إلى ذات ، واستطاع أن يعبر عن هموم الجماهير التي التقت مع همومه الخاصة ، وكان له من الموهبة الأصيلة وما جعله يلتقط من همومه ما هو إنساني له تماس مع هموم شعبه ويترك ما هو خاص به في أغلب الأحيان [48] ، والجواهري آمن بفنه الشعري وجعله وسيلة للدفاع عن الجماهير والتحدث بهمـــــومهم وآلامهـــــم بطريقـــــة غلـــــب عليهـــــا الهجـــــاء، و (أدرك الجواهري أهمية رسالته الشعرية مثلما أدرك فنه الشعري في الاضطلاع بها ، فلكي يأخذ هذا الفن مداه الكامل عليه أن يتوجه إلى (تثوير) وعي الجماهير [49] .

الفصـــــل الأول

---

(44) الجواهري ونقد جوهرته :26 .
(45) لغة الشعر الحديث في العراق :335 .
(46) ظ : أجداد وأحفاد : 32 وما بعدها .
(47) من لقاء أجراه الباحث مع الدكتور محمد حسين الأعرجي، نُشِرَ في مجلة فيض الكوثر- العدد 125- شباط 2010م .
(48) ظ : الجواهري دراسة ووثائق : 162 وما بعدها .
(49) لغة الشعر الحديث في العراق : 347 .

تصنيـــــف الهجـــائيـــات

أرتبط الجواهري ارتباطا حيّاً بقضايا وطنه وهموم شعبه واستفزته الأحداث السياسية فهاجمها بشدة هاجيا الحكّام والساسة ، فانطلقت قصائده (من مركز تصادم عنيف بين طرفين هما الشاعر والحاكم ولست أعني بالشاعر أنّه طرفٌ مراقب لما يدور من أحداث فينتقدها وإنّما أعني به ندّاً للحاكم)[50] ولم تكن السياسة همّه الوحيد فقد تأثر بما يدور من حوله من أحداث عامة فكتب (قصائد خارجة عن القانون هاجم فيها التقاليد البالية وانتقد بعنف أدعياء الدين)[51] ؛ لذلك فهو شاعر هجّاء متمرد ، ساق الهجاء للتعبير عما أهمه وهو في مواقف معقدة ، فانتشر في شعره ، وهو يبتعد عن طبيعة الهجاء الميّالة للبذاءة والسباب .

وبدءاً ننقل رأيه في الهجاء ، فهو يزعم في سياق تعريفه أو مفهومه للهجاء ، وسنبين صحة زعمه في هذا البحث ، فيقول :

وإذا كـــــان هجـــــاءً	فلينـــــزه عـــــن ســـــباب
لـــيس شـــأن المـــرء نهـــش الـــ	ـــمرء بـــل شـــأن الكـــلاب
امزجـــوا الطعـــن بـــه	مـــزجكم شـــهدا بصـــاب
لـــيّنُ اللفـــظ وفـــي	طياتـــه وخـــز الحـــراب [52]

تميّـزت هجائياتـه كمّـاً ونوعـا ، فمـن حيـث الكـم لـم يخـل أيّ جـزء مـن ديوانـه منهـا ، ومن حيث النوع فقد كان الهجاء في قصائده الأكثر شهرة وأميزها بناءً .

وسنحاول في هذا الفصل الإحصائي تتبع هجائياته إحصاءً وتصنيفها من حيث الاتجاه والنمط ، ونقصد بالاتجاه الوجهات التي قصدت إليها الهجائيات ، ونقصد بالنمط الأسلوب الذي جاءت به الهجائيات وبتقر شامل لديوان الجواهري فقد حضر الهجاء في ثمانيةٍ وعشرين موضعا في الجزء الأول ، سواء بقصيدة كاملة أو مقطع في قصيدة ، وسيقع على هذا الفصل بيان التفاصيل .

أفتتحت قصيدة (النقمة) [53] الجزء الأول ثم قصائد (الشاعر السليب 1923) [54] و(وخزات 1923)[55]و(يا فراتي 1923)[56] و(والنجوى 1924)[57] و(كذب الخائفون 1924)[58]

---

(50) الجواهري – دراسة وثائق – د. محمد حسين الأعرجي ، المدى – دمشق ، ط1 ، 2002 : 16 .

(51)أزمة المواطنة في شعر الجواهري – يحيى الفرحان ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2001 : 64 .

(52) ديوان الجواهري طبعة وزارة الثقافة والإعلام العراقية – 1973 : 307/1 .

(53) الديوان : 89/1 .

و(سبحان من خلق الرجال 1924)[59] و(الأحاديث شجون 1924)[60] و(على ذكرى الربيع 1925)[61] و(شوقي وحافظ 1925)[62] و(ليت الذي بك في وقع النوائب بي 1925)[63] و(درس الشباب أو بلدتي والانقلاب 1926)[64] و(شدة لندن 1926)[65] و(تحية الوزير 1927)[66] و(نزوات 1927)[67] و(شهيد العرب 1927)[68] و(النفثة 1927)[69] و(جائزة الشعور1927)[70] و(ثورة الوجدان 1927)[71] و(ضحايا الانتداب

1928)[72] و(أيها المتمردون1928)[73] ، و(أمان الله 1929)[74] و(علموها 1929)[75] و(الرجعيون 1929)[76] و(ساعة مع البحتري 1929)[77] و(جربيني 1929)[78] و(المجلس المفجوع 1929)[79] ويختم الهجاء الجزء الأول بقصيدة (إلى الخاتون المس بل 1929)[80] .

أما في الجزء الثاني سجل الهجاء حضوره في تسعة وعشرين موضعا كانت في قصائد (في سبيل الجماهير 1930)[81] و(الحزبات المتآخيان 1931)[82] و(يدي هذه رهن 1931)[83] و (المحرّقة 1931)[84] و(الدم يتكلم 1931)[85] و(الأنانية 1932)[86] و(عبادة الشر 1933)[87]

---

(54) م.ن : 201/1 .
(55)م.ن : 213/1 .
(56)م.ن : 221/1 .
(57)م.ن : 223/1
(58)م.ن : 243/1
(59)م.ن : 245/1
(60)م.ن : 267/1
(61)م.ن : 295/1
(62)م.ن: 301/1
(63)م.ن : 307/1
(64)م.ن : 313/1
(65)م.ن : 381/1
(66)م.ن : 389/1
(67)م.ن : 395/1
(68)م.ن : 403/1
(69)م.ن: 409/1
(70)م.ن: 421/1
(71)الديوان : 427/1
(72)م.ن : 433/1
(73)م.ن : 437/1
(74)م.ن : 455/1
(75)م.ن : 461/1
(76)م.ن : 465/1.
(77)م.ن : 483/1 .
(78)م.ن: 489/1
(79) الديوان : 501/1
(80)م.ن: 507/1
(81) الديوان : 11/2
(82)م.ن: 59/2
(83)م.ن: 77/2
(84)م.ن : 83/2 .
(85)م.ن : 93/2

و(أنغام وخطوب 1934)[88] و(عقابيل داء 1934)[89] و(لعبة التجارب 1934)[90] و(معرض العواطف 1935)[91] و(حالنا أو في سبيل الحكم 1935)[92] و(عاشوراء 1935)[93] و(المازني وداغر 1936)[94] و(قصيدة وردت بلا عنوان 1936)[95] و(العدل 1936)[96] و(شباب ضائع 1937)[97] و(الأقطاع 1939)[98] و(لبنان 1939)[99] .

لقد رُتب الديوان على أساس التدرج الزمني فنجد الجزء الثالث الذي يبدي تطور الشاعر الفني واتساع شهرته ، نجد هذا اللون من التعبير بثمانية عشر موضعا ، وفي قصائد (أكلة الثريد 1941)[100] و(أمم تجد ونلعب 1942)[101] و(أبو العلاء المعري 1944)[102] و(طرطرا 1945)[103] و(ذكرى وعد بلفور 1945)[104] و(أرشد العمري 1946)[105] و(اليأس المنشود 1947)[106] و(المقصورة 1948)[107] و(أخي جعفر 1948)[108] و(يوم الشهيد 1948)[109] و(دم الشهيد 1948)[110] و(غضبة 1948)[111] و(ثمر العار 1948)[112] و (فلسطين 1948)[113] و(هاشم الوتري 1949)[114] ويختم الهجاء هذا الجزء بالقصيدة المشهورة (أطبق دجى 1949)[115] .

وقد حضر الهجاء في الجزء الرابع في أشهر قصائده أيضا كما وجدنا في سابقه فقد ورد في ستة وعشرين موضعا بدأ بـ(سر في جهادك 1950)[116] وقصائد (إلى الشعب المصري

---

(86)م.ن : 129/2
(87)م.ن: 191/2
(88)م.ن : 203/2
(89)م.ن : 215/2
(90)م.ن : 235/2
(91)م.ن : 251/2
(92)م.ن : 263/2
(93) الديوان : 269/2
(94)م.ن : 287/2
(95)م.ن: 305/2 ، وردت في فهرست الجزء الثاني بعنوان (المآسي في حياة الشعراء) .
(96)م.ن : 311/2
(97)م.ن : 319/2
(98)م.ن : 355/2
(99)م.ن : 361/2
(100) الديوان : 26/3
(101)م.ن : 39/3
(102)م.ن : 81/3 .
(103)م.ن : 119/3
(104)م.ن : 129/3
(105)م.ن : 177/3
(106)م.ن : 185/3
(107)م.ن : 201/3
(108)م.ن : 255/3
(109)م.ن : 267/3
(110)الديوان : 289/3
(111)م.ن : 305/3
(112)م.ن : 313/3
(113)الديوان : 317/3
(114)م.ن : 391/3
(115)م.ن : 405/3
(116)الديوان : 9/4

1951)[117] و(عبد الحميد كرامي 1950)[118] و(أيها الوحش أيها الاستعمار 1951)[119] وفي قصيدته المعروفة (تنويمة الجياع 1951)[120] وفي بيتين كتبهما بداية لنظم قصيدة إلا أنه تركها عند هذين البيتين استجابة لرجاء الدكتور طه حسين يقول فيهما :

ما آنفك يا مصر والإذلال تعويد | يسومك الخسف كافور وأخشيد
مقالة كبرت الحب شافعها | حب المسودين لو شاؤوا لما سيدوا [121]

وأيضا في بيتين كتبهما الجواهري جوابا هما :

يبكي على أمس له (أخطل) | لم يستثره غده القادم
وإن غدا يعرفه ثائر | لا المستكين السادر الناعم [122]

وكان الهجاء في قصائد هي (في مؤتمر المحامين 1951)[123] و(أنا الفداء 1952)[124] و(اللاجئة في العيد 1952)[125] و(ما تشاؤون 1952)[126] و(ظلام 1952)[127] و(الشباب المستخنث 1952)[128] و(كما يستكلب الذيب 1953)[129] و(خبت للشعر أنفاس 1954)[130] و(قال وقلت 1955)[131] و(يا أم عوف 1955)[132] و(خلفت غاشية الخنوع 1956)[133] و(الجزائر 1956)[134] و(النباشون 1956)[135] و(بور سعيد 1956)[136] و(الناقدون 1957)[137] و(جيش العراق 1958)[138] و(باسم الشعب 1958)[139] و(تحية إلى رونتري1958)[140] وتختم الهجائيات حضورها بقصيدة (أنشودة السلام 1959)[141] .

خبا حضور الهجاء في الجزء الخامس فكان أقل الأجزاء لأنه لم يرد إلا في أربع قصائد ابتدأ بالرباعيات (قال وقلت 1960)[142] ورباعية (مؤتمر الأقطاب 1960)[143] وأيضا في قصائد (يا غريب الدار 1962)[144] و(أطياف وأشباح 1967)[145] و(يا ابن الفراتين 1969)[146] .

---

(117)م.ن : 23/4
(118)م.ن : 37/4
(119)م.ن : 53/4
(120)م.ن : 71/4
(121)م.ن : 86/4 .
(122)م.ن : 88/4
(123)م.ن : 89/4
(124)م.ن : 111/4
(125)م.ن : 113/4
(126)م.ن : 125/4
(127)الديوان : 139/4
(128)م.ن : 155/4
(129)م.ن : 157/4
(130)م.ن : 169/4
(131)م.ن: 195/4
(132)م.ن : 197/4
(133)م.ن : 215/4
(134)م.ن : 233/4
(135)م.ن : 243/4
(136)م.ن : 251/4
(137)م.ن : 279/4
(138)م.ن : 297/4
(139)م.ن : 309/4
(140)م.ن : 321/4
(141)م.ن : 333/4
(142) الديوان : 25/5
(143)م.ن : 29/5

ويعود في الجزء السادس في سبع قصائد وهي (في يوم التأميم 1972)[147] و(على الرصيف 1973)[148] و(إلى وفود المشرقين تحية 1974)[149] و(تحية ونفثة غاضبة 1974)[150] و(الصحراء في فجرها الموعود 1974)[151] و(أزح عن صدرك الزبدا 1975)[152] وأخيرا قصيدة (حبيبتي 1976)[153] .

أما في الجزء السابع من الديوان فقد ظهرت الهجائيات في اثنتي عشرة قصيدة ابتدأت بقصيدة (رسالة إلى محمد علي كلاي 1976)[154] و(آليت 1975)[155] و(آه على تلكم السنين 1977)[156] و(لغة الثياب 1977)[157] و(المتنبي 1977)[158] و(إلى المجد – إلى القمة 1978)[159] و(عالم الغد 1943)[160] و(عصامي 1951)[161] و(المصير المحتوم 1952)[162] وهي ثلاثة أبيات فقط و (عظماء 1955)[163] و(كم ببغداد ألاعيب 1957)[164] و(كفرت 1959)[165].

وأما بعد مغادرته العراق وقد بقي ديوانه الذي طبعته وزارة الثقافة والإعلام العراقية على أجزائه السبعة ظهر للديوان طبعة جديدة في عام 2000 [166] ، وظهر في الجزء الخامس منه قصائد لم تنشر في الديوان الذي طبعته الوزارة وهي (أفتيان الخليج 1979)[167] و(شوقا جلال 1980)[168] و(بغداد 1980)[169] و(يا ابن الثمانين 1982)[170] والقصيدة المشهورة (عبدة

---

(144)م.ن : 193/5
(145)م.ن : 269/5
(146)م.ن : 347/5
(147) الديوان : 85/6
(148)م.ن : 135/6
(149)م.ن : 159/6
(150)م.ن : 173/6
(151)م.ن : 185/6
(152)م.ن : 205/6
(153)م.ن : 219/6
(154) الديوان : 15/7
(155)م.ن : 41/7
(156)م.ن : 55/7
(157)م.ن : 73/7
(158)م.ن : 99/7
(159)م.ن : 131/7
(160)م.ن : 173/7
(161)م.ن : 201/7
(162)م.ن : 205/7
(163)م.ن : 217/7
(164)م.ن : 235/7
(165)م.ن : 247/7
(166) ديوان الجواهري – طبعة بيسان للنشر والتوزيع والإعلام – بيروت 2000م .
(167)م.ن : 264/5 .
(168)م.ن : 283/5
(169)م.ن : 289/5
(170)م.ن : 293/5

الجبورية 1982)[171] و(أ أبا مهند 1985)[172] و(صلاح خالص 1984)[173] و(برئت من الزحوف 1985)[174] و(ذكرى وعد بلفور 1986)[175] و(صاح قلها ولا تخف 1987)[176] .

وقد أستعنا أيضا بما أورده الدكتور محمد حسين الأعرجي في كتابه (الجواهري دراسة ووثائق) [177] لتتبع هجائياته .

وردت ثلاثة أبيات في هجاء ساطع الحصري كتبها الجواهري في عام 1969 عندما أقيمت له أمسية شعرية في كلية الآداب –جامعة بغداد ، فلاحظ أن القاعة التي يلقي فيها شعره أسمها (قاعة ساطع الحصري) فقال :

كليـــــة الآداب ضـــــمت قاعـــــة	كـــان النشـــوز بهـــا عـــن الآداب
نسـبت إلــى وغـد لـو انتسـبت لـه	خيـــر النســـاء لكـــنَّ شـــر قحـــابِ
صــلوا علــى كـل الفجـور فإنـــه	فـــي الرافــدين مظنـــة لثـــواب [178]

وورد الهجاء أيضاً في (أمين لا تغضب)[179] و(قصيدة حتم أن تسفي)[180] و(حتى في الهجا مهزله)[181] و(إلى أبي سامر)[182] .

بعد هذا التقري الشامل لهجائيات الجواهري وجدنا للهجاء اتجاهات وأنماط ، أما الاتجاهات فهي : الاتجاه السياسي والاتجاه الاجتماعي والاتجاه الخاص واتجاه في هجاء رجال الدين ونوع آخر تتعددت فيه الاتجاهات، أما الأنماط فرأينا أن نقسمها على نمطين الأول الجاد والثاني الساخر ، وسنفصل القول في هذا كله .

---

(171)م.ن : 311/5
(172)م.ن : 317/5
(173)م.ن : 323/5
(174)م.ن : 327/5
(175)م.ن : 333/5
(176)م.ن : 337/5
(177) الجواهري دراسة ووثائق .
(178) م.ن : 125 .
(179) الجواهري دراسة ووثائق : 343 .
(180)م.ن :352 .
(181) م.ن :465 .
(182) م.ن :475

اتجاهات الهجاء :

أولا : الهجاء السياسي :

وفيه يهجو الجواهري حماقات السياسة وما ترتب عليها من مظالم ومفاسد على الشعوب وضياع حقوق الإنسان وكرامته ومع أن الجواهري اهتم بهجاء السياسة العراقية وسلوك حكامها ، هجا أيضا الانتهاكات السياسة الغربية ، فهجا السياسة البريطانية كثيرا والسياسة الفرنسية والإسبانية والأمريكية ، وجاءت الهجائيات السياسية على النحو الآتي :

1- قصيدة (النقمة)[183] نظمت في عام 1922 من (مجزوء الكامل المرفل) وكلّها وهي أربعة عشر بيتا من الهجاء السياسي للوضع القائم في العراق آنذاك ، يقول فيها :

كل البلاد إلى صعود ... والعراق إلى هبوط
وطن أقامت ركنه ... شباننا بدم عبيط
يا للرجال تلاقفته ... يد الأعاجم والنبيط
يا نائما ما نبهته الحادثا ... تُ من الغطيط

2- قصيدة (وخزات)[184] نظمت في عام 1923 من (المجتث) وقد كرسها الجواهري كاملة وهي في خمسة وعشرين بيتا لهجاء الساسة ، يقول فيها :

أوجدان لشعبي ... في كل يوم دسيسه
يهينكم قد أكلتم ... حتى عظام الفريسه
حتى الدجاجة تأبى ... ترفعا أن تسوسه
قالت بما في مبيضي ... من صفرة وبياضِ
وزارة أنا فيها ... قبلتها بامتعاضِ

3- قصيدة (يا فراتي)[185] نظمت في عام 1924 من (الخفيف) قد حضر الهجاء السياسي في أربعة عشر بيتا في آخر القصيدة يقول فيها الشاعر متخذا من نهر الفرات قاعدة لهجائه :

ملكت جانبيك عرب أضاعوا ... إذ أضاعوا حماك عهد قصيٍّ
دنست طهرك المطامع حتى ... لم تعد تنقع الغليل بريِّ
قد نطقنا حتى رمينا بهجر ... وسكتنا حتى اتهمنا بعيٍّ

4- قصيدة (النجوى)[186] نظمت في عام 1924 من (المتقارب) وفيها تسعة أبيات في وسط القصيدة يقول فيها :

أرى أمُماً هي والمالكين ... متاع أعدُّ لمن يأكلونا
وعصر تناهض فيه الجماد ... عجيبٌ به يجمُدُ الناهضونا

5- قصيدة (كذب الخائفون)[187] نظمت في عام 1924 من (الخفيف) وهي ستة أبيات فقط مكرسة للهجاء السياسي فيها :

رمق الأفق طرفه فترامى ... ورأى الحق فوقه فتعامى
كل يوم للحاكمين كؤوسٌ ... جرعوها الشعوب جاما فجاما

---

(183) الديوان : 189/1 .
(184)م.ن : 213/1 .
(185)م.ن : 221/1 .
(186) الديوان : 223/1 .
(187) م.ن : 243/1 .

6- قصيدة (سبحان من خلق الرجال)[188] نظمت في عام 1924 من (الكامل) ومعظم القصيدة يسيطر عليها الهجاء السياسي يقول الجواهري فيها :

يـــا للرفـــاق لمـــوطن لجّوابـــه حتـــى ازدرى أخلاقـــه فتخلقـــا
فـإذا نـزت همـج إلـى طمـع نـزا أو صـــفقت فيـــه قـــرود صـــفقا
مـــا إن يـــزال مرشـــحاً لأمـــوره متجبـــرا أو طامعـــا أو أحمقـــا

7- قصيدة (الأحاديث شجون)[189] نظمت في عام 1924 من (الرمل) فيها مقطع من الهجاء السياسي في آخر القصيدة يقول فيها :

لـــيس تنفـــك بـــلادي كلهـــا يـــبس أو كلهـــا مـــاء وطـــينُ
قطعـــت أوصـــالها وافترقـــت فشـــمال لـــيس تـــدري ويمـــينُ

8- قصيدة (شدة لندن)[190] نظمت في عام 1926 من (الخفيف) كرسها كلها وهي ستة عشر بيتا لهجاء السياسة البريطانية في العراق يقول فيها :

كلنـــا بالـــذي تمنـــى ســـعيد لا نبـــالي أن الـــبلاد شـــقيهْ
أسـمعتم مـا قيـل عـن (برلمـاني) وعـــرفتم مهـــارة الحزبيـــهْ
لســت أدري لكــن يقــول خبيــرٌ فــي البضــاعات شــدة (لندنيــه)

9- قصيدة (نزوات)[191] نظمت في عام 1927 من (المجتث) وفيها بعض الأبيات في وسطها يقول فيها :

البرلمـــــــــان صـــــــــحيحٌ يعـــــــــوزهُ الانتخـــــــــابُ
وفيـــــــــه قـــــــــام دويٌّ تجهلـــــــــه الأحـــــــــزابُ

10- قصيدة (شهيد العرب)[192] نظمت في عام 1927 من (مجزوء الكامل) وفيها عشرة أبيات في أولها يهجو حكام العراق والمتنفذين به يقول :

وطنـــي الغضـــيضُ أهابـــه أصـــبو لـــــه وأهابـــــه
ســـحق الزمـــانُ رؤوســـه فترأســـــــت أذنابـــــــه
فـــإذا نبـــا دهـــر بـــه فحماتـــــــه نهّابُـــــــهُ

11- قصيدة (النفثة)[193] نظمت في عام 1927 من (السريع) وفيها خمسة أبيات في آخر القصـــيدة يهجـــو أبنـــاء شـــعبه وتلـــك الظلمـــة التـــي أطبقـــت علـــى وطنـــه يقـــول فيها :

يــا ظلمــة قــد أطبقــت مــوطني دومــي : فشــعبي لا يريــد الصــباح
الشـــؤم قـــد أوهـــم أوطاننـــا أن لـيس يجـدي المـرء إلا النيـاح

12- قصيدة (ثورة الوجدان)[194] نظمت في عام 1927 من (البسيط) ويخصص المقطع الأخير (ثمانية أبيات) لهجاء السياسيين القائمين على حكم العراق يقول فيها :

وطغمــةٍ مــن دعــاة الســوء ســاقطةٍ ليســت بشــوكٍ إذا عــدت ولا غــارِ
تـروي وتظمـأ لا تلـوي علـى نَصَـفٍ ولـــم توكّـــلْ بـــإيراد وإصـــدارِ
فــي كــل يــومٍ بإشــكالٍ وأنمطــةٍ وكـــل آن بهيئـــات وأطـــوارِ
مــأجورة لــم تقــم يومــا ولا قعــدت إلا علــى هتــكِ أعــراضٍ وأســتارِ

---

(188) م.ن : 245/1 .
(189) م.ن : 267/1 .
(190) م.ن : 381/1 .
(191) الديوان : 395/1 .
(192) م.ن : 403/1 .
(193) م.ن : 409/1 .
(194) م.ن : 247/1 .

13- قصيدة (ضحايا الانتداب)[195] نظمت في عام 1928 من (الوافر) وفيها عشرة أبيات في آخرها يهجو مَنْ رَضي وسكت على الظلم الواقع على الشعب العراقي من حكامه المتسلطين يقول فيها :

وقــــد تخـــذوا لحــــوم بنيــــه زادا وقــــد لبســـــوا جلـــــودهم ثيابــــــا
رضـوا مـن صـبحهم فجـرا كـذابا ومـــــن أنــــوار شمســـــهم اللعابــــا
وقـــرت لـــلأذى مـــنهم صـــدور فســــــموهن أفئـــــــدة رحابــــــا
فيــا وطنـــي مـــن النكبـات فـأمنْ فقــــد وقّتــــك حظـــك والنصـــــابا

14- قصيدة (أمان الله)[196] نظمت في عام 1929 من (الوافر) أثر الانقلاب الذي دبره البريطانيون ضد الملك الأفغاني (أمان الله) وقد جاءت فيها عشرة أبيات في وسط القصيدة يقول فيها :

أ إن حُلقـــت لحـــيً ملئـــتْ نفاقـــاً تخــــذتم شــــعرها درعــــاً مناعــــا
رفعـــــتم رايـــــةً ســــوداءَ فيهـــــا وثــــــوّرتم بهــــا ناســــاً وداعــــا
عفــــتْ مدنيـــــةٌ لــــدمار شـــعبٍ وديــــعٍ تخــــدمُ الهمــــجَ الرعاعــــا

15- قصيدة (ساعة مع البحتري)[197] نظمت في عام 1929 من (الكامل) وفيها خمسة أبيات في وسطها يهجو بها الحكام والسياسيين يقول فيها :

إن الـــذين علــــى حســـاب ســـواهم حلبـــوا ملـــذات الحيـــاة ضــــروعا
رفعـوا القصـور علـى كواهل شعبهم وتجــــاهلوا حقّــــاً لــــهُ مشــــروعا
ساســوا الرعيــة بــالغرور سياســةً لا يرتضـــيها مـــن يســوس قطيعـــا

16- قصيدة (المجلس المفجوع)[198] نظمت في عام 1929 من (الكامل) بمناسبة الجلسة التأبينية التي عقدها مجلس النواب أثر انتحار عبد المحسن السعدون والجواهري استثمر هذه الجلسة وهجا النواب في سبعة أبيات في وسط القصيدة يقول فيها :

يــا أيهـــا (النـــواب) حســبكم عُــلاً قـــولي لكــــن يـــا أيهـــا (النــــوابُ)
تـــأبى المــروءةُ أن يقــدّسَ خــائنٌ أو أن يطــول علـــى البــريء حســابُ

17- قصيدة (إلى الخاتون مس بل)[199] نظمت في عام 1929 من (الكامل) وقد كرسها كاملة وهي أربعة عشر بيتا لهجاء (المس بل) سكرتيرة الشرق لدار الاعتماد البريطاني في العراق يقول فيها :

قُـلْ للمـسِ الموفـورةِ العـرضِ التـي لبســـتْ لحكــمِ النـــاسِ خيــرَ لبـــاسِ
لـــي قيلــــةٌ تُلقـــى عليـــكِ بمســـمعٍ وبمحضــــرٍ مـــــن زمــــرةِ السّــــواسِ

18- قصيدة (في سبيل الجماهير)[200] نظمت في عام 1930 من (الطويل) وفيها عشرة أبيات في وسطها يهجو بها أركان الحكم الذين يقفون بوجه الإصلاح آنذاك يقول فيها :

أقــــولُ لقــــومٍ يجــــذبونَ وراءَهُــــم مســــاكينَ أمثــــالَ البعيــــرِ المعبــــدِ
أقــــاموا علـــى الأنفــاسِ يحتكرونَهـــا فــــأيَّ ســــبيلٍ يســـلكُ المــــرءَ يُطــــردِ
دعــوا الشــعبَ للإصــلاحِ يأخـذْ طريقَـهُ ولا تقِفــــوا للمصــــلحينَ بمرصـــــدِ

19- قصيدة (الحزبان المتآخيان)[201] نظمت في عام 1931 من (الطويل) وفيها خمسة عشر بيتا في وسط القصيدة يكرسها الجواهري لهجاء بعض الأحزاب السياسية المتنفذة يقول فيها :

---

(195) الديوان : 433/1 .
(196) م.ن : 455/1 .
(197) م.ن : 483/1 .
(198) م.ن : 501/1 .
(199) الديوان : 507/1 .
(200) الديوان : 11/2 .

يـدٌ رُكّسـت للزنـد فـي كـل حطـةٍ وأخـرى مـن السـحت المحـرم تأكـلُ
رأوا شـــرها غنمـــاً فلـــم يتعففـــوا ولـــذَّ لهـــم خـــزيٌ فلـــم يتســـربلوا
زخـــاريفُ قـــولٍ تعتليهـــا ركاكـــةً ويبـــدو علـــيهنَّ الخنـــا والتبـــذلُ
إذا مسّـها القـولُ الصـحيحُ تطايحـتْ كمـا مـرَّ يمشـي فـي السـنابل منجـلُ

20- قصيدة (يدي هذه رهن)[202] نظمت في عام 1931 من (الطويل) وفيها عشرون بيتا تناثرت في جسد القصيدة من أولها إلى آخرها يقول فيها متأسيا على حال الشعب :

وتنتابُـه الأهـواءُ مـن كـلِّ جانـبٍ وترمـي بـه شـتى المهـاوي فيرتمـي
وتنتشـــرُ فيـــهِ كـــلَّ يـــومٍ دعايـــةٌ وينـــدسُّ فيهـــا كـــلُّ فكـــرٍ مُســـمِّمِ
وتقضـــي عليـــه فرقـــةٌ مـــن مســـدّرٍ وتنهكـــه رجعيـــةٌ مـــن معمَّـــمِ
ومـــا رفـــع الدســـتور حيفـــا وإنمـــاً أتونـــا بـــه للنهـــب ألطـــف ســـلّمِ

21- قصيدة (الدم يتكلم بعد عشر)[203] نظمت في عام 1931 من (الخفيف) وقد مضت على ثورة العشرين عشر سنوات وكان العراق يجتاز أزمة سياسية خانقة وفي القصيدة أربعة عشر بيتا توزعت في جسد القصيدة يقول فيها :

مـــلأ اللهُ دورَكُـــم مـــن خيـــالي شـــبحاً مرعبـــاً يهـــزّ النخاعـــا
والليـــالي كلحـــاءَ لا نجـــمَ فيهـــا وتمـــرُّ الأيـــامُ ســـوداً سِـــراعا
خبَّرونـــي بـــأنَّ عيشـــةَ قـــومي لا تســـاوي حـــذاءك اللماعـــا

22- قصـيدة (لعبـة التجـارب)[204] نظمـت فـي عـام 1935 مـن (الطويـل) وفيهـا واحـد وعشرون بيتا تمثل أكثر القصيدة يهجو بها الطبقة السياسية يقول فيها :

وأوجـعُ مـا يصـمي الغيـورَ مقاصـرٌ أطلّـتْ علـى محجـورةٍ فـي الزرائـبِ
يَبـينُ علـى الحيطـانِ شـرحُ نعيمهـا وتغمرُهـا اللـذاتُ مـن كـلِّ جانـبِ
ويُجبـى إليهـا خمرُهـا مـن مشـارقٍ يُجـادُ بهـا تقطيرُهـا ومغـاربِ
وتلـكَ مـن الإدقـاعِ تتسـدُ الثـرى يلاعـبُ جنبيهـا دبيـبُ العقـاربِ

23- قصيدة (حالنا أو في سبيل الحكم)[205] نظمت في عام 1935 من (الطويل) وفيها سبعة وعشرون بيتا خُصصت لهجاء الوضع السياسي يقول فيها :

وقد صيحَ بـالإخلاصِ نهبـاً فلا ترى سـوى بـؤرَ التضـليلِ جسـراً العـابرِ
وبـاتَ نصـيبُ المـرءِ رهنـاً لمـا يـرى أولـوا الأمـرِ فيـهِ مثـلَ لعـبِ المقامرِ
فإمّـــا مُكَّـــبٌ للحضـــيضِ بوجهـــه علـى أنـه سـامى الـذرى فـي المفـاخرِ
وإمّـا إلـى أوجِ مـن المجـدِ مرتـقٍ علـــى ســـلّمٍ مـــن موبقـــاتٍ فـــواجرِ

24- قصيدة (بلا عنوان)[206] نظمت في عام 1936 من (الطويل) وفيها ستة أبيات في آخر القصيدة يقول فيها هاجيا السياسيين :

ولكننـــي آســـى لأخـــلاقِ عصـــبةٍ تعُـــدُّ المزايـــا الطيبـــاتِ مســـاويا
تـرى كـلَّ موهـوبِ الشـذاةِ عـدوَها وكـــلَّ رخـــيَّ العـــودِ خـــلاً مصـــافيا
وهـذا بـلاءٌ يمطـرُ الشـرَّ منـذراً وهـذا وبـاءٌ يجـرفُ الشـعبَ غاشـيا

25- قصيدة (لبنان)[207] نظمت في عام 1939 من (الخفيف) وألقاها في المهرجان الأدبي الذي أقامته مجلة العرائس اللبنانية وفيها ثمانية أبيات هي المقطع الأخير من القصيدة وفيها هجاء واضح للواقع السياسي العراقي يقول فيها :

---

(201)م.ن : 59/2 .
(202) م.ن : 77/2 .
(203) الديوان : 93/2 .
(204) م.ن : 235/2 .
(205) م.ن : 263/2 .
(206) م.ن : 305/2 لم يذكر عنوانها في الديوان .

مـا تقولـونَ فـي أديـبٍ(حريـبٍ) ! (مسـتقلٍّ) يلـوذُ بـ(الانتـدابِ)
خلتُ أنـي فـررتُ مـن (جـوِّ بغـداد) وطغيـان (جورِهـا) اللّهـابِ
ومـن الـزاحفينَ كالـدودِ (هونـاً) تحـتَ رجلـي (مسـتعمرٍ) غـلاّبِ

26- قصيدة (طرطرا)[208] نظمت في عام 1945 من (مجزوء الرجز) بعد أن أغلقت الحكومة جريدة الجواهري (الرأي العام) من خلال تطبيق مرسوم صيانة الأمن العام وسلامة الدولة ، والقصيدة كلها تسعة وثمانون بيتا هي من الهجاء السياسي الساخر يقول في بعض منها :

أعطـي سـماتَ فـارعٍ شـمردلٍ لبحتـرِ
واغتصـبي لضـفدعٍ سـماتَ ليـثٍ قسـورِ
وعطّـري قـاذورةً وبالمـديح بخّـري
وصـيّري مـن جعـلٍ حديقـةً مـن زَهـرِ
وألبسـي الغبـيَّ والأ حمـقَ ثـوبَ عبقـري
وأفرغـي علـى المخـا نيـثِ دروعَ عنتـرِ

27- قصيدة (ذكرى وعد بلفور)[209] نظمت في عام 1945 من (الوافر) وفيها سبعة عشر بيتا هجائيا في وسط القصيدة يقول فيها :

وربَّـةَ (صـفقةٍ) عُقِـدا فكانـت كتحـريمِ الطـلاقِ علـى النكـاحِ
تـدبّرُ فـي العواصـمِ مـن مريـبٍ خبيـثِ الـذكرِ مطعـونِ النـواحي
و(تصـريح) يمططُـهُ قـويٌّ كلـوحِ الطـينِ إذ يـدحُوه داحـي
و(حلـفٍ) لسـتُ أدري مـن ذهـولٍ أعـنْ جِـدٍّ يُـدبرُ أم مـزاحِ

28- قصيدة (ذكرى أبي التمن)[210] نظمت في عام 1946 من (الكامل)وفيها أكثر من خمسة وعشرين بيتا في وسط القصيدة كرسها لهجاء الوضع السياسي القائم آنذاك يقول فيها :

وروايـةٍ حَبَـكَ الزمـانُ فصُـولها فبـدتْ لنـا ممسـوخةَ الأدوارِ
مـن شـرٍّ مـا اختلـقَ الـرواةُ ولُفّقـتْ حيّـلٌ وضـمتْ دفـةُ الأسـفارِ
ومفـرقينَ مـذاهباً وعناصـراً متكلفـينَ سياسـةَ اسـتعمارِ
نزلـوا علـى حكـمِ الغريـبِ وعرّسـوا فـي ظـلِّ مأثمـةٍ لـه فُجّـارِ
وتحلّبـوا أوطـارَهُ فـإذا بهـا وشـلٌ لمـا اسـتحلى مـن الأوطـارِ

29- قصيدة (أرشد العمري)[211] نظمت في عام 1946 من (مجزوء الكامل المرفل) وهي ستة أبيات كلها من الهجاء السياسي لرئيس الوزراء آنذاك أرشد العمري الذي افتتح عهده بإغلاق الصحف يقول فيها :

تركـوا الـبلادَ وأمرَهنّـه لخيـالِ مسـعورٍ بجنّـه
لمغفـلٍ عمّـا بـه حمقـاً فكيـفَ لمـا بهنّـه
تركـوا الـبلادَ وأمرَهنّـه للـدائراتِ تديرُهنّـه
وموكـلٍ بالبـائعينَ وبالـدروبِ ورشـهنّه
ومرافـقِ نُـدلِ الفنـادقِ بـين مـردوخٍ وحنّـه
بـاللهِ قـلْ لـي يـا ابـنَ منتـو فِ السـبالِ لأنـتَ فتنـه

30 قصيدة (اليأس المنشود)[212] نظمت في عام 1947 من (البسيط) وفيها اثنا عشر بيتا في وسطها يهجو بها السياسة وأصحابها الذين حطوا من قدر هذه الأمة يقول فيها :

---

(207) الديوان : 361/2 .
(208) الديوان : 119/3 .
(209)م.ن : 129/3 .
(210) الديوان : 135/3 .
(211) م.ن : 177/3 .
(212) م.ن : 190/3 .

شـــدوا بـــذيلِ غـــرابٍ أمـــةً ظَلِمـــتْ تطيـــرُ إن طـــارَ او تهـــوي إذا وقعـــا
وخوّفوهـــا بـــ(دُبٍ) ســـوفَ يأكُلهـــا فـــي حـين (تسـعونَ عامـاً) تـألفُ السـبعا
وأودعـــوا لغـــلاظٍ مـــن (زبانيـــةٍ) حمقـى حراسـةَ قِرطـاسٍ لهـم وضـعا
وذاك معنـــاهُ أنْ بيعـــوا كـــرامَتَكم بيـــعَ العبيـــدِ بتشـــريعٍ لَكـــم شَـــرعا

31- قصيدة (أخي جعفر)[213] نظمت في عام 1948 من (المتقارب) وألقاها الجواهري في الحفل الذي أقيم في جامع الحيدر خانة في بغداد لمناسبة مرور سبعة أيام لاستشهاد أخيه محمد جعفر الجواهري وبقية شهداء وثبة كانون الثاني في عام 1948 وفي القصيدة عشرة أبيات من الهجاء السياسي متناثرة في جسد القصيدة يقول فيها :

يقولـــون مـــن هـــم أولاءِ الرعـــاع فـــأفهمَهمُ بـــدمٍ مـــن هُـــمُ
وأفهمَهـــــم بـــــدمٍ أنّهـــــم عبيـــدُك إن تـــدْعِهم يخـــدموا
فإنّـــك أشـــرفُ مـــن خيـــرِهم وكعبُـــك مـــن خـــدّه أكـــرم

32- قصيدة (يـوم الشـهيد)[214] نظمـت فـي عـام 1948 مـن (الكامـل) بمناسـبة الـذكرى الأربعينية لاستشهاد (جعفر الجواهري) وفـي القصـيدة أربعـة وعشـرون بيتـا فـي وسـطها كرسـها لهجاء الطبقة السياسية الحاكمة يقول فيها :

والممتلـــونَ كـــأنّهم كـــلُّ الـــدُنى والفـــارغونَ كـــأنّهم أصـــنامُ
والصـــادعونَ بمـــا يـــرى مســـتعمرٌ فهـــمُ متـــى يـــأمُرهُم خـــدّامُ
والمولعـــونَ بفـــاجرتِ مطـــامعٍ فلهُـــم قعـــودٌ عنـــدَها وقيـــامُ

33- قصيدة (دم الشهيد)[215] نظمت في عام 1948 من (الوافر) وفيها خمسة عشر بيتا في وسط القصيدة يقول فيها :

ولا تنســـوا بـــأنَّ لـــه عبيـــداً شـــرَاهم بابتســـامتِهِ وباعـــا
حبَـــاهم شـــرّ مـــا يُحبـــى خـــؤونٌ يغـــذي مـــن كرامتِـــه الطِماعـــا
وعوّضَـــهم عـــن الشـــرفِ المبقـــى حطـــامَ المـــالِ يـــذهبُ والضـــياعا

34- قصيدة (فلسطين)[216] نظمت في عام 1948 من (الوافر) وفيها عشرة أبيات في أواخر القصيدة يقول فيها :

ولـــوغٌ فـــي دمِ الخـــلِّ المصـــافي فقـلْ مـا شـئتَ فـي الجنـفِ المعـادي
ولبّـــاسٌ علـــى ختـــلٍ وغـــدرٍ ثيـــابَ الـــواقفينَ علـــى الحيـــادِ
وخـــبٌ لا يُريـــك متـــى يـــواتيَ فتـــأمنُ ســـرَّه ومتـــى يصـــادي

35- قصيدة (هاشم الوتري)[217] نظمت في عام 1949 وألقاها في الحفل التكريمي الذي أقيم للدكتور هاشم الوتري لمناسبة انتخابه عضوا شرفيا في الجمعية الطبية البريطانية وفيها أكثر من خمسين بيتا هجائيا توزعت في القصيدة يُعرّض ويهجو فيها نوري السعيد رئيس وزراء العراق آنذاك [218] من (الكامل) يقول فيها :

ولقـــد رأى المســـتعمرونَ فرائســـاً منّـــا وألفـــوا كلـــبَ صـــيدٍ ســـائِبا
فتعهـــدُوه فـــراحَ طـــوعَ بنـــانِهم يبـــرونَ أنيابـــاً لـــهُ ومخالِبـــا
أعرفـــتَ مملكـــةً يُبـــاحُ (شـــهيدُها) للخـــائنينَ الخـــادمينَ أجانِبـــا
مســـتأجرينَ يخربـــونَ ديـــارَهُم ويكـــافئونَ علـــى الخـــرابِ رواتِبـــا

---

(213) الديوان : 255/3 .
(214) م.ن : 267/3 .
(215) م.ن : 289/3 .
(216) م.ن : 317/3 .
(217) الديوان : 391/3 .
(218)ظ : الديوان : 391/3 وما بعدها .

36- قصيدة (أطبق دجى)[219] نظمت في عام 1949 من (مجزوء الكامل المرفل) وهي ستة وخمسون بيتا من الهجاء السياسي الساخر يقول فيها :

أطبـــقْ علـــى هـــذي الكـــرو ـــــش يمطّهـــا شـــحمٌ مُـــذابُ
مـــــن حولِهــــا بقــــرٌ يخـــو رُ وحولَــــــهُ غرثـــى سِـــغابُ
مســــــــتنوقينَ ويـــــــــزأرونَ كــــــأنَّهم أُسُـــــدٌ غـــــلابُ

37- قصيدة (سر في جهادك)[220] نظمت في عام 1950 من (الكامل) وفيها ثلاثة وعشرون بيتا يهجو بها الساسة المتحكمين بمصائر الشعوب وقد كتبها إثر فوز حزب (الوفد المصري) بالانتخابات وتوليه الحكم في مصر وإعلان حكومة الوفد إلغاء المعاهدة المصرية – البريطانية في عام 1936 يقول فيها :

بـينَ اثنتـينِ ! فساسـةٌ قـد أوثَقـوا بـــــالأجنبي وساســـــةٌ جنبـــــاءُ
و(محايـــدونَ) يفـــاخرونَ بـــأنَّهم عمّــــا يحيـــقُ بـــأهلِهم غربَــــاءُ
و(مناوشـــونَ) يبـــادلونَ خصـــومَهم غـــزلاً فـــلا عَنَـــتٌ ولا إيـــذاءُ
و(مهـــذبونَ) خُصـــومةً وطريقـــةً مرنُـــونَ فـــي أســـلوبِهم ظُرفـــاءُ

38- قصيدة (عبد الحميد كرامي)[221] نظمت في عام 1950 من (الكامل) وفيها أكثر من أربعين بيتا هجائيا هاجم فيها الساسة وأفعالهم تجاه شعوبهم وقد ألقا ها في الاحتفال الذي أقامته لجنة تأبين عبد الحميد كرامي يقول فيها :

تلـــكَ الثلاثـــونَ العجـــافَ أذلّهـــا ســوطَ الرعـــاةِ ومسّـــها الأضـــرارُ
جمـدتْ علـى الجلـدِ اليبـيسِ ضـروعُها مـن فـرطِ مـا احتلبـتْ لهـا أشـطارُ
لـــم تبـــقِ منهـــا الطارئـــاتُ جُـــزارَةً لـــو كـــانَ يعـــرفُ رحمـــةً جـــزارُ

39- قصيدة (أيها الوحش .. أيها الاستعمار)[222] نظمت في عام 1951 من (الرمل) وكل القصيدة هجاء سياسي ساخر كتبها الجواهري والحرب الكورية على أشدها أثر التدخل الأمريكي يقول فيها :

أيهـا الـوحشُ أطِـلْ عهـدَ الظـلامْ تبعـــد الســـاعةَ عـــن موعِـــدِها
بَــــرِرِ الجـــورَ بأســـياطِ الطغـــامْ تبعـــث النقمـــةَ مـــن مرقـــدِها
كـمْ وَكـمْ هـزتْ أهـازيجُ الظـلامْ أمـــةً غارقـــةً فـــي دَدِهـــا

فـــامضِ فـــي ميـــدانكَ المـــزدحمِ
بجـــــراثيمِ الخنــــا واســــتبقِ
فغـــداً يُكـــبحُ عـــضَّ اللُجُـــمِ
مـــن عنـــانِ الســـادرِ المنطلـــقِ

40- (مقالة كَبُرتْ)[223] وهما بيتان فقط نظمها في عام 1951 لأنه أراد أن يصاحب رحيله عن مصر دويٌ كبير فبدأ بنظم هذه القصيدة إلا أنه تركها عند بيتين فقط استجابة لرجاء الدكتور طه حسين يقول هاجيا مصر السياسية والبيتان من (البسيط) :

مـا انفـكَ يـا مصـرُ والإذلالُ تعويـدُ يســومُكِ الخســفُ كــافورٌ وأخشــيدُ
مقالـــةٌ كَبُـــرتْ الحـــبُ شـــافعُها حبُّ المسودينَ لـو شـاؤوا لمـا سيدُوا

---

(219)الديوان : 405/3 .
(220) الديوان : 11/4 .
(221) الديوان : 37/4 .
(222) م.ن : 53/4 .
(223) م.ن : 86/4 .

41- قصيدة (في مؤتمر المحامين) [224] ونظمت في عام 1951 من (المتقارب) وفيها أكثر من ثلاثين بيتا تناثرت في القصيدة وقد ألقاها في الحفلة التي أقامتها نقابة المحامين العراقيين تكريما لوفود المحامين العرب ، يقول فيها :

وفــرّوا خفافــاً فــرارَ الأبيــقْ   يحــنُّ إلــى ربقــةِ الآســرِ
ومُــدتْ يــدٌ مــن وراءِ الخطــوبِ   لثــانٍ يســاومُ كالتّــاجرِ
فكــانَ ســتاراً علــى ســوءةٍ   تبــدّتْ بهــا ســوءةُ الســاترِ
ورُدتْ (هلــوكٌ) إلــى بَغيهــا   وعــادتْ إلــى أمسِــها الــدّاعرِ

42- قصيدة (ما تشاؤون)[225] نظمت في عام 1952 من (مجزوء الخفيف) وهي ثمانية وأربعون بيتا من الهجاء السياسي الساخر يقول فيها :

مــا تشــاؤونَ فاصــنعوا   تســتعزّوا وتمنعــوا
ضــيّقوا مــا اســتطعتُم   مــن خِنــاقٍ ووسّــعوا
مــا نهبــتُم فوزِّعــوا   للحواشــي وقطّعــوا
عــن ذويكُــم وعــنكُمُ   الدّســاتيرُ تُــدفَعُ

43- قصيدة (ظلام)[226] التي نظمها الشاعر في عام 1952 في معتقل أبي غريب أثر اعتقاله بعد انتفاضة تشرين 1952 ، وعديد مقاطع هذه القصيدة من الهجاء السياسي يقول في أحد مقاطعها من (المتقارب) :

غفــا الحقــدُ يــا ليــلَ كــالمومسِ
وكلَّــتْ عيــاءً فلــم تهجــسِ
ونامــتْ ضــمائرُ فــي أنفــسِ   مشــى الــرجس فيهــا يلــوث الــذما
ويرقــى بأنفاســها ســلما

44- قصيدة (أم عوف)[227] نظمت في عام 1955 من (البسيط) وفيها عشرة أبيات في وسطها يقول فيها :

يـا(أم عـوفٍ) سـئمنا عـيشَ حاضـرةٍ   تــرُبُّ ســقطينِ شــريراً ومســكينا
وحـشٌ وإنْ روّضَ الإنسـيُّ جامِحُهـا   قَفــرٌ وإنْ مُلئــتْ ورداً ونِســرينا
ضــحّاكةُ الثغــرِ بُهتانــاً وحامِلــةً   فــي الصــدرِ للشــرِ أو للبــؤسِ تنّينــا
وخانِقــاً مــن (قراميــدٍ) يحوّطُنــا   حــوطَ الســجونِ مناكيــداً مســاجينا

45- قصيدة (خلفت غاشية الخنوع)[228] نظمت في عام 1956 وهي من(الكامل) يهجو بثلاثة عشر بيتا في وسطها الساسة العراقيين ويعرّض بـ(حلف بغداد) وقد ألقاها في الاحتفال بذكرى الشهيد عدنان المالكي في سوريا وكان ممثلا للعراق فيه يقول :

أضــحيةَ الحلــفِ الهجــينِ بشــارةٌ   لــكِ فــي تكشـفِ سـوءةِ الهُجنـاءِ
أسـطورةُ (الأحـلافِ) سـوفَ يمَجّهـا التـا   ريــخُ مثــلَ خرافــةَ (الحلفــاءِ)
قــالوا (تعاقــدنا) فقلــتُ هنِئــتُم   بقـرانِ فـرطِ خنـا بفـرطِ غبـاءِ

46- قصيدة (الجزائر)[229] نظمت في عام 1956 من (المتقارب) وفيها ستة عشر بيتا في وسط القصيدة كرسها في هجاء السياسة الفرنسية في الجزائر وما آلت إليه الأمور جراء ذلك يقول فيها :

---

(224) الديوان : 89/4 .
(225) م.ن : 125/4 .
(226) م.ن : 139/4 .
(227) م.ن : 197/4 .
(228) الديوان : 215/4 .

(فرنسا) وما أقبحَ المدَّعى كِذاباً وما أخبثَ المدَّعِي
وحاديةٍ أنزلتْ ركبَها خِداعاً على مُذئبٍ مُسبعِ
ومُستذئبٍ يستميلُ الرعاةِ لتلجأَ منهُ إلى مَفزعِ
لكِ الويلُ فاجرةً علّقتْ (صليبَ المسيحِ) على المخدعِ

47- قصيدة (بور سعيد)[230] نظمت في عام 1956 من (الرجز) أثر العدوان الثلاثي على مصر وقد خصص تسعة أبيات في أولها لهجاء سياسة المستعمرين الغزاة يقول فيها :

يا معدنَ الخسةِ من تقاتِلُ وفوقَ مَن تُساقِطَ القنابِلُ
يا معدنَ الخسةِ .. ثم مَعبدٌ فيهِ إلهٌ تدّعيهِ مَاثِلُ
يا معدنَ الخسةِ نَكِّسْ عَلماً تطهّرتْ من لمسِهِ الأنامِلُ

48- قصيدة (جيش العراق)[231] نظمت في عام 1958 من (الكامل) حيى بها الجواهري ثورة 14 تموز 1958 وفيها أكثر من خمسة وعشرين بيتا توزعت في القصيدة كلها من الهجاء السياسي يقول فيها :

ومشى إلى الهرمِ النعيمِ فشبَّه والبؤسُ في عودِ الصبا فتغضنا
زحفتْ ملايينُ الجموعِ إليهم فتخيروا الأشرَ الأخسَّ الأجبنا
وتنكروا للطيبينَ كأنَّهم دودُ القبورِ ، يحبُ لحماً مُنتِنا

49- قصيدة (تحية إلى رونتري)[232] نظمت في عام 1958 من (المديد) لمناسبة زيارة المبعوث الأمريكي (رونتري) إلى العراق والذي اضطر للهرب من باب مطار بغداد الخلفي بعد استقبال مشحون [233] ، فحياه الجواهري بهذه القصيدة وهي ثمانية عشر بيتا وكلها من الهجاء السياسي الساخر والمتهكم يقول فيها :

يا رسولَ الشرِّ والدنسِ وغرابَ البينِ في الغلسِ
يا ابنَ أحلافٍ قد ارتَكَستْ في الدَّنايا شرَّ مرتَكِسِ
يا ابنَ بنتِ اللؤمِ قد سرقتْ في الليالي لحيةَ القسسِ
يا ضحوكاً عن فمٍ بشعٍ ضمَّ نابَ الفاتكِ الشرسِ

50- قصيدة (في يوم التأميم)[234] نظمت في عام 1972 من (مجزوء الكامل) وقد ألقاها في الحفل الذي أقامته المنظمات الوطنية العراقية في (براغ) لمناسبة صدور قرار تأميم النفط وقد كرس فيها أربعة وثلاثين بيتا للهجاء السياسي يقول فيها :

صهبُ السبالِ يهزّها طفلٌ جميلٌ (أسودُ)
وشرائعٌ تضنى بما يوحي السفيرُ وتوجدُ
وصنائعٌ من كلِّ لونٍ خادعٍ يتعددُ
يتناسخونَ .. فصبغةٌ عن صبغةٍ تتولدُ

51- قصيدة (على الرصيف)[235] نظمت في عام 1973 من (السريع) وفيها أحد عشر بيتا في نهاية القصيدة يقول فيها :

يا ابنَ الحضاراتِ وهل بُدِّلتْ بؤساً ، دساتيرُ وأحكامُ

---

(229) م.ن : 233/4 .
(230) م.ن : 251/4 .
(231) الديوان : 297/4 .
(232)م.ن : 321/4 .
(233) ظ : م.ن : 321/4 .
(234) الديوان : 85/6 .
(235) الديوان : 135/6 .

خداعــةُ الوجــهِ وفــي جوفِهــا	أســوأ مــا ضــمّته أرحــامُ
وتســرقُ النــاسَ .. وأوطانَهــا	لــصٌ ولا يُقطــعُ إبهــامُ
وتُعبَــدُ الأعــرافُ فيــه كمــا	تُعبَــدُ أحجــارٌ وأصــنامُ

52- قصيدة (الصحراء في فجرها الموعود)[236] نظمت في عام 1974 من (البسيط) تحية لشعب المغرب في أثناء أزمة الصحراء المغربية لانتزاعها من يد الاستعمار الإسباني وقد ألقيت في الحفل الذي أقيم للشاعر في القاعة الكبرى بمسرح (محمد الخامس)[237] وفيها تسعة أبيات خصصها لهجاء السياسة الإسبانية يقول فيها :

مــا بــالُ (مدريــدَ) تشــكو العســرَ معــدَتُها	وتســتزيدُ بمــا لا تهضِــمُ المِعُــدُ
أتشــربُ البحــرَ فــي حلقومِهــا عَلَــقٌ	وتقضــمُ الصــخرَ فــي (أســنانِها) دَرَدُ
عــوّذتُ شــعبكِ يــا مدريــد مــن نَكَــدٍ	لـو لـم يكنْ مـن صـنيعِ الساسـةِ النَّكَدُ

53- قصيدة (آه على تلكم السنين)[238] نظمت في عام 1977 من (مخلع البسيط) وفيها أكثر من عشرة أبيات يقول فيها :

وإذ ولاةُ الأمــورِ منّــا	شــرائحُ اللّحــمِ فــي الصــحونِ
مــا إنْ نُبقّــي فيــه مــدباً	للطعــنِ مــن كثــرةِ الطعــونِ
إذ كــلّ مستصــعرٍ مريــدٍ	يمســخُ فــي صــاغرٍ مهــينِ

54- قصيدة (المتنبي فتى الفتيان)[239] نظمت في عام 1977 من (الوافر) وقد ألقاها في الأمسية الشعرية التي أقيمت في قاعة (ابن النديم) في مهرجان المتنبي [240] ، وفيها أحد عشر بيتا في أواخر القصيدة يقول فيها :

تمزّقنــا دويــلاتٌ تلاقــتْ	بهــا الرايــاتُ ضــمّا واحتضــانا
تُرّقَــعُ رايــةٌ منهــا بــأُخرى	وتســتبقي أصــائِلُها الهجانــا
إمــاراتٌ يمــارُ بهــا هوانــاً	ومشــيخةٌ تجــددُ مــن صِــبانا

55- قصيدة (كم ببغداد ألاعيب)[241] نظمت في عام 1957 في دمشق من (المديد) وهي أربعة وخمسون بيتا من الهجاء السياسي الجاد والساخر يقول فيها :

كــمْ ببغــدادٍ ألاعيــبُ	وأضــاحيكٌ أخاشــيبُ
وعضــاريطٌ مرازبــةٌ	ويرابيــعٌ يعاســيبُ
كــلُّ منخــوسٍ ومشــفرُهُ	بيــدِ الأطمــاعِ مثقــوبُ
ودمــيً للأجنبــي بهــا	خبــبٌ حلــو وتقريــبُ

56- قصيدة (أفتيان الخليج)[242] نظمت في عام 1979 من (الوافر) وألقاها الشاعر خلال زيارته لاتحاد الإمارات العربية بدعوة من مثقفيها وفيها عشرة أبيات يقول فيها :

حــذارِ بنــي الخلــيجِ فــثمَّ وحــشٌ	حديــدُ النــابِ مفتــرسٌ حقــودُ
خبيــثُ الكيــدِ فــي شــركٍ خفــيٍ	يصــيدُ عوالمــاً فيمــا يصــيدُ
فيــا لــكِ أمــةً قُســمتْ ثلاثــاً	وعشــريناً وتســألُ هــل مزيــدُ؟
تعــدُّ لكــلِّ واحــدةٍ طبــولٌ	وحــراسٌ وترتفــعُ البنــودُ

---

(236) م.ن : 185/6 .
(237) ظ : م.ن : 185/6 .
(238) الديوان : 55/7 .
(239) م.ن : 99/7 .
(240) م.ن : 99/7 .
(241) الديوان : 235/7 .
(242) ديوان الجواهري (طبعة بيسان) : 264/5 .

57- قصيدة (أ أبا مهند)[243] ونظمت في عام 1985 من (أحذ الكامل) وفيها أكثر من عشرة أبيات يهجو بها حال الأمة العربية يقول فيها :

أ فأمـــــةٌ هـــذي التـــي هُزِمـــتْ	وتنــــــــاثرتْ فكأنّهـــــــا أمـــــــمُ
يسـطو علـــى صـــنمٍ بهـــا صـــنمٌ	ويغـــارُ مـــن علـــمٍ بهـــا عَلَـــمُ
ويســـــاوِمونَ علــــى شــــعوبِهُم	أعـــدى الخصـــومِ كـــأنَّهم حَكَـــمُ
أ فــــــألفَ مليـــــونٍ وقبلــــــتُهم	بيـــدِ اليهـــودِ الصــــفرِ تُقتَســـمُ

58- قصيدة (ذكرى وعد بلفور)[244] نظمت في عام 1986 من (البسيط) وفيها أكثر من عشر أبيات من الهجاء السياسي للحكام العرب يقول فيها :

أ جيــرةٌ؟ وغـــزاةُ الجـــارِ عنـــدَكمُ	أ أخـــوةٌ ؟ وغريـــبُ فـــيكُم الـــرَّحِمُ
أتنــــــدبونَ فلســـــطيناً وبيـــــنَكُم	وبـــينَ غاصِـــبها مَرعيّـــةٌ ذِمـــمُ
عشرونَ بلفورَ في عشرينَ عاصِمةٍ	بفضــلِ مــا فــاءَ مــن نعمَــاهُ تَعتصِــمُ

ثانيا : الهجاء الخاص :

لهذا الاتجاه المرتبة الثانية بعد الهجاء السياسي وهو ما هجا أو تناول أو عرّض بأفراد ذكر أسماءهم في شعره أو في ذكرياته منهم أدباء (شعراء أو كتّاب نقد أو غير ذلك) ورؤساء ووزراء أو سياسيون بشكل عام ومنهم أصحاب شهرة اجتماعية عراقيين أو عرباً وينتظم هذا الاتجاه على النحو الآتي :

---

(243) م.ن :317 .

(244)ديوان الجواهري (طبعة بيسان) : 333 .

1- قصيدة (الشاعر السليب)[245] نظمت في عام 1923 من (الطويل) فيها أكثر من عشرة أبيات يهجو بها أشخاصا من مدينة النجف الأشرف لم يسمِّهم يقول :

لهم حَسَبٌ في اللؤمِ دُقتْ عروقُهُ ... طوارفه تسمو بهم والتوالدُ
مُحالا أرى تصحو من الغي قفرة ... أراذلُها تكسى وتعرى الأماجدُ
لئن سلبوا ثوباً أرثَّ فبعدما ... كستهم ثيابَ العارِ مني القصائدُ

2- قصيدة (على ذكرى الربيع)[246] نظمت في عام 1925 من (البسيط) في آخرها عشرة أبيات يهجو بها من ناصبه العداء وحاول النيل من شعره وموهبته يقول فيها :

جيلٌ من الناس عدواهم لأخوتهم ... من الخبائث عدوى السم في الزادِ
كلفتموني من الأقوال أصعبها ... نطقا كما كُلّف الأعجامِ بالضادِ
ما إن تحطون شعري قيدَ أنملةٍ ... إن لم تصوغوه أطواقاً لأجيادِ

3- قصيدة (شوقي وحافظ)[247] نظمت في عام 1925 من (الكامل) في وسطها عشرة أبيات كرسها لهجاء بعض الشعراء يقول فيها :

أ أنا الذي اتخذ البلاد شعاره ... أم هم وقد لبسوا ثياب نفاقِ
أم هم وكم بيت لهم مستهجنٍ ... نابٍ عن الأسماع والأذواقِ
أم هم وقد باعوا الضمائرِ واشتروا ... عيش الذليل وبلغة الإرماقِ
غنوا سواهم يطلبونَ عتادَهُ ... فكأنهم (جوقٌ) من الأجواقِ

4- قصيدة (ليت الذي بك في وقع النوائب بي)[248] نظمت في عام 1925 من (البسيط) فيها خمسة أبيات يهجو بها الشيخ مهدي الحجار وشعر الشيوخ [249] يقول فيها :

تلجلجتْ بدخيلِ القول (ألسنةٌ) ... للعرب كان قديماً زينة الكتبِ
إن أنكرتني أناسٌ ضاع بينهم ... قدري فمن عرّف (الحجار) بالذهبِ
كم حاسدٍ لم يجرب مقولي سفها ... حتى دسست إليه السم في الرُّطبِ

5- قصيدة (بلدتي والانقلاب أو درس الشباب)[250] نظمت في عام 1926 من (مجزوء الكامل) فيها عدة أبيات يهجو بها الشعراء يقول فيها :

كل يوم شاعرٌ ... كالبوم ينعى في خرابِ
وقوافٍ لا تلحن ... السمع إلا باغتصابِ
لهجة الصدق بها ... مثل بياضٍ في غرابِ

6- قصيدة (جربيني) [251] نظمت في عام 1929 من (الخفيف) وفيها عدة أبيات يهجو بها نفسه وبعض الشعراء المعروفين يقول فيها :

وأنا في جهنم مع أشياخٍ ... غواة بغيّهم غمروني
ودعيني مستعرضا في جحيمي ... كل وجهٍ مذمم ملعون
عن يساري أعمى المعرة و(الـ ... ـشيخ) الزهاوي مقعدا عن يميني

7- قصيدة (المازني وداغر)[252] نظمت في عام 1936 من (المتقارب) ألقاها الشاعر في حفلة أقامها (رفائيل بطي) صاحب جريدة (البلاد) لإبراهيم عبد القادر المازني وأسعد خليل داغر [253] فيها عشرة أبيات يهجو بها داغر هجاءً ضمنيا يقول فيها :

---

(245) الديوان : 201/1 .
(246) م.ن : 295/1 .
(247) م.ن : 301/1 .
(248) الديوان : 307/1 .
(249) ظ : م.ن : 311/1 .
(250) م.ن : 317/1 .
(251) م.ن : 489/1 .

أ أســـــعدُ إن حـــــديثي إليـــــك حــــديثَ مقــــيمٍ إلـــى ظـــاعنِ
أخـــافُ السياســـةَ خـــوفَ اللديـــــغ مـــن أرقـــمٍ نـــافحٍ شـــاحنِ
غمـــوض السياســـة يبـــدو عليـــــك فـــي مظهـــر الهـــادئ الســـاكنِ

8- قصيدة (غضبة)[254] نظمت في عام 1948 من (الكامل) على أثر تعريض صحيفة منسوبة إلى أحد الأحزاب العراقية بالشاعر كذبا وافتراءً وفي القصيدة أكثر من عشرين بيتا من الهجاء لأناس ناصبوه العداء ، وهجاؤه هنا يتسم باحتقار هؤلاء ، يقول فيها :

عـــدت الضـــباع عليـــك عاديـــةً ظنّـــاً بأنـــك مأكـــلٌ جـــزرُ
حســـدوك أنـــك دســـت هـــامتهم متجبـــــرا ولنعلـــــك الفخـــــرُ
لا أمـــر عنـــدهم فهـــم همـــلٌ غفـــلٌ وكـــل حيـــاتهم خمـــرُ

9- قصيدة (التعويذة العمرية) نظمت في عام 1954 من (مجزوء الكامل) وكل القصيدة وهي ستة عشر بيتا في هجاء أرشد العمري [255] وهي من الهجاء الخاص الساخر يقول فيها :

يـــا خيــرَ مــن حكــم الــبلا د وخيــرَ مــن (ســاس) البشــرْ
يــا خــالقَ (النــواب) خلــق (الطيـــر) مـــن طـــين الحفـــرْ
يـــا منقـــع الأرض اليبيســـة مـــن دمـــاء بنـــي التتـــرْ
ســـبحان خالقـــك المبـــرأ كيـــف صـــاغك مـــن دررْ

10- قصيدة (الناقدون)[256] نظمت 1957 من (المتقارب) في سوريا وفيها ستة وعشرون بيتا توزعت في القصيدة يهجو بها النقاد الذين شوهوا عمدا تارة وجهلا تارة أخرى مقاييس الأدب ومفاهيمه وآثاره ورجاله بدوافع إقليمية ضيقة أو بعوامل الحسد والحقد والأثرة وبغض الفكرة الحرة [257] يقول فيها :

تجـــادلُ فـــي حجـــرٍ نـــازلٍ لـــتغمطَ مـــن كوكـــبٍ صـــاعدِ
وتعمـــى وأنـــت تـــرى الزاحفـــات عـــن مشـــعلٍ للســـنا واقـــدِ
متـى رُحـتَ تمـدحُ (فـأرَ) القـريض تكيـــــدُ لضـــــرغامه المـــــاردِ
عظمـــت حقـــوداً .. ونعـــم الغبـــاء يعصـــف فـــي عـــالم حـــاردِ

11- قصيدة (باسم الشعب)[258] نظمت في عام 1958 من (الكامل) فيها ستة أبيات يهجو بهـا أناسـا كـانوا فـي حـال وأصـبحوا فـي حـال أخـرى بعـد تجبـرهم ووقـاحتهم يقـول فيها :

والأذؤبُ الأقحـاح فـي جبـروتهم وســط الســجون أرانــبٌ أقحـــاحُ
كانـت قباحـاً فـي الـرؤوس وجـوههم واليـوم وهـي علـى الصـدور مـلاحُ
زادت ملامحهـــم غبـــاءً وانجلـــى زيـف الغمـوض بهـا فهـنَّ فصـاحُ

12- قصيدة (يا ابن الفراتين)[259] نظمت في عام 1969 من (البسيط) ألقى الجواهري قسما منها في مهرجان الشعر ببغداد في شهر نيسان في عام 1969 وفيها أكثر من عشرين بيتا يهجو ناقديه من الشعراء والنقاد وأهل اللغة يقول فيها :

فـي الشـعر مـن فـرط مـا احتكوا بـه دَبَرٌ كمـا تأكّـلَ عظـم الناقـة القتـدُ
تشـكت (الضـادُ) ممـا ينزلـون بهـا كمـا اشتكى الجسم مما تفرز (الغددُ)

---

(252) الديوان : 287/2 .
(253) ظ : م.ن : 287/2 .
(254) الديوان : 305/3 .
(255) م.ن : 165/4 .
(256) م.ن : 279/4 .
(257) ظ: م.ن : 279/4 .
(258) الديوان : 309/4 .
(259) الديوان : 347/5 .

فـــي لفظـــهِ ظَربـــاءَ مـــن تقيحّـــه وفـــي معانيـــه مـــن أنفاســـهم قـــردُ
نجـــوا بـــزعمهم مـــن أســـرِ قافيـــةٍ والشـــعرُ لـــولا إســـارٌ نثـــرةٌ قـــددُ

13- قصيدة (تحية ونفثة غاضبة)(260) نظمت في عام 1974 من (الوافر) ألقاها في الحفلة التكريمية التي أقامتها وزارة الدولة للشؤون الثقافية بمسرح محمد الخامس في الرباط في مساء يوم 20 أيلول في عام 1974 تعرّض خلالها لدعاة الاستغلال والانتهازيين تحت شعارات مزيفة (261) فيها أحد عشر بيتا يهجو هؤلاء يقول فيها :

وأخبـــث نـــاهزٍ مـــن راح عمـــداً يســـيء حراجـــةَ الضـــيف اغـــتلالا
وعنـــدي فـــيهم خبـــرٌ ســـيبقى تغـــامز منـــه أجيـــالٌ تـــوالى
حـــذارِ فكـــم حفـــرت لحـــودَ عـــارٍ لأكـــرم مـــنهم عمّـــاً وخـــالا

14- قصيدة (أزح عن صدرك الزبدا)(262) نظمت في عام 1975 من (مجزوء الوافر) ألقى قسماً منها في الحفل الذي أقامته جمعية الرابطة الأدبية في النجف في مساء الثاني من تشرين الثاني في عام 1975 ، لتكريمه لمناسبة حصوله على جائزة اللوتس (263) في القصيدة أكثر من خمسين بيتا في الهجاء الخاص لشتى طبقات من الناس والشعراء يقول فيها :

و(بطـــنٌ) ينـــتج الشـــعرا ءَ لا احصـــــيهم عـــــددا
مـــدبُّ الـــدودِ مـــن أصـــفى ومـــن أخـــوى ومـــن بَلُـــدا
يـــوزّعهم علـــى (العثـــرات) أكوامـــاً بهـــا نَضَـــدا

15- قصيدة (حبيبتي)(264) نظمت في عام 1976 من (البسيط) أهداها إلى زوجته (أمونه) فيها أربعة أبيات يهجو بها لئاما يعرفهم يقول فيها :

حبيبتـــي إنمـــا أغـــرى اللئـــامُ بنـــا إنّـــا جُبلنـــا بطـــينٍ غيـــر مـــا خلقـــوا
خيطـــتْ علـــيهم جلـــودٌ عنـــدنا قـــرف مـــن ريحهـــا وعلـــيهم نشـــرها عبـــقُ
كـــم ســـرنا عســـرنا مســـتعليا بـــدلا عـــن يســـرهم يمتطيـــه الـــذلُّ والملـــقُ

16- قصيدة (آليت)(265) نظمت في عام 1975 من (مجزوء الكامل المرفل) فيها ثلاثة عشر بيتا من الهجاء الخاص (266) ، يقول فيها :

ومخنـــــثٍ لـــــم يُحتســـــبْ فـــــي ثيـــــبٍ خُطبـــــت وبِكـــــرِ
أقعـــــى .. وقـــــاءَ ضـــــميره مـــــلآنَ مـــــن رجـــــسٍ وعهـــــرِ
غـــــالٍ كـــــأرخص مـــــا تكـــــو ن أجـــــور غيـــــر ذوات طهـــــرِ

أســـــــلمته للمبتليـــــــــــن العـــــــــارفين بـــــــــه بمصـــــــــرِ

17- قصيدة (لغة الثياب)(267) نظمت في عام 1977 من (مجزوء الكامل المرفل) فيها أكثر من عشرة أبيات طافحة بالهجاء الخاص مع احتقار بيّن في أواخر القصيدة يقول فيها :

يعـــــرى فتحســـــب أنـــــه (قـــــردٌ) تنـــــزّى تحـــــت ســـــقفِ

---

(260) الديوان : 173/6 .
(261) ظ : م.ن : 173/6 .
(262) م.ن : 205/6 .
(263) ظ : الديوان : 205/6 .
(264)م.ن : 219/6 .
(265) الديوان : 41/7 .
(266) المقصود بالهجاء الكاتب غالي شكري ، ولمعرفة السبب ظ : لقاء الدكتور الأعرجي – مجلة فيض الكوثر العدد :125 شباط – 2010م .
(267) الديوان : 73/7 .

مـــــا كـــــان أحـــــوج مـــــن يرقّصُـــــهُ إلــــى (صـــــنج) و(دف)
فـــــإذا تقمصـــــني تبخـــــتر لا يطـــــاق مـــــن التكفـــــي

18- قصيدة (إلى المجد إلى القمة)[268] نظمت في عام 1978 من (المتقارب) فيها عشرة أبيات في وسط القصيدة يهجو بها الرئيس المصري أنور السادات بعد اتفاقية كامب ديفيد (وإن لم يصـــرح باســـمه) إلا أن ســـياق الهجـــاء الخـــاص واضـــح الاتجـــاه نحـــو مَنْ ، يقول فيها :

أتبقـــينَ (يامصـــرُ) مـــن يســـتباحْ   علـــى يـــدهِ الحـــرمُ الأمنـــعُ
خذيـــه (عتيقـــاً) ولا تصـــرعيه   فلـــيس جـــديرا بـــه المصـــرعُ
وتلّيـــه خزيـــان حتـــى الجبـــين   جبـــينٍ (لعجـــلٍ) الخنـــا يُهطِـــعُ
دعيـــه و(كرشـــاً) غنيّـــاً لـــه   ونفســـا لهـــا فقرهـــا المـــدقعُ

19- قصيدة (عصامي) نظمت في عام 1951 من (الوافر) أثر موت ثري كبير من أثرياء بغـــداد اشـــتهر ببخلـــه الشـــديد وقـــد أبنتـــه الصـــحف آنـــذاك وقالـــت أنـــه عصامي [269] ، والقصيدة كلها وهي خمسة عشر بيتا من الهجاء الخاص الساخر يقول فيها :

عصـــــاميٌ وفـــــذٌ عبقـــــريٌ   لطيـــفُ الكيـــدِ مشـــدودُ الجنـــانِ
وقـد أجـرى مـن الـذهب المصـفى   ينابيعـــاً تســـيلُ مـــع الزمـــانِ
وقـد عصـر الـدموع مـن اليتـامى   فقاقيعـــاً تفـــرُّ مـــن البنـــانِ
وحوّلهـــا ســـبيكاً مـــن نُضـــارٍ   بمعجـــزةٍ وعقـــداً مـــن جُمـــانِ

20- قصيدة (يا ابن الثمانين)[270] نظمت في عام 1982 من (البسيط) فيها أكثر من أربعين بيتا يهجو فيها خصومه والحاقدين عليه يقول فيها :

أجبـــكَ عـــن نصـــبِ أعـــلامٍ (مقلمـــةٍ)   غُفْـــلٍ ، شـــتات إذا كشـــفّتهم همـــلِ
و(للتماثيـــل) يســـتوحي بهـــا (مثـــل)   خيـر مـن البشـر الخـالين مـن (مُثُـلِ)
(خـرس) وإن خرقـوا الأسـماع فـي هـذر   يُغنـي النفوس وفـي مرصوفة (الجملِ)
يستأســـدون إذا مُـــدَّ العنـــان لهـــم   فـــإن يشـــد تـــردوا بـــزة (الحمـــلِ)

21- قصيدة (عبدة الجبورية)[271] نظمت في عام 1982 من (مجزوء الوافر) والقصيدة أكثر من سبعين بيتا كلها في الهجاء الخاص الساخر وهي في هجاء عبد الله الجبوري الذي أسماه (عبدة الجبورية) يقول فيها :

أ (عبـــــدة) والهـــــوى نســـــب   وأنـــــــت رفيعـــــــة النســـــــبِ
أبـــــوك أبـــــو النقيـــــرات   يُـــــــرقص ليلـــــــة الطـــــــربِ
يكـــــاد (الــــدف) فـــــي يــــده   يتيــــــه علــــــى ذرى الشــــــهبِ
و(أمـــــك) أمّـــــة الثقليـــــــ   ــــن مـــن مجـــد ومـــن حســـبِ
مشـــــــت بعروقهـــــــا دفـــــــع   عجـــــــاب مـــــــن دم ســــــربِ

22- قصيدة (برئت من الزحوف)[272] نظمت في عام 1985 من (الوافر) فيها أكثر من عشرة أبيات يقول فيها :

برئـــتُ مـــن الزحـــوفِ بـــدونَ حـــولٍ   ســـوى قُبـــل الحبيـــبِ إلـــى الحبيـــبِ
لتســـــلمه إلــــى وبــــش خســــيسٍ   ومرتكـــــبٍ ومشـــــبوهٍ مريـــــبِ
إلــــى صـــحفٍ تســـفُّ بـــلا ضـــمير   ســـوى مـــا دُسّ منهـــا فـــي الجيـــوبِ

---

(268) الديوان : 131/7 .
(269)م.ن : 201/7 .
(270) ديوان الجواهري ، طبعة بيسان 293/5 .
(271)ديوان الجواهري ، طبعة بيسان : 311/5 .
(272) م.ن :327 .

برئت من الزحوف مجعجعاتٍ   تخلفُ سكتة الموت الرهيبِ

23- قصيدة (صاح قلها ولا تخف)[273] نظمت في عام 1987 من (الخفيف) فيها أكثر من خمسة وعشرين بيتا كرسها للهجاء الخاص يقول فيها :

صاح دعني أنبكَ عن خِلَقٍ   هنَّ مأساة من دعا وسعى
عن (زنامى) من طينةٍ بدعٍ   أبدَ الدهرِ تجبل البدعا
أبد الدهر ضرعها حفلٌ   ينطف السم في فمٍ رضعا
أصفياء لكل فاحمةٍ   وعداة لكل ما سطعا

24- ثلاثة أبيات يهجو الجواهري بها ساطع الحصري في عام 1969 من (الكامل) يقول فيها :

كلية الآداب ضمت قاعة   كان النشوز بها عن الآداب
نسبت إلى وغد لو انتسبت له   خير النساء لكنّ شر قحاب
صلّوا على كل الفجور فإنه   في الرافدين مظنة لثواب [274]

25- قصيدة (حتى في الهجا مهزلة)[275] يهجو بها أحد رؤساء تحرير الصحف العربية التي تصدر في لندن [276] ، وقد نظمت في أواسط الثمانينيات من (السريع) يقول فيها :

شتمكَ يا (فلان) ما أسهله   فجلَّ ما في الأمر أن نكمله
فرأسك الشماخ ما أسفله   وظلك الرضاخ ما أثقله
وأنت بين الناس أضحوكة   أشبه ما تكون (بالبهذله)

26- قصيدة (أمين لا تغضب) [277] نظمت في عام 1963 ، من (السريع) يقول فيها :

يا عبدَ حربٍ وعدوَ السلام   يا خزيَ من زكّى وصلّى وصامْ
يا ابن الخنا إن دماء الكرام   نار تلظى في عروق اللئامْ
فهنئ الفرعون في (مصره)   بين الغواني وكؤوس المدامْ
أن العراق انتهبت دوره   عشية ثم استتب النظامْ

ثم يهجو شيخ الأزهر في مصر يقوله :

أمين هل جاءك ماحلّه   بالأزهر المظلوم ذاك الإمامْ
خليفةُ الله على أرضه   أضحى أجيراً لعروش الطغامْ
عمامةُ لُفَّتْ على سوءةٍ   لها بخزيٍ باضَ فيها الحَمامْ

ثالثا : الهجاء الاجتماعي :

يأخذ على المجتمع ألوانا من الانحراف وينعى عليه ضياع معايير وفقدان قيم مثل خمول الشباب ودكتاتورية الإقطاع والجهل وقد انتظم في شعره على النحو الآتي :

---

(273) م.ن :337 .
(274) الجواهري – دراسة ووثائق : 125 .
(275) م.ن /465 .
(276) في لقاء أجراه الباحث مع الدكتور محمد حسين الأعرجي أخبره بأن المقصود هو (عثمان العمير) رئيس تحرير جريدة الشرق الأوسط اللندنية .
(277) ظ : الجواهري – دراسة ووثائق : 343 ، وقد بعثها الجواهري إلى صديقه الكاتب التقدمي اللبناني (أمين الأعور) الذي أرسل برقية للجواهري وهو في براغ يشرح له ما جرى في العراق ويلومه على ابتعاده عن وطنه وسكوته الشعري عن حادثة الانقلاب في عام 1963م .

1- قصيدة (أيها المتمردون)[278] نظمت في عام 1928 من (الطويل) فيها سبعة أبيات يهجو بها محاربة الفكر الحر في بغداد يقول فيها :

فـــلا تنشـــدوا حريـــةَ الفكـــر إنهـــا (ببغـــداد) معنـــى نكبـــةٍ وصـــفادِ
فمـــا كـــان بشـــارٌ بـــأول ذاهـــبٍ ضـــحيةَ جهـــلٍ شـــائن وعنـــادِ
إلـى اليـوم فـي (بغـداد) خنـقُ صـراحةٍ وتعـــذيبُ آلافٍ لأجـــل أحـــادِ

2- قصيدة (المحرّقة)[279] نظمت في عام 1931 من (الطويل) وأغلبها وهي خمسة وستون بيتاً ، يهجو فيها بعض الظواهر الاجتماعية مثل التملق والتكبر وغيرها ، يقول فيها :

رأيـت مـن الإنسـانِ يُطغيـهِ عُجبُـهُ مـن الخـزي مـا تأبـاهُ وحشيّةٌ تضـرى
إذا أُغريـتْ هـذي بأكـلِ فريسـةٍ فهـذا بـأنْ يلهـو بتعـذيبها مُغـرى
أتعـرفُ كـم أصـيدٍ مُمتـلٍ قهـراً وكـم حـرّةٍ تشـكو ومـن حولهـا الفقـرا

3- قصيدة (أنغام الخطوب)[280] نظمت في عام 1934 من (البسيط) فيها أربعة عشر بيتا يهجو بها ضياع مقاييس الثقافة الحقيقية في المجتمع وعجز المصلحين عن أداء رسالتهم يقول فيها :

ثقافـــة الشـــعب قـــلْ لـــي أيـــن تنشـــدها أفـــي الصـــحافة مزجـــاة أم الكتـــبِ
هـــذي كمـــا انـــدفعت عشـــواءَ خابطـــةً وتلـــك فيمـــا حـــوت (حمالـــة الحطـــبِ)
مســـخّرون بمـــا تـــوحي الوحـــاةُ لهـــم كمـــا تُهـــزُّ دواليـــبٌ مـــن الخشـــبِ
لـو عـالج المصـلحون (الجـوع) مـا فسـدت أو ضـــاعنا هـــذه الفوضـــى مـــن الشـــغبِ

4- قصيدة (شباب ضائع)[281] نظمت في عام 1937 من (الطويل) فيها أكثر من خمسة وعشرين بيتا يهجو بها ظاهرة خمول الشباب واستكانته يقول فيها :

تـــراه خلـــيَ البـــالِ إن راحَ داهنـــاً وإن قـــد ذكـــا منـــهُ الأريـــجُ فضـــاعا
ولـــيس عليـــه مـــا تكامـــلَ زيُّـــهُ إذا عُـــريَ الخلـــق الكثيـــرُ وجاعـــا
ولـــم تشـــجه رؤيـــاً وســـمعا قـــوارعٌ يســـوء عيانـــاً وقعهـــا وســـماعا

5- قصيدة (الإقطاع)[282] نظمت في عام 1939 من (الطويل) والقصيدة في أغلبها وهي في اثنين وثلاثين بيتا يهجو بها الإقطاع وسلوكه الظالم للفلاح وامتهان كرامته وسحق آدميته والظلم الاجتماعي الواقع عليه يقول فيها :

هـــي الأرض لـــم يخصـــص لهـــا الله مالكـــا يصـــرفها مســـتهتراً فـــي الجـــرائمِ
ولـــم يبـــغ منهـــا أن يكـــون نتاجهـــا شـــقاوة مظلـــوم ونعمـــة ظـــالمِ
وأنكـــأ مـــن هـــذا التغـــابن قرحـــةً غبـــاوة مخـــدوم وفطنـــة خـــادمِ
وكـم مـن خمـولٍ لاح فـي وجـهٍ متـرفٍ وكـم مـن نبـوغ شـعَّ فـي عـين عـادمِ

5- قصيدة (أكلة الثريد)[283] نظمت في عام 1941 من (الخفيف) كلها ستة أبيات ارتجلها الشاعر في المباراة الخطابية التي أقيمت في قاعة ثانوية الحلة وكان موضوعها (أبرز الكُتاب من الوزراء في العصر الإسلامي)[284] يهجو بها المجتمع في تقديس بعض رجال التاريخ وترك تقدير الجيل الجديد ويقول فيها :

قلـــت للمعجبـــين بـــابن العميـــدِ ومســـاماته لعبـــد الحميـــدِ
إن هـــذا وذاك عبّـــاد أصـــنامٍ ومأســـاة ســـيد ومَســـودِ

---

(278) الديوان : 437/1 .
(279) الديوان : 83/2 .
(280) م.ن : 203/2 .
(281) م.ن : 319/2 .
(282) الديوان : 355/2 .
(283) الديوان : 26/3 .
(284) ظ : م.ن : 26/3 .

هـــــم أنــــــاس تولعــــــوا بالثريـــــــدِ واســـــــتميلوا بزاهيــــــات البـــــــرودِ
قـــــد شـــــغلنا أفكارنــــــا بقــــــديم ونســــــينا تقـــــدير جيــــلٍ جديــــــدِ

7- بيتان كتبهما الجواهري يهجو بهما الاستكانة والخمول رداً على بيتين قدمهما لـه أحد موظفي المطار في دمشق في عام 1951 وهما من (السريع) :

يبكـــــي علـــــى أمـــس لــــه (أخطــــل) لـــــم يســــــتثره غـــــدُه القـــــــادم
إن غـــــــدا يعرفـــــــه ثـــــــائر لا المســــــتكين الســـــادر النـــــاعم

8- قصيدة (الشباب المستخنث)[285] نظمت في عام 1952 من (مجزوء الكامل المرفل)وهي تسعة أبيات يهجو بها ظاهرة ميوعة الشباب والميل للتشبه بالنساء يقول فيها :

أنــــــي رأيــــــتُ وليتنــــــي قــــــد كنـــــتُ ممّــــن يعمهــــونْ
زمـــــــرا مــــــن النفـــــرِ المخنــــث يســــرحون ويمرحــــونْ
يتمـــــــــاجنون وبالمناكـــــــــبِ بيــــــــنهم يتــــــــدافعونْ
فــــــي حيــــث يــــنخفضُ الحيـــــاءُ وحيـــــثُ ترتفـــــعُ الســـــجونْ

9- قصيدة (قال وقلت)[286] نظمت في عام 1955 من (الخفيف) فيها سبعة أبيات في أولها يهجو بها الخمول الاجتماعي عند بعض أبناء المجتمع يقول فيها :

ونجـــــيٍ مثلـــــي غبـــــي وحمـــــل الــــ ـــــمرء هـــــم المغفلـــــين غبـــــاء
قـــال : والحـــال ، قلـــت إنـــي مـــن حـــا ل هبـــــاء خلـــــو كهـــــذي بـــــراء
قـــال : والنـــاس ، قلـــت شـــيء هـــراء خـــــدم عنـــــد غيـــــرهم أجـــــراء
غنـــــي الـــــدود ســــواه بمســــعا ه وهـــــم مــــن تواكـــــل فقـــــراء

10- قصيدة (رسالة إلى محمد علي كلاي) بدأ نظمها في عام 1973 وأكملها في عام 1976 من (الكامل) وهي في أربعة وستين بيتا كلها هجاء اجتماعي لضياع المقاييس في هذا العالم ولم يكن محمد علي كلاي إلا شرارة لانطلاق الشعر ، وقد عَجِبَ الشاعر ممن ظن أنه مدح كلاي في القصيدة فقال – لا أريد أن أصدق .. أن هناك من يقرأ الشعر ويسيء فهمه إلى هذا الحد ، هذه وصمة [287] ، والقصيدة بين الهجاء والتهكم :

ويصـــــــفقون لمحــــــرب شـــــرسٍ ويبصـــــــقون بوجـــــــهِ محـــــــروبِ
يـــذكي (الهِـــراش) حماســــهم طربــــاً لــــــدمٍ بعــــرفِ الــــديكِ مســــكوبِ
وكــــــأنهم يســــــقون صــــــافيةً بنزيـــــفِ رأسٍ منــــــه منخـــــوبِ
و(الثــــورُ) تصــــطخبُ الجــــراحُ بـــهِ مـــــــدعاةَ تهليـــــــلٍ وترحيـــــــبِ

11- قصيدة (إلى أبي سامر)[288] نظمت في عام 1987 من (الخفيف) يهجو بها سلوك جيرانه في (الجيك) في غربته ، يقول فيها :

كـــل جـــبس ينســـى اليهـــودة موســـى ولئــــيم ينســــي المســــيح النصـــارى
صــــمت القبــــور جيــــران غيــــب لـــن يـــزوروا وضـــيفهم لـــن يـــزارا
لا تمســــــــى ولا تصــــــــبح إلا هــــزة بـــالرؤوس مثـــل الحيـــارى

رابعا : هجاء رجال الدين :

يهجو فيه الشاعر بعض الذين نصبوا أنفسهم رجالا للدين واستغلوا علوم الفقه وغيرها مما له سبب بالدين ، منحرفين عن الدين نفسه متقنعين بالتفاف الجهلة حولهم فوقفوا عثرة في تقدم العلم ، وتمتعوا بما فاء عليهم هذا الجهل فاستغلوا البسطاء والسذج وضربوا على أنفسهم أسوارا احتموا بها من المساءلة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متشبهين بالأحبار والرهبان من رجال دين

---

(285) الديوان : 155/4 .
(286) الديوان : 195/4 .
(287) ظ : الديوان: 15/7 وما بعدها .
(288) الجواهري – دراسة ووثائق : 475 .

أهل الكتاب ويأتي نقد الجواهري لهؤلاء لا من جاهل بل من عارف بأحوالهم لأنه عايشهم وتبصر في أحوالهم وعاصرهم وعانى أثرتهم وجاء هجاؤه على النحو الآتي :

1- قصيدة (علموها)[289] نظمت في عام 1929 تأييداً لفتح مدرسة للبنات في النجف ولكن فتح المدرسة اصطدم بمعارضة رجال الدين مما دفع الجواهري لهجاء هؤلاء بثلاثة عشر بيتا في القصيدة يقول فيها من (الخفيف) :

أسلموا أمرَهم إلى (الشيخ) عمياناً	وساروا يقفونه حيث سارا
وامتطاهم حتى إذا نال بغياً	خلع اللجم عنهم والعذارا
نبذ القشر نحوهم باحتقارٍ	وحوى اللبَّ وحدَهُ والخيارا
عاطلاتٌ نساؤهم ونساء (الشيخ)	حلّين لؤلؤاً ونُضارا

2- قصيدة (الرجعيون)[290] نظمت في عام 1929 من (الطويل) بعد قصيدة (علموها) وذلك بعد ان تطورت معارضة بعض العلماء لفتح مدرسة للبنات في النجف إلى مقاومة شديدة وقد ارتدت على العادة رداء الدين [291] وقد سار فيها على نهجه في قصيدة (علموها) وهجا رجال الدين المعارضين لفتح المدرسة بأكثر من خمسة وعشرين بيتا يقول فيها :

على بابِ (شيخ المسلمين) تكدّستْ	جياعٌ عَلَتْهم ذلةٌ وعراةُ
هم القومُ أحياءٌ تقول كأنهم	على باب (شيخ المسلمين) مواتُ
يلمّ فتاتَ الخبزِ في التربِ ضائعاً	هناك ، وأحياناً تمصّ نواةُ
بيوت على أبوابها البؤسُ طافحٌ	وداخلهنّ الأنسُ والشهواتُ

3- قصيدة (أبو العلاء المعري)[292] نظمت في عام 1944 من (البسيط) وفيها تسعة أبيات يقول فيها :

الخابطون حياة الناس قدْ مسخوا	ما سنَّ شرعٌ وما بالفطرةِ اكتُسِبا
والفاتلون عثانيناً مُهرّأةً	ساءتْ لمحتطبٍ مرعى ومُحتطبا
والملصِقونَ بعرشِ اللهِ ما نسجتْ	أطماعهم : بدعَ الأهواء والريبا

4- قصيدة (رباعيات)[293] نظمت في عام 1960 وتحديدا في رباعية (قلت وقال) يقول فيها من (الرمل) :

قلتُ للشيخِ أترضى العمةَ رزقاً والقميصا
غطيا منه صغارَ الفكرِ والنخوةِ والرأيِ المحيصا
كيف عريتَ من الدين بما زوّرتَ روحاً ونصوصا
قال : ما بالك أمسكت تلابيبي وأعفيتَ اللصوصا

5- قصيدة (إلى وفود المشرقين تحية)[294] نظمت في عام 1974 من (الوافر) فيها أكثر من عشرة أبيات يهجو رجال الدين ويسميهم (سيوف الله) يقول فيها :

بلاءُ الشرقِ أصنامٌ تسمى	سيوفَ الله يحرسها (الكتابُ)
عفت شفراتهنَّ فهم كهامٌ	صديءُ الحدِّ زخرفه القرابُ
ويكتنزون من سحتٍ حرامٍ	وحولهمُ ملايينٌ سغابُ
وكان التمرُ نعبده إلهاً	يساغُ به طعامٌ أو شرابُ
فليت لنا بهم شبعاً ورياً	ومما زاد تمتلئ العيابُ

وقد ورد هجاء رجال الدين أيضا في مقطع من قصيدته (المقصورة) يقول فيه :

---

(289) الديوان : 461/1 .
(290) م.ن : 465/1 .
(291) م.ن : 465/1 .
(292) الديوان : 81/3 .
(293) الديوان : 25/5 .
(294) الديوان : 159/6 .

وهــــــذا بعمتــــــــه ســــــــاخراً	مــــن (الجـــنِ) يرفعهـــا للعلـــى
تجـــــيء المطـــــامعُ منقـــــادةً	إليــــه إذا شـــــاء أو لـــــم يشـــا
وليتــــــك تحســـــبُ أزيــــــاءَهم	فتجمـــــعُ منهـــا زهـــورَ الربـــى
فتلـــــك اللفـــــائفُ كـــــالأقحوان	بهـــا العلـــم يـــنفح طيـــب الشـــذا
تطـــــقُّ المســــابح مــــن حولهـــا	لـــــــتعلن أن ملاكـــــــاً أتــــــى

لقد أوردنا هذا المقطع لما له من صلة بهجاء رجال الدين ولم نذكر القصيدة لأنها صُنفت في الهجاء متعدد الاتجاهات .

خامسا : متعدد الاتجاهات :

ونعني به تعدد اتجاهات الهجاء في نص شعري واحد ففي بعض القصائد نجد أن الجواهري لا يسير بهجائه على اتجاه واحد بل تتعدد الاتجاهات الهجائية بعضها ببعض فيدخل الهجاء السياسي مع الهجاء الاجتماعي أو الهجاء الشخصي مع أحد المعنيين السابقين أو مع كليهما وقد آثرنا ذكره آخرا بعدما استوفى الإحصاء اتجاهات الهجاء الأخرى ، وقد ورد هذا الاتجاه من الهجاء في هجائيات الجواهري على النحو الآتي :

1- قصيدة (تحية الوزير)[295] نظمت في عام 1927 من (البسيط) فيها أكثر من عشرة أبيات توزع الهجاء فيها بين السياسي فيقول :

---

(295) الديوان : 389/1 .

هـــذا نتـــاج شـــعور جـــاشَ جائشـــه — راعــوا عواطــفَ هــذا الشــعب يــا غُرَبــا
أمّــا العــراق فقــد غصّــت (مطاعمــه) — فاســتطعموا بعــده بيــروت أو حلبـــا
ضـــاقت بمـــا لقيـــت مـــنهم مـــواطنهم — لكنمـــا مـــوطني مـــن ذلـــة رحبـــا

ثم يعود الجواهري فيهجو أنيس النصولي (وهو موظف في وزارة المعارف) صاحب كتاب الدولة الأموية هجاء خاصا فيقول فيها :

وطغمـــةٍ جهمـــةِ الإحســـابِ مـــا عرفـــتْ — مـــن الكتابـــةِ إلا الســـب والصـــخبا
لكـــل مـــا شـــان أمجـــاداً وشـــوهها — أعـــدّت الحبـــرَ والأوراق والقصـــبا
مـــن كـــل منتبـــذِ الأخـــلاقِ مطـــرحٍ — لـــو كـــان عضـــوا لكـــان الـــذيل والـــذنبا

2- قصيدة (جائزة الشعور)[296] نظمت في عام 1927 من (مجزوء الكامل المرفل) فيها عشرة أبيات يجمع فيها الجواهري الهجاء السياسي والخاص يقول فيها :

كـــــلُّ الـــــبلادِ ســـــعت لتصـــــ — ـــــلح شـــــأنها إلا عراقـــــي
صـــــــدع الزجـــــاج تصـــــدع — اســـــتقلالنا بيـــــد النفـــــاق

ثم يقول :

لـــم يبـــق لـــي غيـــر المخـــا — تـــل والمنـــافق والمتـــامي
أفٍ لهـــا مـــن أوجـــهٍ — قـــابلنني ســـودٍ صـــفاقِ

3- قصيدة (الأنانية)[297] نظمت في عام 1932 من (الطويل) فيها أكثر من عشرة أبيات يجمـــع فيهـــا الهجـــاء الاجتمـــاعي والسياســـي وهجـــاء رجـــال الـــدين يقـــول فيها :

أريـــــتكم أن ابـــــن آدم ثعلـــــبٌ — يماشـــيك منهوبـــا ويغـــزوك ناهبـــا
لحفـــظ (الأنانيـــات) ســـنّتْ منـــاهجٌ — علـــى الخلـــق صـــبَّت محنـــة ومصـــائبا
يجـــرّ سياســـيٌ عليهـــا خصـــومَهُ — ويـــدرك دينـــيٌّ بهـــن المطالبـــا
فلـــو كنـــت دينيـــا تخـــذت محمـــدا — وعيســـى وموســـى حجـــة وركائبـــا
تهافـــتُّ أمـــوال اليتـــامى أحوزهـــا — وأجمعهـــا باســـم الديانـــة غاصـــبا

4- قصيدة (عبادة الشر)[298] نظمت في عام 1933 من (المتقارب) فيها عشرة أبيات من الهجاء السياسي والاجتماعي بأسلوب ساخر يقول فيها :

فـــلا تـــأتِ ســـاحةَ هـــذي الـــذئاب — تنازلهـــــــا بفـــــــمٍ أدردِ
وخـــذْ مخلبـــاً لـــك مـــن غـــدرهِ — ونابـــاً مـــن الكـــذب فاستأســـدِ
ولا تتـــــدين بغيـــــرِ الريـــــاء — وغيـــــر النفـــــاق فـــــلا تعبـــــدِ
وصـــلّ علـــى ســـائرِ الموبقـــات — صـــلاة المحـــالف للمســـجدِ

5- قصـيدة (عقابيـل داء)[299] نظمـت فـي عـام 1934 مـن (الطويـل) أكثرهـا وهـي ثلاثـة وسبعون بيتا جمعت الهجاء السياسي مع الهجاء الاجتماعي يقول فيها :

تنـــادتْ بويـــلٍ فـــي ديـــاركِ بومـــةٌ — وأعلـــنَ نحســـاً فـــي ســـماك مـــذنّبُ
وألبســـتْ مـــن جـــورٍ وهضـــمٍ ملابســـاً — أخــو العــز عنهــا وهــو عريــان يرغــبُ

ثم يقول :

أفـــي كـــل يـــوم فـــي العـــراق مـــؤمّرٌ — غريـــــبٌ بـــــه لا الأمُّ منـــــه ولا الأبُ
أكـــلُّ بغـــيضٍ يثقـــل الأرض ظلّـــه — وتأبـــاه ، يجبـــى للعـــراق ويجلـــبُ

---

(296) م.ن : 421/1 .
(297) الديوان : 421/1 .
(298) الديوان : 191/2 .
(299) م.ن : 215/2 .

6- قصيدة (معرض العواطف)[300] نظمت في عام 1935 من (الكامل) فيها أكثر من عشرين بيتا من الهجاء الاجتماعي والخاص يهجو بها الجواهري حتى نفسه لأنه نافق مدح من لا يستحق يقول فيها :

وضـحكتُ مـن تشـبيهِ مـا اسـتعجلته	بالسـقطِ أعجلـه المخـاض فأجهضـا
ووجـدتُ فـي أثنائهـا رجعيـةً	طفحـتْ وكنـتُ لهـا العـدوَ المبغضـا
وكشـفتُ عـن هـذي الطبـائع ثوبهـا	وبسـطتهن حريصـة أن تقبضـا
فـإذا بهـا الحشـرات تسـكن جيفـةً	مسـتورةً والخـزي أن تتنفضـا

7- قصيدة (عاشوراء)[301] نظمت في عام 1935 من (الطويل) فيها ثمانية أبيات يهجو بها هجاء خاصاً وسياسيا لنظام الحكم الأموي حين تسلط يزيد على رقاب المسلمين ، يقول فيها :

نشـا نشـأة المستضـعفين مرجيّـاً	مـن الـدهرِ أن يعطيـه خمـراً وميسـرا
وأن يتـرأى قـرده متقـدماً	يجـيء علـى الفرسـان أم متـأخرا
وغنتـه مـن شـعر (الأخيطـل) قينـةٌ	وطارحهـا فيهـا المغنـي فـأبهرا
فكـل أمـور المسـلمين بسـاعةٍ	مـن المجلـس الزاهـي تُبـاع وتُشـترى

8- قصيدة (العدل)[302] نظمت في عام 1936 من (الطويل) فيها خمسة أبيات يجمع فيها الهجاء السياسي مع الهجاء الاجتماعي ، يقول فيها :

لعمـرُك إن العـدل لفـظٌ أداؤه	بسـيطٌ ولكـن كنهـه متعسـرُ
تخيلـه عقـلٌ نشـيطٌ أراده	دلـيلاً لقـوم فـي الحيـاة تعثـروا
ولمـا رآه الحـاكمون قذيفـة	تضعضـع مـن أهـوائهم وتـدمر
ولـم يجـدوا مندوحـةً عـن قبولِـهِ	لإرضـاءَ مخـدوعين بالعـدلِ غـرروا

9- قصيدة (أمم تجد ونلعب)[303] نظمت في عام 1942 من (مجزوء الكامل) فيها أربعة عشر بيتا توزعت على القصيدة جمعت الهجاء السياسي والاجتماعي ، فهو يهجو السياسيين ويهجو المجتمع وخنوعه ، يقول فيها :

ونعـيشُ نحـنُ كمـا يعيـ	ـشُ علـى الضـفافِ الطحلـبُ
متذبـذبينَ وشـرّ مـا	قتـلَ الطمـوح تذبـذبُ
نـوحي التطيـر كـالغرا	بِ إلـى النفـوس وننعـبُ
نـدعو إلـى المستعمريـ	ـن لسـوطهم نتحبّـبُ
إن العـراق بمـا نحشـ	ـد ضـدهُ ونؤلـبُ
بيـتٌ علـى يـد أهلـه	ممـا جنـوا يتخـرّبُ

10- قصيدة (المقصورة)[304] نظمت في عام 1948 من (المتقارب) فيها أكثر من ستين بيتـا هجـا فيهـا كـل طبقـات المجتمـع هجـاءً لا يخلـو بعضـه مـن السـخرية يقـول فيها :

أنبيـكَ عـن أطيـبِ الأخبثـين	فقـلْ أنـت بالأخبـثِ المـزدرى
زقـاقٌ مـن الـريح منفوخـةٌ	وإن ثقّـلَ الزهـوُ منهـا الخطـى
وأشـباحُ نـاسٍ وإن أوهمـوا	بـأنهم .. (قـادة) فـي الـورى

---

(300) الديوان : 251/2 .
(301) م.ن : 269/2 .
(302) م.ن : 311/2 .
(303) م.ن : 39/3 .
(304) الديوان : 201/3 .

****

متـــــى ترعـــــوي أمـــــةٌ بـــــالعراق	تُســـاقُ إلـــى حتفهـــا بالعصـــا
يجـــد بغـــيضٌ بهـــا عهـــدَهُ	إذا قيـــل عهـــدُ بغـــيض مضـــى
وتســـمنُ منهـــا عجـــافٌ مشـــتْ	إلـــى الأجنبـــي تجـــرّ الخصـــى

15- قصيدة (ثمر العار)[305] نظمت في عام 1948 من (مجزوء الرجز) كلها وهي في تسعة عشر بيتا ساخرا في الهجاء الخاص والهجاء الاجتماعي والهجاء السياسي يقول فيها :

أي جربـــا يـــا (بهلـــوانَ) الملعـــبِ المجُـــربِ
يـــا حكـــةً مـــن جـــربٍ فـــي دمـــلٍ ملتهـــبِ
يـــا ثمـــرَ العـــارِ ويـــا جريمـــةَ التســـيبِ
يـــا (هـــرّةً) تريـــد أن تحكـــي دهـــاءَ ثعلـــبِ

12- قصيدة (إلى الشعب المصري)[306] نظمت في عام 1951 من (الكامل) في عشرة أبيات يهجو بها هجاء سياسيا مع الهجاء الاجتماعي لزمرة من المثقفين أو أدعياء الثقافة يقول فيها :

ومثقـــفٍ صـــعدَ الســـلالم مقعـــداً	مثـــلَ الجـــواد علـــى الحـــواجز يطفـــرُ
بـــزّ النظـــائرَ وهـــو أحـــدث مـــنهمُ	وشـــأى العبـــاقرَ وهـــو أجـــوف يصـــفرُ
ألقـــى لـــه الدســـتورُ رحـــبَ خوانِـــهِ	مـــا شـــاء مـــن ألوانـــهِ يتخيـــرُ

13- قصيدة (تنويمة الجياع)[307] نظمت في عام 1951 من (مجزوء الكامل) كل القصيدة التي تجاوزت المائة بيت وواحدا ضمت الهجاء السياسي والاجتماعي وبأسلوب ساخر يدعو فيه لإيقاظ الجماهير بلفظ (نامي) يقول فيها :

نـــامي جيـــاعَ الشـــعبِ نـــامي	لا تقطعـــــــي رزق الأنـــــامِ
نـــامي تريحـــي الحاكميـــــ	ـــن مـــن اشـــتباكٍ والتحـــامِ
يحمـــد لـــك القـــانون صنـــ	ـــعَ مطـــاوعٍ ســـلسِ الخُطـــامِ

14- قطعة (أنا الفداء)[308] نظمت في عام 1952 من (الكامل) وهي ستة أبيات من الهجاء السياسي والخاص يقترب من الاحتقار كتبها الشاعر بعد تعطيل جريدته (الثبات) يقول فيها :

مـــن عـــالم (الجبـــروت) نُـــزّلَ عنصـــرٌ	كـــان الغريـــب بعـــالم (الجبنـــاء)
كـــان الغريـــبُ بعـــالمِ مـــتمخضٍ	عـــن خـــائنٍ ومخـــربٍ ومرائـــي
وأنـــا الفـــداء لمخلـــصٍ متعـــذبٍ	أمّـــا الـــدعيُ ففديـــةٌ لحـــذائي

15- قصيدة (اللاجئة في العيد)[309] نظمت في عام 1952 من (البسيط) فيها أكثر من أربعين بيتا من الهجاء السياسي والاجتماعي ، فهو يهجو الساسة ويهجو السلوك الاجتماعي المنحرف يقول فيها :

وحـــولهم مـــن علـــوجِ المـــالِ أمســـخةٌ	مثـــلَ الخنـــازيرِ صـــفّوها علـــى السُـــررِ
ذوو الرقـــابِ الغـــلاظِ الشـــاخبات دمـــاً	يطـــوون أفئـــدَةَ قُـــدّتْ مـــن الحجـــرِ
مـــن كـــلِ محتقـــبِ الأوزار منـــتفخٌ	مـــن خزيهـــا ، بـــدماءِ النـــاس مُتّجـــرِ
تحمـــيهمُ مـــن يـــدِ الجمهـــورِ أنظمـــةٌ	مطاطـــةٌ لهـــم تنـــداح كـــالأكرِ

16- قصيدة (كما يستكلب الذيب)[310] نظمت في عام 1953 من (البسيط) ومعظمها وهي أكثـــر مـــن أربعـــين بيتـــاً مـــن الهجـــاء الخـــاص والسياســـي يقـــول فيها :

---

(305)م.ن : 313/3 .
(306) الديوان : 23/4 .
(307) م.ن : 71/4 .
(308) م.ن : 111/4 .
(309) م.ن : 113/4 .

وما لهذا الجبانُ النكسُ قد هزئتْ   منه ، ومن صحبهِ الغيدِ الرعابيبُ
وما لمستخنثٍ وغدٍ وسادته   ريش النعام من (الدهناء) مجلوبُ
منافقون يرون الناس أنهم   شمٌّ ، أباة ، أماجيد ، مصاحيبُ
وأنهم قادة صيد وأنهم   غرٌّ المصابيح والدنيا غرابيبُ

17- قصيدة (خبت للشعر أنفاس)[311] نظمت في عام 1945 من (الهزج) فيها أكثر من عشرة أبيات من الهجاء الاجتماعي والسياسي يقول فيها :

أم الثروةُ للقبح   وعندُ الحسنِ إفلاسُ
أم العبدُ على الأحرا   رِ قوّامٌ ونخاسُ
أم الفكرُ بأظلاف الـ   ـوحوش الغبر نيداسُ
أم الأصنامُ أربابٌ   أم الأرؤسُ أعجاسُ

18- قصيدة (أنشودة السلام)[312] نظمت في عام 1959 من (البسيط) فيها تسعة أبيات جمعت الهجاء الخاص والسياسي والاجتماعي يقول فيها هاجيا الحرب :

وبئستْ الحربُ قزماً عنده صلفٌ   من التعالي وفي سيقانه قصرُ
عجبتُ للحربِ بلهاءٌ ومنطقها   إن اغمضت أو أبانت – منطق هذرُ
ترجو على نفسها البقيا ويفرحها   من لا يبقي على شيء ولا يذرُ
وما يزال لها شمطاء فاركة   خليلُ سوء إلى مهواه تنحدرُ

19- قصيدة (يا غريب الدار)[313] نظمت في عام 1962 من (مجزوء الكامل) فيها ثلاثة وعشرون بيتا من الهجاء السياسي والخاص يقول فيها :

ونفوسٌ جُبلت طينتها   خزياً وعارا
خلها يستل منها الحقـ   ـد صلباً وفقارا
خلّ مسعوراً وما أستكـ   ـلب لا تشفي السعارا
أنت لا تقدر أن تز   رع في العورِ احورارا

20- قصيدة (أطياف وأشباح)[314] نظمت في عام 1967 من (الوافر) فيها ما يقارب أربعين بيتا من الهجاء السياسي والخاص ، يقول فيها :

زنامى يعطفون على زنيمٍ   كما عطف الجناس على الطباقِ
كلابَ الصيدِ يطلقها دنيءٌ   على الأشراف تنهش من تلاقي
لعنتُ (شيوخَ لندن) من غواةٍ   صناع في محايلة حذاقِ
يسوقون الرذيلة في دروب   معماة على جنف المساقِ

21- قصيدة (عالم الغد)[315] نظمت في عام 1943 من (الخفيف) كثير من مقاطعها في الهجاء السياسي والاجتماعي والخاص يقول فيها :

من (سوادٍ) و (سوقةٍ) وطغامِ
ورعاعٍ تساقُ كالأغنامِ
ووضعناه في أحط مقامِ
وحرمناه لذّة الاحترامِ
واجتنبناه كاجتناب الجذامِ
وسلبناه ما له من حطامِ

---

(310) الديوان : 157/4 .
(311) م.ن : 169/4 .
(312) م.ن : 335/4 .
(313) الديوان : 193/5 .
(314) الديوان : 269/5 .
(315) الديوان : 173/7 .

وركلنـــــــــــــــاه بعـــــــــــــــــد بالأقـــــــــــــــدامِ

22- قصيدة (المصير المحتوم)[316] نظمت 1952 وهي (من الطويل) ثلاثة أبيات من الهجاء الخاص والسياسي يقول فيها :

أ يـا ابـنَ سـعيدٍ يلهـبُ النـاسَ سـوطَهُ ويحلـــفُ فـــيهم أن يخـــطّ المصـــايرا
لقـد كنـت أرجـو أن تـرى لـك عبـرةً بمـــن رامهـــا قـــبلا فـــزار المقـــابرا
ولكنـــــه بغـــــيٌّ وطـــــيشٌ وإثـــــرةٌ وواحـــدةٌ مـــنهنَّ تعمـــي البصـــائرا

23- قصيدة (شوقا جلال)[317] نظمت في عام 1980 من (البسيط) فيها أكثر من ثلاثين بيتا من الهجاء الاجتماعي والخاص ، يقول فيها :

لـم يبـقَ فـي (الحـي) مـن يحمـي ظغينَتـهُ ولا علـى الـدارِ مـن يرمـي عـن السـكنِ
لا يصـرخُ الجـارُ مـنهم عـرض جارتـه ولا يغنـــي طَليَقـــا مـــوت مـــرتهنِ
شـــتانَ أيـــام تبكـــي روضـــةً أنفـــاً ويـوم تـدعى لكـي تبكـي علـى دمـنِ

24- قصيدة (بغداد)[318] نظمت في عام 1980 من (الكامل) فيها أكثر من عشرين بيتا من الهجاء السياسي والخاص ، يقول فيها :

حقـــبٌ علـــى حقـــبٍ تـــنفض فوقهـــا أثقـــالَ مـــا حملـــت مـــن الأوزارِ
وتشـــــدُّها بالجاهليـــــة طينـــــةٌ ليثـــــتْ بكـــــل معـــــرّةٍ وشـــــنارِ
بالحقـــد يحتـــرق الصـــدور وبيئـــة يغلـــي بهـــنَّ مـــراجلاً مـــن نـــارِ
مـــا ســـافحَ (الأتـــراكُ) أو مـــا شـــوهت نطـــفُ (المغـــول) بهـــا أو التاتـــارِ

25- قصيدة (صلاح خالص)[319] نظمت في عام 1984 من (الكامل) فيها ثمانية أبيات من الهجاء الخاص والاجتماعي ، يقول فيها :

عـــوتِ (الـــذئابُ) علـــيَّ نـــاهزةً فرصـــاً تثيـــرُ الـــذئبَ مفترســـا
ينهشـــنْ مـــن لحمـــي وكـــل دمٍ فيـــه لخيـــر النـــاس قـــد حبســـا
(أصـــلاح) إنّـــا رهـــن مجتمـــعٍ يخشـــى اللصـــوص فيـــذبح العسســـا
خلســـاً يســـر الصـــالحين بـــهِ والطـــالحون يســـوؤهم خلســـا

26- قصيدة (حتم أن تسفي)[320] نظمت في عام 1965 من (مجزوء الكامل المرفل) ويجمع فيها الجواهري الهجاء السياسي مع الخاص وكلها أربعة عشر بيتا من الهجاء يقول فيها :

ســـــفي وحـــــتمٌ أن تســـــفي مـــا دامَ رأســـك تحـــت خـــفِّ
مـــــادام منبـــــوذ القطيـــــ ـــف وزيـــر دولتـــك المصـــفي
والأقـــــرعُ الركـــــاضُ بالصـــــبيا نِ مـــــن صـــــفٍّ لصـــــفِّ
رجـــــلُ السياســـــةِ والقيـــــا دةِ والتوحـــــدِ والتحفّـــــي

بعـد تقـري اتجاهـات الخطـاب الهجـائي عنـد الجـواهري بامتـداد مسـيرة السـبعين سنة ، نرى أن الهجاء كان غرضا مهما من أغراض شعره ، أن لم يكن الأهم لتماسه وارتباطه الوثيق مع قضايا الوطن والإنسان والظلم والمفاسد السياسية والاجتماعية ، ويتضح لنا أيضا أن للجواهري صورتين واضحتين في هجائياته اتخذتا نمطين مختلفين ألفا الخطاب الهجائي عنده ، فهو في الأولى نجده ملتزما بقضاياه الوطنية والإنسانية ، جادا كل الجد في التعبير عنها بما تمليه عليه نفسه وخلجاتها تجاه الواقع المعيش متخذا من الهجاء خطابا وجدانيا يتسع في النص الشعري ليعبر عن رفضه واحتجاجه ،ونجد في الصورة الأخرى أن الجواهري جعل خطابه الهجائي –

---

(316)م.ن : 205/7 .
(317) ديوان الجواهري طبعة بيسان: 283/5 .
(318) م.ن /289 .
(319) م.ن /323 .
(320) الجواهري دراسة ووثائق /359 .

وإن تلبس فيه الوجدان – ذا نمطية ساخرة عبر من خلالها عن إحساسه ونظرته لحقيقة الواقع المر وما ضم من تناقضات ظاهرة أو غير ظاهرة للناس ، وقد جاءت هذه النمطية الساخرة وقد تجاذبها الاحتقار والاستهزاء والتهكم فضلا عن مشاعر الغضب عنده ، وعليه يمكننا أن نقسم الهجائيات على نمطين ، النمط الجاد والنمط الساخر :

1- النمط الجاد :

جاء هذا النمط في هجائياته كثيرا وقد كان فيه الجواهري جادا غير ساخر أو متهكماً ، ملتزما بقضاياه الوطنية ومعبرا عنها بما اعتمل في نفسه من مشاعر غاضبة إزاء ظلم سياسي أو طبقية اجتماعية ودينية ، أو الانحراف في الأخلاق والفكر والثقافة . وقد ورد هذا النمط الجاد [321] في هجائياته في قصائد مختلفة الاتجاهات الهجائية فمن القصائد ما كانت ذوات اتجاه سياسي وأحيانا خاص وأخريات ذوات اتجاه اجتماعي .

وأول قصائد هذا النمط الجاد قصيدة (النقمة)[322] و(الشاعر السليب)[323] و(وخزات)[324] و(يا فراتي)[325] و(النجوى)[326] و(كذب الخائفون)[327] و قصيدة (سبحان من خلق الرجال)[328] التي يقول فيها :

وطنـــــي وداؤك أنفـــــسٌ مملــــــوءةٌ	جشــــعاً فمـــن لــــي أن تبـــل وتفرقـــا
بلـــوى الشـــعوب مخـــادعون إذا ادعـــوا	للنصـــــح كــــذبت الفعـــال المنطقـــا
الآن يلتمســــــون فـــــكَّ وثاقـــــه	مـــن بعـــد مـــا نـــزل الـــبلاءُ وأحـــدقا
وطنـــي ومـــن لـــك أن تعـــود فترتقـــي	مـــن بعـــد مـــا أعيـــا وعـــزّ المُرتقـــى

ويستمر ظهور النمط الجاد في قصائد (الأحاديث شجون)[329] و(على ذكرى الربيع)[330] و(شوقي وحافظ)[331] و(ليت الذي بك في وقع النوائب بي)[332] و(بلدتي والانقلاب)[333] وقصيدة (شدة لندن)[334] وهي من الهجاء السياسي ويقول فيها :

كلنـــا فـــي النفـــاق والختـــلِ نُبـــدي	كــــــل يــــــومٍ مهـــــارةً فنيـــــه
وطنـــي كـــل مـــن عليـــه وزيـــرٌ	واضــــعٌ نصـــــب عينـــه كرســـــيه
قـــد لففنـــا كـــل المســـاوي فينـــا	بـــــرداءٍ مـــــن نهضـــــة وطنيـــــه
ومــــا شــــقينا إلا لأنّـــا حســــبنا	أن فـــــي الكــــذب جــــرأةً وطنيـــــه

---

(321) تركنا الترقيم في هذا النمط لأننا ذكرنا جميع الهجائيات في إحصاء الاتجاهات آخذين بالحسبان إيراد بعض الأمثلة الهجائية .
(322) الديوان : 201/1 .
(323) م.ن : 213/1 .
(324) م.ن : 221/1 .
(325) م.ن : 223/1 .
(326) م.ن : 243/1 .
(327) م.ن : 245/1 .
(328) م.ن : 267/1 .
(329) م.ن : 295/1 .
(330) م.ن : 301/1 .
(331) م.ن : 307/1 .
(332) م.ن : 317/1 .
(333) م.ن : 381/1 .
(334) م.ن : 389/1 .

كذلك في قصائد (تحية الوزير)[335] و(نزوات)[336] و(شهيد العرب)[337] و(النفثة)[338] و(جائزة الشعور)[339] و(ثورة الوجدان)[340] و(ضحايا الانتداب)[341] وقصيدة (أيها المتمردون)[342] و(أمان الله)[343] وقصيدة (علموها)[344] وكذلك قصيدة (الرجعيون)[345] وهي في هجاء بعض رجال الدين يقول فيها :

أتُجبى ملايين لفردٍ وحوله	ألوفٌ عليهم حلّت الصدقاتُ
قذىً في عيون المصلحين شواهقٌ	بدت حولها مغمورة خرباتُ
وفي تلك مبطانون صغرٌ نفوسهم	وفي هذه غرثى البطون أباةُ
ولو كان حكمٌ عادل لتهدمتْ	على أهلِها هاتيكم الشرفاتُ

وكذلك في قصائد (ساعة مع البحتري)[346] و(جربيني)[347] و (المجلس المفجوع)[348] وقصيدة (إلى الخاتون مس بل)[349] وهي من الهجاء السياسي وقد بدأها الجواهري بشيء من التهكم وانتقل بعدها إلى الهجاء الجاد .

وجاء أيضا في قصائد (في سبيل الجماهير)[350] و(الحزبان المتآخيان)[351] و(يدي هذه رهن)[352] و(المحرقة)[353] و(الدم يتكلم)[354] التي يقول فيها :

مشتْ الناسُ للإمام ارتكاضاً	ومشينا إلى الوراء ارتجاعا
في سبيل الأفرادِ هوجاً ركاكاً	ذهبَ الشعبُ كله إقطاعا
طعنوا في الصميم من يركنِ الشعـ	ـب إليه ونصبوا القطاعا
شحنوهم من خائنٍ وبذيءٍ	ومريبٍ شحنَ القطار المتاعا

وجاء أيضا في قصائد (أنغام الخطوب)[355] و(عقابيل داء)[356] و (لعبة التجارب)[357] و(معرض العواطف)[358] الذي هجا فيه حتى نفسه يقول فيها :

---

(335) الديوان : 389/1 .
(336) م.ن : 395/1 .
(337) م.ن : 403/1 .
(338) م.ن : 409/1 .
(339) م.ن : 421/1 .
(340) م.ن : 427/1 .
(341) م.ن : 433/1
(342)م.ن : 347/1 .
(343) م.ن : 455/1 .
(344) م.ن : 461/1 .
(345) م.ن : 465/1 .
(346) م.ن : 483/1 .
(347) م.ن : 489/1 .
(348) م.ن : 501/1 .
(349) م.ن : 507/1 .
(350) الديوان : 11/2 .
(351) م.ن : 59/2 .
(352) م.ن : 77/2 .
(353) م.ن : 83/2 .
(354) م.ن : 93/2 .
(355) م.ن : 203/2 .
(356) م.ن : 215/2 .

نافقـــتُ إذ كـــان النفـــاقُ ضـــريبةً   متحرقـــاً مـــن صـــنعتي مترمضـــا
ولكـــم قلقـــتُ مســـهداً لمواقـــف   حكمـــت علـــيَّ بـــأن أُداريَ مبغضـــا
ولعنـــتُ ربَّ الشـــعرِ فيمـــا اختـــارَ لـــي   وبمـــا قضـــى ولعنـــت أحكـــام القضـــا

وورود الهجاء الجاد في قصائد (حالنا أو في سبيل الحكم)[359] و(عاشوراء)[360] و(المازني وداغر)[361] وقصيدة وردت (بلا عنوان)[362] و(العدل)[363] و(شباب ضائع)[364] التي يهجو بها خمول الشباب ولهاثه وراء المظاهر الخادعة المزيفة تاركا شأن بلده غير ملتفت للجهل المطبق فيه وهي من الهجاء الاجتماعي يقول فيها :

يـــدبُّ إلـــى البلـــوى هـــزيلاً كأنـــه   ربيـــبَ خمـــولٍ نشـــأة ورضـــاعا
فمـــا استنهضـــت منـــه الرزايـــا عزائمـــاً   ولا أحكـــم التجريـــب منـــه طباعـــا
فـــلا هـــو بالجَلـــدِ المطيـــقِ احتمالهـــا   ولا بالشـــجاعِ المســـتميتِ صـــراعا
وإنـــك لا تـــدري أنشـــئاً مهـــذباً   تســـوق الرزايـــا أم تســـوق رعاعـــا

وبرز الهجاء الجاد أيضا في قصائد (الإقطاع)[365] و(لبنان)[366] و(أمم تجد ونلعب)[367] التي لم تخل من بعض التهكم وقصيدة (ذكرى وعد بلفور)[368] و(ذكرى أبي التمن)[369] و(أبو العلاء المعري)[370] وهي من قصائد الهجاء السياسي يقول فيها :

وبـــدا علـــى وجـــهِ الحفيـــد وجـــده   للنـــــاظرين تقـــارب الأعمـــــار
مـــن كـــان يحســـبُ أن يمـــدَّ بعمـــرهِ   حكـــم أقـــيم علـــى أســـاس هـــاري
ومـــن الفظاعـــةِ أن تريـــد رعيـــة   فـــي ظـــل دســـتور لهـــا وشـــعار
مـــا يطلـــبُ المأســـورُ مـــن يـــدِ آســـرٍ   إســـداء عارفـــة وفـــك إســـار

وورود أيضا في قصائد (اليأس المنشور)[371] و(المقصورة)[372] التي جاء فيها شيء من السخرية أيضا وقصيدة (أخي جعفر)[373] و(يوم الشهيد)[374] و(دم الشهيد)[375] و(غضبة)[376] وهي من الهجاء الخاص يقول فيها :

وزعـــيمُ قـــومٍ كـــالغراب بـــه   صِـــغَرٌ وفـــي خطواتِـــه كِبْـــرُ
يغتـــــرّ فيمـــــا لا يشـــــرِّفه   جَهِـــلَ المغفـــلُ كيـــف يغتـــرُ
يغتـــــرّ أن ألقـــــوا بمعدتـــــهِ   عفـــنَ الطعـــام فـــراحَ يَجتـــر

---

(357) م.ن : 235/2 .
(358) م.ن : 251/2 .
(359) م.ن : 263/2 .
(360) م.ن : 269/2 .
(361) م.ن : 287/2 .
(362) م.ن : 305/2 .
(363) م.ن : 311/2 .
(364) م.ن : 319/2 .
(365) الديوان : 355/2 .
(366) م.ن : 361/2 .
(367) الديوان : 39/3 .
(368) م.ن : 129/3 .
(369) م.ن : 135/3 .
(370) م.ن : 81/3 .
(371) م.ن : 185/3 .
(372) م.ن : 201/3 .
(373) م.ن : 255/3 .
(374) م.ن : 267/3 .
(375) م.ن : 289/3 .
(376) م.ن : 305/3 .

بـــــــادي الغبـــــاءِ تكـــــادُ تقـــــروه بـــــــالظن لا خَبَــــــرٌ ولا خُبْــــــــرُ

وجاء الهجاء الجاد أيضا في قصائد (فلسطين)[377] و(هاشم الوتري)[378] التي وظّف فيها الجواهري شيئا من نمطية الاحتقار لمهجوه وقصيدة (إلى الشعب المصري)[379] و(عبد الحميد كرامي)[380] و(مقالة كبرت)[381] و(في مؤتمر المحامين)[382] التي يقول فيها وهي من الهجاء السياسي :

ورفّـــت علـــى (الطهـــرِ) راياتُهـــا رفيـــفَ الشـــراعِ علـــى داســـرِ
وتنصـــب مـــن صـــدرِها الفـــاجرِ كـــأن لـــم يعـــد ثـــم مـــن ذاكـــرِ
كـــأن لـــم يفـــد ثـــمّ مـــن حـــافظٍ لســـــودِ صـــــحائِفها ناشـــــرِ
خســـئتَ فحســـبك مـــن مخبـــرٍ يحـــدثُ عنـــك ومـــن خـــابرِ

وورود أيضا في قصائد (اللاجئة في العيد)[383] و(ظلام)[384] و(كما يستكلب الذيب)[385] و(خبت للشعر أنفاس)[386] و(قال وقلت)[387] و(أم عوف)[388] و(خلفت غاشية الخنوع)[389] و(قصيدة الجزائر)[390] التي يهجو بها السياسة الفرنسية وهمجيتها الاستعمارية ضد أبناء الجزائر، يقول فيها :

ومـــن (مطـــبخِ) الثـــورةِ المـــدعا ةِ مـــا رحـــتِ تطهـــينَ للجـــوَّعِ
فيـــا ســـوأةَ الـــدهرِ لا تطلعـــي ويـــا بـــؤرةَ الغـــدرِ لا تنبعـــي
ويـــا قرحـــةً مـــن صـــميمِ الشـــعو بِ قيئـــي صـــديدك واستضـــبعي
تـــواري فـــأن هـــوانَ الحيـــا ءِ والطهـــرِ والعـــدلِ أن تطلعـــي

وقد جاء الهجاء الجاد أيضا في قصائد (بور سعيد)[391] و(الناقدون)[392] و(جيش العراق)[393] و(باسم الشعب)[394] و(أنشودة السلام)[395] وفي رباعيات (قلت وقال)[396] و(مؤتمر الأقطاب)[397] كذلك قصيدة (غريب الدار)[398] و(يا ابن الفراتين)[399] وهي من الهجاء الخاص ، يقول فيها :

---

(377) الديوان : 324/3 .
(378) م.ن : 391/3 .
(379) الديوان : 32/4 .
(380) ام.ن : 37/4 .
(381) ام.ن : 86/4 .
(382) م.ن : 88/4 .
(383) م.ن : 113/4 .
(384) م.ن : 139/4 .
(385) م.ن : 157/4 .
(386) م.ن : 169/4 .
(387) م.ن : 195/4 .
(388) م.ن : 204/4 .
(389) م.ن : 220/4 .
(390) م.ن : 238/4 .
(391) الديوان : 251/4 .
(392) م.ن : 279/4 .
(393) م.ن : 297/4 .
(394) م.ن : 309/4 .
(395) م.ن : 333/4 .
(396) الديوان : 25/5 .
(397) م.ن : 29/5 .
(398) م.ن : 193/5 .
(399) م.ن : 347/5 .

وحاشـــــدينَ خشـــــارَ القـــــولِ بعـــــتهمُ بخســاً وأبخــسُ مــنهم كــان مــا حشــدوا
الخـــــاملون إذ استنهضــــتهم غضــــبوا والضــــالعون إذا قـــــوّمتهم حقـــــدوا
والمســـــــتطيرون غربانـــــــاً مفزعـــــة حتـــــى إذا عـــنَّ صـــدّاحٌ فهـــم حشــدُ
والمجهـــزون علـــى الجرحـــى كـــأنهم ربـــدُ الـــذئابِ اشــتفت أن جُــرّحَ الأســدُ

وأيضـا فـي قصـائد (فـي يـوم التـأميم)[400] و(علـى الرصـيف)[401] و(إلـى وفـود المشـرقين تحيـة)[402] و(وتحيـة ونفثـة غاضـبة)[403] و(الصـحراء فـي فجرهـا الموعـود)[404] التـي يهجـو بهـا السياسة الاسبانية الظالمة تجاه المغرب واشتداد أزمة الصحراء المغربية يقول فيها :

مَـــنْ مبلـــغُ الســـادةِ العميـــان أرهقهـــم حرمـــــانُهم وتعاصـــــتْ فـــــيهم العقـــدُ
عمــوا ومــذ بصــروا بالــدربِ مشــرعةً صــمّوا فمــا افتقــدوا شــيئا ولا وجــدوا
إن الليـــــالي عجيبـــــاتٌ بهـــــا حـــــرنٌ لمسلســـــين وأســـــلاسٌ لمـــــن صـــــمدوا
مشـــى علـــيهم فهـــم فـــي قعـــرهِ صـــببٌ ركـــبٌ مـــن الـــدهرِ حـــثٌ ســـيرهُ صـــعدُ

وجاء الهجاء الجاد أيضا في قصـائد (أزح عـن صـدرك الزبـدا)[405] و(حـبيبـتي)[406] وآليت)[407] و(آه علـى تلكم السـنين)[408] والمتنبي)[409] و(إلـى المجـد – إلـى القمـة)[410] و(المصـير المحتـوم)[411] و(عظمـاء)[412] و(كفـرت)[413] و(أفتيـان الخلـيج)[414] و(شـوقا جـلال)[415] ، وهـي القصيدة التي أرسلها الجواهري إلى صديقه السيد (جلال الطالباني) جوابا على رسالته التي يستثيره فيها أن (يغني) من جديد بعد صمت غير قصير والقصيدة من الهجاء الاجتماعي والخاص يقول فيها :

مَـــنْ ذا أغنـــــي أ أشـــــتاتاً موزعــــةً علــــى التمـــزقِ والثـــاراتِ والإحـــنِ
أم صـــــابرين علـــــى ضـــــيمٍ ومســــكنةٍ صــبرَ الحمــارِ علــى مــرأى مــن الأتــنِ
أم (الطلائـــــعَ) مزعـــــومين شـــــفَّهمُ وجــدُ التِّجــارِ بســوقِ الــربحِ والغــبنِ
أم (الـــربيطَ) كعيـــرِ الحـــيِّ فـــي وتـــدٍ مِـــــنَ المهانَــــةِ لا يرضـــــى لمُمـــــتهنِ

وورد أيضـا فـي قصـائد (بغـداد)[416] وفـي أكثـر قصـيدة (يـا ابـن الثمـانين)[417] و (أ أبـا مهند)[418] و(صلاح خـالص)[419] و(برئـت مـن الزحـوف)[420] و(ذكـرى وعـد بلفـور)[421] وقصـيدة

---

(400) الديوان : 85/6 .
(401) م.ن : 135/6 .
(402) م.ن : 159/6 .
(403) م.ن : 173/6 .
(404) م.ن : 185/6 .
(405) الديوان : 205/6 .
(406) م.ن : 219/6 .
(407) الديوان : 41/7 .
(408) م.ن : 62/7 .
(409) م.ن : 99/7 .
(410) م.ن : 131/7 .
(411) م.ن : 205/7 .
(412) م.ن : 217/7 .
(413) م.ن : 247/7 .
(414) ديوان الجواهري – طبعة بيسان : 263/5 .
(415) م.ن :283 .
(416) م.ن :289 .
(417) م.ن :293 .
(418)ديوان الجواهري – طبعة بيسان : 317 .
(419) م.ن :323 .

(صاح قلها ولا تخف)[422] وهي من الهجاء الخاص ويظهر فيها الهجاء الجاد واضحا بينا يقول فيها :

وجـــــذيمِ اللســـــانِ عــــن دنـــــسٍ	فهـــــو يعــــدي حتــــى أذا قطعــــا
ولئـــــيمٍ ردتـــــه عــــن صـــــنعٍ	عقــــدةُ الـــــنقصِ زائـــــداً صـــــنعا
مســـــتمناً – وأنــــــت ترفعــــــه -	حــــبَّ مَـــن نــــالَ منـــه أو وضــــعا
وخفيـــــاً فـــــي كــــلِّ نازلـــــةٍ	فــــإذا مــــا تصــــرّمتْ طلعــــا

وأيضا في قصيدة (أمين لا تغضب)[423] ، التي هجا فيها عبد السلام محمد عارف :

يــــا عبــــدَ حــــربٍ وعــــدوَ الســــلامْ	يــا خــزيَ مــن زكــى وصــلى وصــامْ
يــــا ابــــن الخنــــا إنَّ دمــــاءَ الكــــرامْ	نــــارٌ تلظــــى فــــي عــــروقِ اللئــــامْ

2- النمط الساخر :

اتخذ الجواهري من السخرية في بعض قصائده أسلوبا لنقد خصومه ومهجويه فضلا عن هجاء الواقع السياسي والاجتماعي ، ولم يطلق الجواهري النكتة والسخرية لمحض إطلاقها ولم تكن لحظة عابرة اقتنصها من دون وعي بل أنه قصد إلى السخرية لأنها الوسيلة الناجحة للتعبير عن انفعالات اختمرت في نفسه ، وهو ينظر إلى واقعه بعين الفاحص المشخص فقد كان يحمل هموم حاضره بنفس متمردة ومزاج رافض ، ووجد في السخرية طريقة مثيرة لإيصال ما يريد في هجائه لقد جاءت هذه النمطية الساخرة متنوعة المعاني عنده فضمت إلى السخرية الاستهزاء والاحتقار والذم والتهكم ، وقد جمعناها في هذا النمط وإن كان هناك بعض الاختلاف فيما بينها ، إلا أننا وجدنا أنها جميعا ترتبط بصلة وثيقة تعريفا واشتغالا في غرض الهجاء وسنراعي تصنيفها حين نورد الأمثلة الشعرية بحسب معناها ونوعها .

السخرية من أساليب الهجاء تقتضي تحقير من سُخَر به أو منه أو اعتقاد تحقيره و(السخر يدل على فعل يسبق من المسخور منه)[424] أي أن السخرية تُبنى على فعل من المسخور منه يسبق فعل الهجاء الساخر وكأنه يدفعه إلى السخرية به أو منه .

والهزء أيضا يقتضي تحقير المستهزأ به أو اعتقاد تحقيره ولكن (الفرق بين الاستهزاء أو السخرية أن الإنسان يستهزأ به من غير أن يسبق منه فعل يستهزأ به من أجله)[425] .

والتهكم لغة (تهكم على الأمر وتهكم بنا والتهكم التكبر .. وتهكم عليه إذا اشتد غضبه .. والتهكم الوقوع في القوم والهَكِمُ : المقتحم على ما لا يعنيه ، الذي يتعرض للناس بشره)[426] ، والتهكم في اللغة أيضا الاستهزاء مطلقا وهو الطعن المتدارك والغضب الشديد ، أما في الاصطلاح فهو الخطاب بلفظ الجلال في موضع التحقير والعذر في اللوم .. والمدح في موضع السخرية [427] ، أي وضع السخرية في لفظ مدح ، أو وضع هذا التعبير الساخر في لفظ جاد ..

والذم لا يختلف عما أوردنا كثيرا فهو (ذمّ يذم ذمّا ، وهو اللوم في الإساءة)[428] يتوضح أن الأواصر اللغوية والدلالية واضحة بين السخرية والاستهزاء والتهكم والذم والاحتقار ، وأن كان

---

(420) م.ن :327 .
(421) م.ن : 333 .
(422) م.ن :337 .
(423) الجواهري دراسة ووثائق : 343 .
(424) الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري : 249 .
(425) م.ن :249 .
(426) لسان العرب مادة : هكم .
(427) ظ : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : 375/2 .
(428) لسان العرب مادة : ذمم .

بينهما اختلاف في الدافع والصيغة إلا إنهم جميعا ألفوا الخطاب الهجائي القاصد تحقير المهجو والنيل منه وهذا ما دفعنا لجعلها سوية ضمن إطار النمط الساخر في هجائيات الجواهري .

لقد جاء هذا النمط الساخر عند الجواهري في هجائياته في قصائد (الأنانية)[429] و(عبادة الشر)[430] التي تبدو السخرية جلية فيها وهي من الهجاء السياسي والاجتماعي يقول فيها :

رأيـــتُ المغـــامرَ فـــي موقـــفٍ	بـــه يفتـــدي نفســـهُ المفتـــدي
تناولـــه الألســـنِ المقـــذعات	ويعصـــفُ بالشـــتمِ منـــه النـــدي
وحيـــداً كـــذي جـــربٍ مـــزدرى	يـــروح هضـــيماً كمـــا يغتـــدي
ولـــم يطـــلِ العهـــدُ حتـــى انجلـــتْ	كـــوارثُ مـــا هـــنَّ بالســـرمدِ
فكـــان الأميـــرُ وكـــان الـــزعيمُ	وكـــان مثـــالُ الفتـــى الســـيدِ

وورد أيضا في قصائد (أكلة الثريد)[431] والتهكم فيها بيّن (طرطرا)[432] والتي تملأ السخرية كل أبعاد القصيدة وهي من الهجاء السياسي يقول فيها :

إنْ طوّلـــــوا فطـــــوّلي	أو قصّـــــروا فقصـــــرّي
أو أجرمـــــوا فاعتـــــذري	أو أنـــــذروا فبشـــــرّي
أو خطبّـــوا عشـــواً فقـــو	لـــي أيُّ نجـــمٍ نيّـــرِ
أو ظلمـــــوا فـــــابرزي	الظلـــمَ بـــأبهى الصـــور

وكذلك في قصائد (أرشد العمري)[433] و(المقصورة)[434] في بعضها و(ثمر العار)[435] وقصيدة (أطبق دجى)[436] ويبدو الجواهري فيها (قد انفصل عن هذا العالم كله بل وقف أزاءه وحيدا متفردا يتعادل مع هذا الكون بمن فيه)[437] والقصيدة هي صرخات من الهجاء السياسي ، يقول فيها :

أطبـــقْ إلـــى يـــومِ النشـــورِ	ويـــومِ يكتمـــلُ النصـــابُ
أطبـــقْ دجـــىً حتـــى يقـــيءَ خمـــولُ	أهـــلِ الغـــابِ غـــابُ
أطبـــقْ دجـــىً حتـــى يمُـــلَّ	مِـــنَ الســـوادِ بـــه غـــرابُ
أطبـــقْ دجـــىً : حتـــى يحلّـــق	فـــي ســـماواتٍ عقـــابُ

وجاءت السخرية أيضا في قصائد (سر في جهادك)[438] و(أيها الوحش أيها الاستعمار)[439] و(تنويمة الجياع)[440] وهي من الهجاء السياسي والاجتماعي يقول فيها :

نـــامي علـــى مهـــدِ الأذى	وتوسّـــدي خـــدَّ الرغـــامِ
واستفرشـــي صـــمَّ الحصـــى	وتلحّفـــي ظلـــل الغمـــامِ
نـــامي فقـــد أنهـــى (مجيـــ	ـــعُ الشـــعبِ) أيـــامَ الصـــيامِ
نـــامي فقـــد غنـــى (إلـــ	ـــه الحـــربِ) ألحـــانَ الســـلامِ

---

(429) الديوان : 129/2 .
(430) م.ن : 191/2 .
(431) الديوان : 26/3 .
(432) م.ن : 119/3 .
(433) م.ن : 177/3 .
(434) م.ن : 201/3 .
(435) م.ن : 313/3 .
(436) م.ن : 405/3 .
(437) تطور الشعر العربي الحديث في العراق : 296 .
(438) الديوان : 11/4 .
(439) م.ن : 53/4 .
(440) م.ن : 71/4 .

وأيضا ورد هذا النمط الساخر في قصائد (أنا الفداء)[441] و(ما تشاؤون)[442] و(الشباب المستخنث)[443] و(التعويذة العمرية أو عوذت وجهك)[444] وهي من الهجاء الخاص والسخرية واضحة في أجواء القصيدة التي يقول فيها :

عـــــوّذتُ وجهــــــك بـــــــالقمرْ وبمـــــا أضـــــاءَ ومـــــا ازدهــــــرْ
بـــــالآي مـــــن (عــــــاد) و(نمــــــــــرود) ومنزلـــــــة (البقـــــرْ)
عوّذتُـــــهُ بـــــ(العفـــص) رطــــــــباً أو يبيســـــــاً يُـــــدّخرْ
مـــــن شـــــرٍّ حاسِـــدِكَ الذميـــــــمِ علـــى ســـناكَ المزدهـــــرْ
والشـــــــانئيكَ الأغبيــــــــــاءَ علـــــى حجـــــاكَ المســــبطرْ

وفي قصائد (النباشون)[445] و(تحية إلى رونتري)[446] و(أطياف وأشباح)[447] وهي من الهجاء السياسي والخاص وفيها السخرية واضحة والاحتقار بيّن يقول فيها :

تشـــكّى الضـــادُ لكنـــةَ أعجمـــيٍ كمـــا ألـــتكنَ الغـــرابُ بغـــاقِ غـــاقِ
يخـــورُ إذا تـــراطنَ مثـــلَ ثـــورٍ غلاصـــمُهُ تشـــدُّ علـــى التراقـــي
إلـــى الفصـــحى يـــدبُّ بترجمـــانِ ويحكـــمُ فـــي مشـــاكِلِهِ الـــدقاقِ
وضـــجَّ المنكـــرونَ عـــدادَ بغـــلٍ نقـــيٍّ العـــرقِ فـــي الخيـــلِ العتـــاقِ

وكذلك في (رسالة إلى محمد علي كلاي)[448] وهي من الهجاء الاجتماعي في ضياع المقاييس الحقيقية في المجتمع ويؤلف التهكم والمفارقة كل صورة القصيدة التي يقول فيها :

يَفـــدى عروقـــكَ كـــلُّ مـــا حملـــتْ أعـــــــراقُ داودٍ ويعقــــــــوبِ
ونثـــارُ عرســـك كـــل مُقتـــرنٍ مـــن خاطـــبٍ عرســـاً ومخطـــوبِ
ســـبحانَ ربـــك كيـــف عوّضـــني عـــن (حومـــلٍ) قفـــرٍ و(محلـــوبِ)
ربعـــاً أنيســـاً فـــي ملاعبـــهِ مـــا شـــئتَ مِـــنْ لهـــوٍ وتطريـــبِ

وورد أيضا في قصائد (لغة الثياب)[449] و(عصامي)[450] و(كم ببغداد ألاعيب)[451] وهي من الهجاء السياسي الساخر يقول فيها :

خزيـــتْ بغـــدادُ مِـــن بلـــدٍ كـــلُّ شـــيءٍ فيـــهِ مقلـــوبُ
فلـــقُ الأصـــباحِ غربيـــبٌ ونعيـــقُ البـــومِ تشـــبيبُ
والخنـــا غـــنمٌ ومحمـــدةٌ والنهـــى جلـــدٌ وتعـــذيبُ
وبيـــوتُ الفســـقِ عـــامرةٌ وعـــرينُ الليـــثِ منهـــوبُ

---

(441) م.ن : 111/4 .
(442) م.ن : 125/4 .
(443) م.ن : 155/4.
(444) م.ن : 165/4 .
(445) الديوان : 245/4 .
(446) م.ن : 321/4 .
(447) الديوان : 269/5 .
(448) الديوان : 19/7 .
(449) م.ن : 73/7 .
(450) م.ن : 201/7 .
(451) م.ن : 235/7 .

كذلك في بعض أبيات قصيدة (يا ابن الثمانين)[452] والتي يبدو فيها احتقار الجواهري لمهجويه وأيضا كل قصيدة (عبدة الجبورية)[453] والتي حفلت بالسخرية في أجوائها وهي من الهجاء الخاص يقول فيها :

أ (عبـــدةَ) مـــا جـــدى كـــربٌ   وأنـــتِ جنيـــةُ الرطـــبِ
وأنـــتِ النـــارُ لاهبـــةٌ   فمـــا جـــدوى (أبـــي لهـــبِ) ؟
أديـــري رأســـكِ المعصـــوبَ   تبـــردْ (جمـــرةُ العصـــبِ)
ومـــدّي مِـــن ذراعيـــكِ   تلمّـــي النـــاسَ عـــن كثـــبِ
تلمـــيهم بـــلا بخـــلٍ   ولا ملـــلٍ ولا رُتُـــبِ

وأيضا ورد الهجاء الساخر في أبيات هجا بها ساطع الحصري [454] وقصيدة (حتم أن تسفي)[455] و(حتى في الهجا مهزلة)[456] و(إلى أبي سامر)[457] يقول الجواهري في (حتى في الهجا مهزلة) في هجاء عثمان العمير رئيس جريدة الشرق الأوسط :

يـــا ابـــنَ (فـــلانٍ) شـــئتَ أم لـــم تشـــا   فقـــد قضـــى التـــاريخُ أن تدخلَـــهْ
لـــم تـــكُ بالشـــاغلِ بـــالي ولا   هجـــوكَ يومـــاً كـــان لـــي مشـــغلَهْ
لـــولا فتـــى أمحضـــني ودّهُ   فكنـــتُ مَـــنْ أمحـــض فـــي الـــودِّ لـــهْ
أَحـــبَّ أن تُهجـــى فطاوعتُـــهُ   فأنـــتَ حتـــى فـــي الهجـــا (مهزلـــهْ)

بعد إحصاء الهجائيات وتصنيفها بحسب الاتجاهات والأنماط ، نجد أن حضور الهجائيات في شعره كان في مائة وستة وعشرين موقعا شعريا سواء أكان قصيدة كاملة أم أجزاء من قصائد مثلما بينا ، فحضرت الهجائيات السياسية في ثمان وخمسين مرة والهجائيات الخاصة بست وعشرين مرة ومثلها الهجائيات التي تعددت فيها الاتجاهات وظهرت الهجائيات الاجتماعية بإحدى عشرة مرة وهجاء رجال الدين بخمس مرات ، ومجموع من الأبيات قد قارب الألفين وخمسمائة بيتٍ ، وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه في بداية هذا الفصل من أن الجواهري شاعر هجاء ، استثمر هجاءه لمعالجة قضايا الإنسان والتحرر والوقوف بوجه الظلم والمفاسد الاجتماعية والدكتاتورية المقيتة وقد مثّل وجدان شعبه ونفسه الواعية وصوته المجلجل لأكثر من سبعين سنة عاش فيها .

---

(452) ديوان الجواهري –طبعة بيسان : 293/5 .
(453) م.ن :311 .
(454) الجواهري دراسة ووثائق : 125 .
(455) م.ن :359 .
(456)م.ن :465 .
(457)م.ن :475 .

الفصـــــــل الثـــــــاني
دوافـــــع الهجـــائيـــات

مدخل :

لا بدّ للشاعر أو الفنان عموما ، فيما يؤثر فيه من واقعه ولا ينفك قبل ذلك عمّا فيه من صراع ونزعات وما تراكم ، وهو يمضي في الحياة ، ممّا يترك في نفسه آثاراً متباينة وهو ما بين هذا وذاك يصوغ منهما معاً أو كلاً على حدةٍ ، إبداعه أو يعيدهما إلى الوجود شعراً والدافع هو ما يثير انفعال الشاعر لكتابة شعره أو هو (الشرارة الأولى)[458] قد تنبّه العلماء العرب لهذا ، لذلك نصح بشر بن المعتمر (ت210هـ) الشاعر الذي لم تسمح له طباعه في كتابة الشعر وتعاصت عليه الفكرة في وقت ما بأنْ لا يعجل ولا يضجر ويدعه بياض يومه وسواد ليلته ويعاوده عند نشاطه وفراغ باله [459] وكأنّ بشر بن المعتمر يشير إلى أهمية الباعث أو الدافع في تحفيز انفعالات الشاعر وقد ذهب أيضا إلى هذا الأصمعي (216هـ) بقوله (ما استدعى شاردٌ بمثل الماء الجاري والشرف العالي والمكان الخالي)[460] وهو يؤكد على أن هذه من بواعث الشعر ، وقد روي أن الفرزدق كان إذا لم يتمكن من ناصية الشعر (ركب ناقته وطاف منفرداً وحده في شعاب الجبال وبطون الأودية والأماكن الخالية الخربة فيعطيه الكلام قياده)[461] ، ومما يؤكد أهمية دور الدوافع أو البواعث أو الدواعي عند الشاعر والتفاته لها لأنها المحفزة في إطلاق النص الشعري وهي كلها دواعٍ نفسية داخلية ما أجاب به الشاعر أرطأة بن سهيّة عبد الملك بن مروان حين سأله هل تقول الآن شعراً ؟ فأجابه أرطأة (كيف أقول وأنا ما أشرب ولا أطربُ ولا أغضبُ وإنما يكون الشعر بواحدة من هذه)[462] .

وقد ذكر ابن رشيق (ت463هـ) هذه الدوافع والبواعث التي يُستدعى بها الشعر وسمّاها ضروبا وهي التي تشحذ القرائح وتنبه الخواطر وتلين عريكة الكلام وتسهل طريق المعنى [463] .

وذكر القرطاجني دور الدوافع المحفز في نشأة انفعالات الشاعر فأوضح (أن للشعراء أغراضا أوّلَ هي الباعثة على قول الشعر وهي أمور تحدث عنها تأثرات وانفعالات لكون تلك الأمور مما يناسبها ويبسطها أو ينافرها ويقبضها)[464] .

والدوافع اثنان هما الدافع الموضوعي هو ما أملته كل ما في البيئة من تفاصيل في نفس الشاعر محاولة أيجاد ما ينسجم معه في انفعالاته ويحفزها على الظهور وقد يتغير تأثير الدافع في نفس الشاعر لاستعداده وخضوعه لقوة هذا الدافع .

---

(458) هكذا عرّفه الدكتور علي كاظم أسد (المشرف على الدراسة) في إحدى المحاضرات .
(459) ظ : البيان والتبيين : 136/1 .
(460) العمدة : 206/1 .
(461) ن.م : 207/1 .
(462) الشعر والشعراء : 24/1 .
(463) ظ : العمدة : 205/1 .
(464) منهاج البلغاء وسراج الأدباء – حازم القرطاجني – تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة :11 .

أما الدافع الثاني هو الذاتي أو النفسي فهو اللاشعور الكامن الذي اختمر في نفس الشاعر منذ طفولته وأصبح منبع الإبداع فيما بعد وهذا ما يراه فرويد حين اعتقد أن اللاشعور وهو (مكتسب شخصي) هو منبع الإبداع وقد وافقه يونج في هذا الرأي وفصّل هذا إلى أنه يتكون من قسمين ، الأول هو مكتسب شخصي كما عند فرويد والثاني هو فطري جمعي انتقل بالوراثة إلى الشخص حاملا آثار خبرات الأسلاف وهذا القسم الجمعي هو منبع الأعمال الفنية العظيمة (465) .

وقد ذهب بعض الباحثين في قضية الدوافع إلى عدم الاهتمام بالدوافع اللاشعورية فقط ولكن أيضا (بالعناصر الشعورية وقبل الشعورية في شخصية الكاتب وكذلك بظروفه الاجتماعية)(466) وذلك للإحاطة بجميع الدوافع في تحليل عملية الإبداع عند الشاعر .

وللوقوف على علاقة الدوافع بالنص الشعري سوف نكتفي بدراسة رأيين بما يتناسب وصلتهما بالدوافع ، الرأي الأول هو ما نسب للإمام علي بن أبي طالب ﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ وهو يفاضل بين الشعراء بقوله : (إن لم يكن فضلهم ، فالذي لم يقل رغبة ولا رهبة امرؤ القيس بن حجر)(467) ، يفصح لنا هذا الرأي عن تأثير الدوافع في نتاج الشاعر ، فالإمام علي لم يقيد –بهذا الرأي- الناحية الإبداعية باستقرار الشاعر النفسي فقط .

بل إن الإمام عيّن الدوافع الموضوعية بـ(الرغبة والرهبة) والرغبة شعور نفسي يعارض الإرادة غالبا (468) ، يتوحد من مؤثر خارجي وكذا الأمر ينطبق مع الرهبة وهي الإحساس بالخوف الشديد بمحفز خارجي أيضا وبذلك نستطيع أن نلحظ أن هذا الرأي يُفضّل الشاعر الذي لا يقع تحت تأثير هذه الدوافع ، فالرهبة والرغبة وقد قرنهما الإمام علي معا صفة وتأثيرا ، دافعان لا يوفران القاعدة الصالحة والمحفز الحقيقي للإبداع الفني ، فكيف يتأتى الإبداع مع الخوف والرغبة النفسية المعارضة للإرادة الإنسانية ؟

وهذا الرأي واضح في وقوفه في صف الشاعر ومع دوافعه الموضوعية التي تحفزّه في خلق انفعالاته في عملية الإبداع الفني .

ويبدو أن الشاعر يعيش في صراع (لأن في داخله قوتين تتصارعان هما : الميل البشري للسعادة والرضاء والاطمئنان في الحياة من جهة وشوق جارف إلى الإبداع ، قد يذهب بعيدا إلى حد يتغلب على كل رغبة شخصية)(469).

أما الرأي الثاني فهو لدعبل الخزاعي الشاعر بقوله (مَنْ أراد المديح فبالرغبة ومن أراد الهجاء فبالبغضاء)(470) ، وهنا يتبين لنا –بحسب رأي دعبل- أن المديح دافعه عند الشاعر موضوعي يلامس دافعا ذاتيا فيه وهو الرغبة بنيل جائزة ما ، ويبدو أن الشاعر المداح بتأثير الرغبة قد خسر صراعه المفضي للإبداع وانتصرت الرغبة بميلها البشري عنده ، أما الهجاء فدافعه البغضاء وهو الكره ، وهو دافع نفسي يعتمل في نفس الشاعر وإن حفزه دافع خارجي فالذاتية فيه واضحة ، منتصرة باتجاه الإبداع تاركة السعادة والاطمئنان البشريين اللذين لا يتوفران للشاعر وهو يهجو من يهجو أناسا ، أو ساسة أو قادة أو أفكارا أو مجتمعات .

ولهذا يبدو أن الجواهري المبدع لا يختلف عن غيره من المبدعين بتأثير الدافع الموضوعي أو الذاتي بإطلاق طاقته الخلاقة في نصه الشعري الهجائي ، إن الدافع الذاتي عنده يرجع إلى طفولته وتفاصيل تكوينها ، وإذا كان فرويد يلقي الضوء على طفولة الفنان ويعتقد أنها ستفسر له

---

(465) ظ : الأسس النفسية للإبداع الفني (في الشعر خاصة) مصطفى سويف : 79وما بعدها .
(466) التفسير النفسي للأدب – د. عز الدين اسماعيل : 8 .
(467) الأغاني – أبو الفرج الأصبهاني : 296/16 .
(468) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة –د.سعيد علوش : 100 .
(469) التفسير النفسي للأدب – د. عز الدين إسماعيل : 46 .
(470) العمدة : 122/1 .

جوانب الشخصية البالغة [471] ، فإن الجواهري يؤكد معنى تأثير طفولته بتكوينه (كل كياني المتضارب المتصاعد المتنازل المتخالف المتناقض يقوم على هذه الحقبة الأولى من حياتي) [472] .

والجواهري هنا يجمع أكثر من صفة معا ، يصل بعضها إلى التناقض مع بعضها الآخر ، معتقدا أنها نمت فيه منذ طفولته التي انتزعت منه قسرا ، لذلك نشأ حتى مراحل متقدمة من حياته مشاكسا عنيدا غافلا متغافلا متناقضا مبلبلا [473] ، وأظن أن الجواهري حين قال (غافلا) إنما أشار لبرائته فهو (لم يكن سليم الطوية فحسب وإنما كان لا يخلو من براءة)[474] أما قوله متغافلا فهو يشير إلى إنه كان يشيح بنظره في مواقف ما تعمدا منه وتغافلا .

إن الجواهري الذي ولد ونشأ في بيت نجفي عريق محب للعلم والأدب وفيه أكثر من شاعر وإن لم يبرعوا كبراعته ، تحتم عليه في صباه أن يحفظ كل يوم خطبة من نهج البلاغة أو قطعة من أمالي أبي علي القالي أو قصيدة من ديوان المتنبي وشيئا من مادة الجغرافيا ، فضلا عن درسه الحوزي وعلومه التي دفعه إليها أبوه دفعا ليعيد أمجاد جده (صاحب الجواهر) كما كان الأب يرجو [475] ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإنه ترعرع في أسرة تعاني عقدة الزعامة الضائعة وما ترتب من إحساس والده بوقع الضيم والحيف بأن لا يكون هو زعيم الأسرة الجواهرية ، نشأ مع ضنك مادي ، لمكابرة لرب الأسرة حرصا منه على مكانته في مدينة كالنجف ليصل رب الأسرة هذا إلى بيع ما في البيت من أثاثات إلا حصيرة بقيت تشهد على هذه الأسرة من ضيق ذات اليد ، وهذا ذكره الجواهري [476] .

إن تفاصيل هذه النشأة هذه سواء تفاصيل التحصيل العلمي المضنية أو معيشة ضنك كانت فيها الأسرة تشعر بالغبن من زعامة مفقودة ، أسهمت بلا شك في تكوين ملامح الجواهري تكوينا ظلت أدواته يصارع بعضها بعضا فيما سيشهد من حياة ، وبدا ذلك واضحا حين (رحل الشاعر إلى بغداد حاملا عقدة الزعامة الضائعة يعمر قلبه الأمل بتحقيق الجاه والمنصب وما تستحق العبقرية من مجد أدبي معا)[477]

ويبدو أن الصراع الذي استكن في نفسه أسهم في بناء الدافع الذاتي ، فكان نفسا مشاكسة عنيدة متناقضة ، لتردف هذا صدمة الشعر المقدسة كما وصفها الجواهري (لقد أيقظت هذه الصدمة موهبتي الدفينة .... وربما كانت كلمة الإلهام أقرب إليَّ من كلمة الموهبة)[478] .

لقد اجتمع (الإلهام) الشعري مع دراسة مبكرة وفذة للأدب والعلوم والشعر مع حافظة شعرية أقرب إلى الخيال [479] ، في نفس الجواهري التي احتضنت دافعا ذاتيا كوّنته تفاصيل النشأة الذاتية والأسرية حفزّه نحو التمرد والمشاكسة ، فضلا عن الدافع الموضوعي الذي هيأته مدينة النجف له ، فالنجف (حين ولد) جغرافيا (مدينة بلا شجر ولا عشب وبما يشبه الشحة في مياهها أيضا عدا مياه الآبار ، فقد زحف الملح من البحر اليابس إلى أرضها وغطت رياح السموم كل ما فيها بلون التراب الرمادي)[480] .

---

(471) ظ : الأسس النفسية للإبداع الفني : 74 .
(472) ذكرياتي – الجواهري : 39/1 .
(473) ظ : م.ن : 53/1
(474) الجواهري – دراسة ووثائق : 97 .
(475) ظ : ذكرياتي : 52/1 وما بعدها .
(476) ظ : م.ن : 47/1 وما بعدها .
(477) مجمع الأضداد –دراسة في سيرة الجواهري وشعره – د. سليمان جبران : 90 .
(478) ذكرياتي : 67/1 .
(479) ظ : ديوان الجواهري :55/1 وما بعدها .
(480) ذكرياتي : 31/1 .

والنجف آنذاك من كثرة شعرائها مدينة من مدن الشعر [481] ، وقد تغلغل الشعر في أكثر طبقات مجتمعها من كثرة المجالس الأدبية والفقهية والمناسبات الحسينية ومجالس الوعظ والعزاء فتحضر عامة الناس عادة حتى يجد الزائر بقالا أو كاسبا يقول الشعر أو يحفظه أو ينقده (وبلدتي من هذا المنطلق تتميز عن كل مدن العراق بل عن كل البلاد العربية)[482] .

والنجف مركز الحوزة العلمية ومحط أنظار المسلمين وطلاب العلم من مختلف الأقطار العربية والإسلامية . منذ أن اتخذها أبو جعفر الطوسي (ت460هـ) مقرا له ومكانا لمدرسته العلمية فهي (مركز قديم من مراكز العلم قُدِّر له أن تتعاقب عليه القرون وهو يحتفظ بمكانته العلمية فلم يتزحزح عنها إلا لماماً)[483] .

وقد أعطت الزعامة الدينية للنجف زخما كبيرا في أن تكون مدينة القرار الديني والسياسي سواء في العهد العثماني أو ما تبعه من عهود لتصبح بذلك (من أهم مراكز الثورة والتمرد والمعارضة)[484] .

وقد وفرت هذه الأسباب والمعطيات للنجف مكانة قوية لا تخضع للسلطة الحاكمة بيسر ، يضاف إلى ذلك استغناؤها الاقتصادي الذاتي ، فكان لها (آنذاك نوع من الاستقلال عن الحكم المركزي)[485] حتى أنها حكمت نفسها بنفسها إبان ثورة النجف ضد البريطانيين في عام 1918م .

وفي النجف يشخص مشهد الموت فتبدو كأنها ميدان درامي يصطرع فيه الموت في أظهر صوره من تشييع الجنائز ودفن الموتى مع الحياة في أظهر صورها من حركة وتجارة وزائرين ، فالموت والحياة فيها لا فاصل بينهما سوى شارع تمتد على جهته الأخرى مقبرة هي الكبرى في العالم ، ومع ما لهذا المشهد من بكائية وحزن وعظة لكنه وفر للنجف مردودا اقتصاديا وتلاقحا حضاريا وارتباطات اجتماعية صبت جميعا في نحت الحياة النجفية .

هاهي النجف بنسيجها الثقافي والجغرافي والديني والسياسي كما رآها الجواهري الذي ولد ونشأ بين تفاصيلها هذه وقد ارتبط بها حتى نهاية عمره إذ يقول (فرغم أنني نقلت رحالي من أرض لأرض مسافرا أو متنزها أو شريدا ، إلا أن جذوري بقيت في تلك البقعة المجدبة)[486] .

أن هذه البيئة النجفية أسهمت في إطلاق الشرارة الأولى لانفعالات الجواهري الشعرية حتى أمكن القول (إن شاعرية الجواهري هي انعكاس صادق للبيئة النجفية الخاصة والسيرة الجواهرية الحافلة بالاضطراب والتناقض)[487] .

وبين زعامة مدينته وزعامة أسرته أحس بزعامته تنشأ في قرارته ، ليتعامل بعد ذلك على وفق هذا المعطى النفسي مع الآخرين .

لقد ارتبط الجواهري بأحداث عصره ارتباطا قويا ، فقد كانت الأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية أهم الدوافع عند الجواهري ، وكان هو الشاهد عليها بعد أن أعاد صياغة انفعالاته الشعرية هجائيات وهي وثائق مهمة للسياسة العراقية وتجاوز هذا إلى أن يكون منفعلا بالأحداث السياسية في العالم .

عاش الجواهري في العصر العثماني فالاحتلال البريطاني وما رافقه من ثورات وانتفاضات فتأسيس المملكة العراقية ومراحل تأليف الوزارات فيها ، وما خلفتها هذه الوزارات من تداعيات وأحداث أسهمت في رسم صورة المجتمع العراقي ، حتى قيام ثورة 14تموز 1958م

---

(481) ظ : شعراء الغري : علي الخاقاني .
(482) ذكرياتي :53/1 .
(483) الجواهري دراسة ووثائق : 17 .
(484) مجمع الأضداد : 14.
(485) ن.م : 16
(486) ذكرياتي : 43/1 .
(487) مجمع الأضداد : 6 .

وتأسيس النظام الجمهوري وما كان بعده من انقلابات عسكرية أحكمت قبضتها على العراق بالحديد والنار ، وعاش الجواهري حربين عالميتين غيرتا وجه العالم وميزان القوى فيه ، فضلا عمّا شهده من نشوء أيدلوجيات تنوعت اتجاهاتها وأهدافها ، وقد أثرت في بنية المجتمع العراقي والعربي والعالمي .

وكان الرجل حاضرا وعُيه وذكاؤه وموهبته بين هذه الأحداث ، فاستثمرها في تعبيره الفاعل كشاهد على عصره .

وسنتناول في هذا الفصل تقري الدوافع الموضوعية والذاتية التي أسهمت في إطلاق هجائياته وبحسب اتجاهاتها :

أولا: دوافع الهجاء السياسي :

قدمت تناقضات السياسة للشاعر دوافع موضوعية فانطلق من واقعها وقد شحذت مزاجه وهو ممن يغاضبون ويعارضون الحكم والنظام السياسي [488] .

ونورد أمثلة من هجائياته السياسية لنقف على دوافعها الموضوعية والذاتية وأثرهما في بناء النص الهجائي عنده .

1- قصيدة (النقمة) والتي نُظِمت بعد عام من ثورة العشرين ، يدل على هذا أسلوبها [489] تلك الثورة التي قدم فيها العراقيون الغالي والنفيس من أرواح أبنائهم أملا بالاستقلال والحرية وإقامة الحكم الوطني ، لكنهم وبعد مرور عام تملكتهم الحسرة ودبّ الغبن في نفوسهم وتيقنوا أن تضحياتهم ذهبت سدى ، وقد دفع هذا الواقع الأليم وهو دافع موضوعي إلى نظمها وهذا ما أشار إليه الشاعر بعد أن انتهى الحكم للأعاجم والنبيط :

وطنٌ أقامتْ ركنَه شبابنا بدمٍ عبيطِ
يا للرجال تلاقفته يدُ الأعاجمِ والنبيطِ
سقطَ النشيط على افتقار الخاملين إلى النشيطِ
ولقد بكيتُ على حبوطكِ يا بلادي لا حبوطي

ويبدو أن الحسرة كانت دافعا ذاتيا يضاف إلى الواقع السياسي غير المرضي الذي كان زاد أبناء العراق ، لقد حفزته هذه الدوافع ليصور حال وطنه الذي جاهد أبناؤه لتكون عاقبة هذا الجهاد إلى الدخيل وانتهى به المطاف إلى اليأس وها هو الشاعر بهذا الشعور يحاول إيقاظ وطنه بنبرة تهكمية :

يا نائماً ما نبّهته الحادثات من الغطيطِ

---

(488) ظ : ذكرياتي : 180/1 وما بعدها .
(489) الديوان : 189/1 .

ويصف حاله وهي لا تختلف عن حال وطنه ، فيخاطبه إن كنت يا وطني بين الأعاجم فأنا هذه حالي :

أما أنا فكما ترى بين الطبيعة والمحيطِ
أُفٍ لها من عيشةٍ ما بين وغدٍ أو لقيطِ

2- قصيدة (يا فراتي)[490] ويحضر فيها (الفرات) دافعاً يحفزه في إطلاق انفعالاته فيهجو السياسة وما تفعله في الميدان العراقي ، وهو بعد أن يصف نهر الفرات وصف المحب المغرم ، ينتقل إلى الهجاء متخذا من الفرات نفسه منطلقا لهجائه :

يا فراتي وهلْ يحاكيكَ نهرٌ في جمالِ الضحى وبردِ العشيِّ
ملكتْ جانبيكَ عربٌ أضاعوا إذ أضاعوا حماكَ ، عهدَ قصيِّ
نضجتْ بالصغارِ منهم جلودٌ ولقدْ تنضجُ الجلودُ بكيِّ

وهو يتحين الفرص لإطلاق المكبوت من مشاعره الهجائية لما آل إليه حال الفرات ، والحقيقة أنه يريد حال العراق ، والفرات هنا عنده هو العراق دلالة لا اختصارا ، أو ربما هو شطر يريده من العراق .

إن القصيدة في بدايتها لا تُنبئ عن نية هجاء ، ولكنه طوّعها في ختامها لما يريد هو :

قدْ نطقنا حتى رمينا بهجرٍ وسكتنا حتى اتُهمنا بعيِّ
ورضينا حكمَ الزمانِ وما كا ن احتكامُ الزمانِ بالمرضيِّ

ويبدو لنا أن الشاعر ربما يُدفع بدوافع لا يستثمرها غيره فالفرات ذلك النهر العظيم دليل الخصب والنماء والعذوبة أصبح عند الجواهري فعلا يثير عنده هجاء يطوّحه الترميز :

فإذا كلُّ يومنا مثل أمسٍ وإذا كلُّ رشدنا مثل غيِّ
وعلمنا أن ليسَ نملكُ أمراً فصبرنا على احتكامِ (الوصيِّ)

وربما أراد الشاعر في هذه القصيدة أن يدلّ دلالة بعيدة جداً وهي أن الرسول [ﷺ] أراد لهذه الأمة نصحا ولكنّ أحدهم ظنّ به احتضارا والمحتضر يهجر على عادة العرب ، فهو يشبه حاله بذلك الحال تشبيها خاليا من ارتباط بشيء أو ربما أراد وهو في عمقه المشهور عنه أرتباطا بهذه الكلمة التي لا ترد عنده بلا معنى يرنّ في أعماق التاريخ الإسلامي فهجر ، والوصي وصبرنا ورشدنا ... كلمات لا تمرّ بلا معنى وهي كلمات تطارد هذه الأغلبية في العراق بمعنى أن الشاعر أراد بالفرات الشيعة الذين أقصوا من الحكم وهم ناصحون لبلدهم كما أراد رسول الله نصحا للأمة ، ولكن الاحتلال البريطاني اتفق مع الأقلية السنيّة على عادته واستراتيجيته مع الشعوب التي يحتلها ، فبريطانيا تتفق مع الأقلية التي تظن نفسها مظلومة من الأكثرية فتسلمها الحكم لتهرع إليها كلما اشتدت الأكثرية فتضمن بقاء الاحتلال ، والجواهري وإن كان يرفض الطائفية رفضا شديدا ولكنه هنا يعرض الأمر على أنّه تفريق بين الشيعة الذين ثاروا على الاحتلال وبعض أعوانه من السنّة ، وإن كان للاحتلال أعوان من الطائفتين [491] .

3- قصيدة (نزوات)[492] وفيها يظهر الوضع السياسي في العراق دافعا في نظم القصيدة ، و فيها يتنقل بهجائه بعدة محطات لبعضها صلة ببعض أو هي تؤلف صورة الوضع القائم ، يقول فيها :

البرلمانُ صحيحٌ يعوزهُ الانتخابُ

---

(490) الديوان : 221/1 .

(491) وهذا ما يذهب إليه أيضا الدكتور علي كاظم أسد المشرف على الرسالة ، بعد تعليقه على القصيدة .

(492) الديوان : 395/1 .

وفيـــــــــــــــهِ قـــــــــــــــامَ دويٌّ   تجهلـــــــــــــــــــهُ الأحـــــــــــــــــزابُ

يقف هنا في محطة البرلمان ساخرا طريقة تأليفه التي غاب عنها الانتخاب ، أما الدوي الصاخب فيه فمجهولٌ كنهه حتى على أعضاء الأحزاب المكونة للبرلمان ، ثم ينتقل لكشف عن الحال المأساوية لقومه وما جرت عليه السياسة :

قـــدْ بــــانَ مـــن نقـــصِ قـــومي   مـــــا لا تغطــــــي الثيــــــابُ
رقّـــــتْ لمــــا هــــي منـــــهُ   حتــــى الصـــــخورُ الصـــــلابُ
قــــالوا : حــــروبٌ فقلنــــا   لهــــم : وأيـــــنَ الحــــرابُ؟

يختم قصيدته (نزوات) راسما صورة شعبه الذي بدا النقص فيه واضحا ، وللجواهري صنعة يتصف بها كلّ شاعر فهو من الطبقة الفقيرة الكادحة فلِمَ لا يكون لسانها وهو ابن لها .

4- قصيدة (ضحايا الانتداب) نظم هذه القصيدة راثيا بها الأخوين (عمر وبكر) اللذين لقيا مصرعهما في أثناء إجراء الانتخابات البرلمانية في سنة 1928 [(493)] ، وفيها يبرهنُ أنّه وطنيٌّ تجاوز الأُطر الطائفية ، فقد حفّزته حادثة استشهاد الأخوين (عمر وبكر) اللذين مثّلا شباب العراق الطامح للحرية والاستقلال بعيدا عن الطائفية والمذاهب ، فما كان منه إلاّ أن يقف موقفه الوطني هذا ، يقول في رثائهما :

ســــلِ الأخــــوينِ معتنقــــينَ غابــــا   لأيـــــةِ غايـــــةٍ طويــــا الشــــبابا

ليصل إلى غايته بعد أن هيأت له التجربة هجوماً شنّه على السلطة بعنف واصفا إياها بصفات تترفع عنها الوحوش التي يمكن أن تتخذ من لحوم البشر زاداً لها ولكنها يستحيل أن تلبس من جلود الضحايا ثيابا تتأنق بها كما يفعل أصحاب السلطة ، يقول في هؤلاء :

وقــــد تخــــذوا لحــــومَ بنيــــهِ زاداً   وقــــد لبســــوا جلــــودَهُمُ ثيابــــا
رضــــوا مــــن صــــبحهم فجــــراً كِــذاباً   ومــــن أنــــوارِ شمسِــــهُمُ اللُعابــــا
وقــــرّتْ لــــلأذى مــــنهم صــــدورٌ   فســــمُّوهنَّ أفئــــدةً رحابــــا

وهذه رؤيته في نقد سلوك الساسة وقراءته لواقع السياسة في العراق ، ثم يخاطب بلده العراق الذي وفّته النكبات نصيبا منها :

فيــــا وطنــــي مــــن النكبــــات فــــأمنْ   فقــــد وفّتــــكَ حظّــــك والنصــــابا
وإنْ خَشُــــنتْ عليــــك مكاشــــفاتٌ   فحســــبُك أن تُجامَــــلَ أو تُحــــابَى
وإنْ طويّــــتْ علــــى دَغَــــلٍ قلــــوبٌ   فقــــد أُعطيــــتَ ألسِــــنَةً رحابــــا

5- قصيدة (أمان الله)[(494)] فيها يوسع دائرة الدوافع عنده منتقلا إلى الساحة العالمية ، هاجياً السياسة البريطانية وهذا ما يرغب فيه ، وهو الذي عاش أزمات الاحتلال البريطاني ، نظمت هذه القصيدة بعد الانقلاب الذي دبرته بريطانيا على ملك الأفغان (أمان الله) لوقوفه بوجه تغلغلها في أفغانستان ، فخلعوه بوسائلهم عن الحكم ، و فيها يوجه هجاءه لأكثر من وجهة ، حتى أنه نال رجال الدين في أفغانستان ، الذين شوّهوا وجه المدنية الإسلامية المتفتحة ، يقول فيها :

أتــــتْ (مدنيــــةُ الإســــلامِ) لَمّــــاً   لشــــعثٍ لا انشــــقاقاً وانصــــداعا
ولا لتَــــرى مواطنهــــا خرابــــاً   ولا ليَبيــــتَ أهلوهــــا جياعــــا
و لا لتكــــونَ للغربــــيِّ عونــــاً   يهــــدُ فيــــهِ للشــــرقِ اجتماعــــا

هو في هذه القصيدة التي نظمت في عام 1929م ، يعرض إلى ما يطلق عليه صراع الحضارات وكان قديما يسمّى باسم الحروب الصليبية (أي صراع أهل الصليب والمسلمين ، الذي ظلّ مستعراً إلى الآن ، ولكن المسلمين لا يعون هذا جيداً وخدعوا بالاسم الجديد ، وهو صراع

---

(493)ن.م : 433/1 .
(494) الديوان : 455/1 .

الحضارات ومن صوره احتلالهم لبلدان المسلمين يساعدهم في ذلك المنافقون الجدد الذين وصفهم القرآن ...نحن معكم ما غنمتم وعليكم إذا قتلتم وليتنا معكم فنفوز بالغنائم فوزاً عظيماً)[495] ، والجواهري هنا انطلق من واقعه انطلاقاً صحيحاً فسمى هذا الصراع صراع الظالم والمظلوم .

ثم يهجو البريطانيين ومن أغروهم من (الخراف) العملاء التي انقلبت إلى سباع أحكمت قبضتها على السلطة لتدمر شعبها وتكون عبدا للهمج الرعاع الذين يفسدون المُلك ، بإفسادهم لطباع الناس والسيطرة عليهم بشتى الوسائل ، يقول :

عفـــــتْ مدنيـــــةٌ لـــــدمار شــــعبٍ	وديــــع تخـــدمَ الهمـــجَ الرعاعـــا
هـــم نفخـــوا التمـــردَ فـــي خـــرافٍ	وأغـــــروهنَّ فانقلبـــــتْ ســــباعا
ومـــــنْ خطـــطَ السياســـةِ أن أرادتْ	فســـادَ المُلـــكِ أفســـدتْ الطباعـــا

6- قصيدة (المجلس المفجوع)[496] نظمها بعد انتحار عبد المحسن السعدون رئيس الوزراء آنذاك ، ألقاها في الجلسة التأبينية التي عقدها مجلس النواب وقد هيأت هذه الجلسة مساحة واسعة للجواهري ليتحرك فيها بهجائه الذي ألقاه على وجوه النواب ، فلم تفته فرصة كهذه (فمن ظواهر الجواهري أنه كان يستغل المناسبة مهما كانت ليوجهها إلى الهجاء توجيهاً لما يريد هو لا ما تريد المناسبة)[497] ، والقصيدة من المفترض بحسب أجوائها أن تكون رثائية ، ولكنها جاءت على غير ذلك ، فالهجاء فيها واضح جلي أطلق شرارته انتحار السعدون الذي يمثل الدافع الموضوعي وراء نظم القصيدة التي يهاجم فيها النواب في عقر دارهم واصفا إياهم بالأخشاب والأحطاب :

ولقــــدْ أقـــولُ لـــرافعين أصــــابعاً	ليســـتْ تحـــسُّ بأنّهـــا أحطـــابُ
رهـــنُ الإشـــارةِ تختفـــي أو تعتلـــي	وينـــالُ منهـــا الســـلبُ والإيجـــابُ
مـــاذا نـــويتُم ســـادتي : هـــل أنـــتُمُ	بعـــدَ الـــرئيسِ – كعهـــدِهِ- أخشـــابُ

ثم يوغل في هجائه محتقرا النواب ، الذين استحقوا العُلى لأنه سماهم بـ(النواب) فهم لولا ذلك لا يستحقون شيئا :

يـــا أيهـــا (النـــوابُ) حســـبُكُمُ عُـــلاً	قَـــولي لكـــم يـــا أيهـــا النـــوابُ
روحُ الـــرئيسِ تـــرفُّ فـــوقَ رؤوسِـــكُم	أرعـــوا لهـــا مـــا تقتضـــي الآدابُ

ثم يقسّم النواب ويصنفهم كلاً بحسب السلوك ونمط التفكير ، ويبدو أنه كان واعياً لما يجري في مجلس النواب ويعرف طريقة تصرف النواب ، يقول :

ســـترى حضـــوراً غـــائبين بفكـــرهِم	ســـترى الـــذين بـــلا اعتـــذارٍ غـــابوا
ســـترى الـــذين لـــه أســـاؤوا تهمـــةً	والـــى الـــبلادِ جميعهـــا هـــلْ تـــابوا
تـــأبى المـــروءةُ أنْ يُقـــدّسَ خـــائنٌ	أو أن يطـــولَ علـــى البـــريءِ حســـابُ

7- قصيدة (إلى الخاتون مس بل) التي أرسلها إلى جريدة العراق ونشرت في العدد (2950) كانون الأول في عام 1929م بتوقيع عراقي ، ويقدم للقصيدة تقديما نورده كما هو للوقوف على دوافع هذه القصيدة : ((حضرة صاحب جريدة العراق المحترم ، تنشر جريدة (البلاد) مذكرات المرحومة الخاتون (المس بيل سكرتيرة الشرق لدار الاعتماد البريطاني في العراق تباعا وكان نصيب عدد (البلاد) اليوم غير قليل من هذه الوخزات فقد كان التعريض بصورة سمجة بكرامة (الجعفريين) الشيء الذي يأباه التاريخ والوجدان والعقل وبصفتي أحد العراقيين فقد تحسست كثيرا لهذه (النعرة) المذمومة وقد جئت بأبياتي هذه داحضا لهذه التخرصات وخدمة للتاريخ))[498] .

---

(495)(ولا مناص من السؤال) د. علي كاظم أسد ، مقال غير منشور .
(496) الديوان : 501/1 .
(497) تحولات الخطاب بين مقتضيات الدافع وواقع التجربة في الشعر المعاصر – بحث للدكتور : علي كاظم أسد
(498) الديوان : 507/1 .

يتبين من هذا التقديم الدافع الذي أسهم في بناء هذا النص ، فالجواهري استفزّته تخرصات المس بيل ، فدافع عن الشيعة وكرامتهم بصفته عراقياً وليس طائفيا يبحث عن مورد يدافع به عن طائفته ، وهذا العراقي تحسس من النعرة الطائفية المذمومة في مذكرات (المرحومة) فضلا عن ان وخزات بريطانيا للشيعة في العراق يرفضها التاريخ والعقل فيقول أنه كتب القصيدة خدمة للتاريخ وهو يتصرف وكأنه أحد صناع التاريخ أو في الأقل أحد شهوده الكبار .

يبدأ القصيدة متهكما بالمس بيل :

قـــل للمـــس الموفـــورةِ العـــرضِ التـــي لبســـتْ لحكـــمِ النـــاسِ خيـــرَ لبـــاسِ

وأرى تحت هذا التهكم إقذاعاً بهذا التراكيب الذي يفهم منه العامة والخاصة صفة مشهورة لا تخفى دلالتها (موفورة العِرض) مُلبساً نفوذها صورة أرسلها للأذهان فارتسمت فوراً ارتساماً لا تخفى ملامحه بـ(خير لباس) واللباس عند المعاصرين عموما ليس عموم الملابس فكيف تبدو امرأة أجنبية لها نفوذ وجهته لضرر العراقيين .

إن هذا الفعل السيء قد صدر من امرأة أجنبية ورّى الشاعر عن فعلها بلباسها الذي يقصده ، فالعرب قديما تصف من يسوس الناس وهو جائر بأنّه لبس للناس جلد ذئب فاختار الجواهري هنا مادة (لبس) مع المس بيل لحاجة في نفسه قضاها .

ويمضي في هجاء (المس بيل) من حيث سياستها التي أصبحت شؤماً عليها فتابعها حتى قبرها بهذا النمط من الهجاء .

فَلَـــكِ التعـــزي عـــن سِياســـتك التـــي عـــادت إليـــك بصـــفقةِ الإفـــلاسِ
خطـــطٌ وقفـــتِ لهـــا حياتَـــك أصـــبحتْ شـــؤماً عليـــك وأنـــتِ فـــي الأرمـــاسِ

ولا شك في أن لا فائدة من هجاء ميت لا يتأثر بما يقال ، والجواهري يعلم هذا وأظنّ أنّه هجا منهجاً سياسياً مفهومه الاحتلال والاستغلال والتلاعب بمصائر الشعوب والأضرار بكرامتها ومعتقداتها لذلك أراد إغلاق هذا الباب الذي يُفتح على الطائفية البغيضة الخطرة بوجه من يستَنّ بسنتها ، وما كانت المس بيل ومذكراتها إلا خط الشروع عنده فضلا عن إحقاق الحق وإرجاعه لأهله الذين وقفوا بوجه الاحتلال البريطاني :

إن تهزئـــي مـــنهم فعـــذرُك واضـــحٌ فهـــم الـــذين ســـقوك أوبـــأ كـــاسِ
وهـــم الـــذين ارتكُـــمُ وقفـــاتُهم لطـــمَ الخـــدودِ ونتـــفَ شـــعرِ الـــراسِ

لقد أراد أن يخدم التاريخ لأنه كان يعي ما في خطابه من تحذير مفاده الوقوف عند الحقائق التاريخية ومغبة تغييرها أو حرف مسارها ، فالشيعة أول من تصدى لبريطانيا في احتلالها ولولا تضحياتهم بأرواحهم وأموالهم ومزارعهم وأبنائهم ولولا علماؤهم وشعراؤهم وأهل النجدة والفكر والقول والفعل منهم ما كان للعراق أساس وبريطانيا تتخذ موقفاً منتقماً من هذه الطائفة بإقصائهم عن الحكم وعرقلة نموهم وتنغيص الحياة عليهم ، فلا عجب من أن تبدو المس بيل بهذا الموقف من الشيعة ، ولا عجب أن يرد عليها الجواهري وعلى من يستنّ بسنتها هذا الرد ، إذن هو لم يقصد الدفاع عن طائفة بل يرد على النعرة الطائفية لئلا تنتشر ، ولا بأس في أن يكون مدافعا عن طائفة عراقية ، فهذا لا يعني طائفية منه بل لأنّ طائفة تعرّضت لهجوم أجنبي ولو تعرضت ديانة أخرى عراقية أو طائفة أخرى عراقية لردّ هذا الرد ، ويقول مؤكداً هذا المعنى :

مِـــلءُ العـــراقِ أماجـــدٌ لـــولاهم هـــو مثـــلُ بنيـــانٍ بغيـــرِ أســـاسِ
قـــد أصـــبحوا ولهـــم عليـــهِ دخالـــةً يـــا للظليمـــةِ مـــن قضـــاءٍ قاســـي
لا بـــأسَ أخـــداني فهـــذا كلُّـــه مـــن أجـــلِ إنّكـــم شـــديدو البـــاس

8- قصيدة (الحزبان المتآخيان) التي نظمت بعد اتحاد (الحزب الوطني) و(حزب الإخاء) بحزب واحد هو (الإخاء الوطني) وكان يمثل المعارضة [499] ، أن هذا الاتحاد ونتائجه كان الدافع لنظم القصيدة التي تحفل بالهجاء ، يحذر فيها الاتحاديين من ألاعيب خصومهم أصحاب السلطة :

أعيـــذُكُمُ أن يســـتثير اهتمـــامكم ... دنـــيءٌ يـــداري لقمـــةً أو مغفـــلُ

وهـل يرتضـي اغضـابُ شـعبٍ بأسـرهِ ... وإشـــماتِهِ : إلا غـــويٌ مضـــللُ

فــلا تعــذلوهم فــي اخــتلافٍ فــإنّهم ... مفـــاليسُ مـــن كـــذبٍ ودسٍّ تمولـــوا

ثم يبدأ هاجيا رجال السياسية :

زخـــاريفُ قـــولٍ تعتليهـــا ركاكـــةٌ ... ويبـــدو علـــيهنّ الخنـــا والتبـــذلُ

إذا مسَّــها القــولُ الصـحيحُ تطايحــتْ ... كمــا مــرَّ يمشــي فــي السـنابلِ منجـلُ

وألعـــابُ صـــبيانٍ تمـــرُّ بمســـرحٍ ... يقـــومُ عليـــهِ كـــلَّ يـــومٍ ممثـــلُ

في هذه القصيدة وغيرها ، يبدو ثبات عدائه للسلطة وإن تغيرت الوجوه الحاكمة ، وما دافع هذه القصيدة وغيرها إلا مناسبة للهجاء وحافز للتهكم أو السخرية .

9- قصيدة (الدم يتكلم بعد عشر) ويعود فيها إلى ذكريات ثورة العشرين بعد عشر سنوات ، وكانت أزمة سياسية واقتصادية خانقة تمرُّ على العراقيين [500] ، وهو يشير إلى النتائج التي آلت إليها هذه الثورة ، التي كانت مخيبة لآمال العراقيين ، منها وصول رجال إلى كرسي السلطة وساروا بالعراق باتجاه الأزمات ، إن ذكرى الثورة العراقية هو الدافع الذي استثاره لهجاء أرباب الحكم ، ويؤكد هذا العنوان الذي اختاره للقصيدة :

قُـلْ لمـن سـلتُ قانيـاً تحـت رجليـه ... واقطعتُـــه القـــرى والضـــياعا

خبّرونـــي بـــأنّ عيشـــةَ قـــومي ... لا تســـاوي حـــذاءَكَ اللماعـــا

ثم يهجو هؤلاء بقسوة شديدة :

فـــي ســـبيلِ الأفـــرادِ هوجـــاً ركاكـــاً ... ذهـــبَ الشـــعبُ كلّـــه إقطاعـــا

طعنـوا فـي الصـميمِ مـن يـركنُ الشعــ ... ــبَ إليـــهِ ونصّـــبوا القُطاعـــا

شَـحَنوهُم مِـــن خـــائنٍ وبـــذيءٍ ... ومريـــبٍ شـــحنَ القطـــارِ المتاعـــا

ثـــم صـــبّوهُمُ علـــى الـــوطنِ المنكـــو ... بِ ســـوطاً يلتَـــاعُ مِنـــهُ التياعـــا

10- قصيدة (لعبة التجارب)[501] فيها يظهر الدافع الذاتي قوة محركة لبناء النص الشعري ، والدافع إحساسه بظلم السياسة والطبقة الحاكمة للشعب ، وهذا بدا واضحا من عمومية الخطاب وتعداد صور هذا الظلم وغياب حادث معين أو دافع محدد في القصيدة ، يقول :

غـــزا الجهـــلُ أرضَ الرافـــدين فحلّهـــا ... كثيـــرَ الســـرايا مســـتجاشَ الكتائـــبِ

طليعـــةَ جـــيشٍ للمصـــائبِ هـــددتْ ... كرامتَـــهُ والجهـــلُ رأسُ المصـــائبِ

إذن فالجهل يغزو العراق وطليعته حفنة من العملاء الذين حازوا أمر الحكم والسلطة :

فكـــان لزامـــاً أنْ تحـــوزَ عصـــابةٌ ... تفيّـــتْ بظـــلِ الجـــاهِ أعلـــى المراتـــبِ

وكـــان لزامـــاً أنْ تـــتُمَّ ســـيادةُ ... عليـــهِ لأبنـــاءِ (الـــذواتِ) الأطايـــبِ

ويكرر (لزاماً) هذه بمرارة وتهكم كأن الأمر لا مناص من حدوثه ، فالناهي الآمر قضى بأن يتم أمر السلطة مثلما يريده هو :

وكـــان لزامـــاً أن تقـــادَ جموعُـــهُ ... حفـــاةً عـــراةً مهطعـــين لراكـــبِ

وكـــان لزامـــاً أن تحـــاكَ دســـائسٌ ... لـــه تحـــتَ اســـتارِ الخـــداعِ الكـــواذبِ

ثـم يهجـو الحيـاة المترفـة لهـؤلاء التـي كُوِّنـت مـن حرمـان العـراقيين فيرسـم صـورتين متناقضتين يوازن بينهما ، الأولى عن الحياة المستهترة المنفلتة لرجال السلطة ، والثانية عن الحياة

---

(499) الديوان : 59/2 .

(500)ن.م : 93/2 .

(501) الديوان : 235/2 .

البائسة لملايين العراقيين ليزيد من مأساوية المشهد العراقي مستثمرا قوته الهجائية في رسم الصورتين معا :

وتحيـــي ليـــالِ الـــرقصِ فيهـــا خليعـــةً تكشّـــفُ عـــن ســـوقِ الحســـانِ الكواعـــبِ
ويُجبـــى إليهـــا خمرُهـــا مـــن مشـــارقٍ يجـــادُ بهـــا تقطيرُهـــا ومغـــاربِ
وتلـــكَ مـــن الإدقـــاعِ تتّســـدُ الثـــرى يلاعـــبُ جنبيهـــا دبيـــبُ العقـــاربِ
وقـــد ذيـــدَ عنهـــا الـــزادُ رفهـــاً لآكـــلٍ وحـــرّمَ فيهـــا المـــاءُ صـــفوا لشـــاربِ

11- قصيدة (حالنا أو في سبيل الحكم) نظمها في الوقت الذي كانت الأحكام العرفية في عام 1935م تسود الشارع العراقي وقد أُحيل بسببها على لجنة الانضباط في وزارة المعارف - لأنه كان مدرسا في دار المعلمين الريفية – فحكمت عليه بالعزل عن وظيفته [502] .

ودافع القصيدة نفوره من رجال السلطة ، والذي أجّج في نفسه مشاعرا هجاءٍ هاجم بها أصحاب الكراسي السياسية ، يقول فيها :

وألمـــحُ فـــي هـــذي الوجـــوهِ كوالحـــاً مـــن اللـــؤمِ أشـــباحُ الوحـــوشِ الكواســـرِ
وتوحشـــني الأوســـاطُ حتـــى كـــأنني أعاشـــرُ ناســـاً أُنهِضُـــوا مـــن مقـــابرِ

ويمضي في هجاء هؤلاء الذين اتخذوا من النفاق والتدليس منهجا في الحياة يديم لهم السلطة :

وراحـــتْ أســـاليبُ النفـــاقِ مفـــاخراً ســـلاحاً قويـــاً للضـــعيفِ المفـــاخرِ
وحُبِّـــبَ تـــدليسٌ وذمـــتْ صـــراحةٌ فـــلا عـــيشَ إلا عـــن طريـــقِ التـــآمرِ
وأُلِّـــفَ بـــين الضـــدِ والضـــدِ ، مغـــنمٌ وفُرّقـــتْ الأطمـــاعُ بـــين النظـــائرِ

وكانت المغانم غير الشرعية الناتجة من السلطة ونزقها وحرمان الشعب من حقوقه هاجسا قويا في نفسه نجده حاضرا في معظم خطابه الهجائي الذي سخره لقضية شعبه الذي ملَّ من شذوذ هؤلاء ومن ثقل ظلّهم عليه :

لقـــد مـــلَّ هـــذا الشـــعبُ أوضـــاعَ ثُلّـــةٍ غـــدتْ بينـــه مثـــلَ الحـــروفِ النـــوافرِ
ومـــا ضـــرَّ أهـــلُ الحكـــمِ إن كـــان ظلُّهـــم ثقـــيلاً علـــى أهـــلِ النهـــى والبصـــائرِ

12- قصيدة (طرطرا) التي نظمت مما ترتب من تطبيق مرسوم صيانة الأمن وسلامة الدولـــة الـــذي أغلـــق جريـــدة الجـــواهري (الـــرأي العـــام) فـــي عـــام 1945م [503] ، فضلا عن خلافه الحاد مع صالح جبر رئيس الوزراء ومصطفى العمري ، فكانت هذه التداعيات الدافع الموضوعي لنظم القصيدة التي جاءت على النمط الهجائي الساخر وعلى وزن قصيدة تراثية من العصر العباسي وقد كانت (نمطا شعريا منقرضا شاد عليه الشاعر نمطا جديدا مستعينا بالواقع الماثل)[504] .

وبرغم سخرية القصيدة ترّفع فيها عن الشتم بل استثمر نفوذ السخرية لينال من فاعلين في واقع تصطرع فيه المصالح ومغبته مؤلمة للشعب :

إي طرطـــــــــرا تطرطـــــــــري تقـــــــــــدّمي تـــــــــــأخّري
تشـــــــــــيّعي تســـــــــــنّني تهـــــــــــوّدي تنصّـــــــــــري
تكـــــــــــرّدي تعرّبـــــــــــي تهـــــــــــاتري بالعنصـــــــــــرِ
تعمّمـــــــــــي تبرنطـــــــــــي تعقّلـــــــــــي تســـــــــــدّري

فالجواهري حين يستوعب كل هذه المفردات في هجائه الساخر ، لا يهجو قومية بعينها ولا مذهبا بنفسه ولا زيا خاصاً ، وإنما يهجو حكومة الفتنة أو فتنة الحكومة التي لا يحجبها حاجب عن هجائه ، لا حاجب الدين ولا القومية ولا الزي مهما كان .

---

(502) الديوان : 264/2 .
(503) الديوان : 119/3 .
(504) مجلة الموقف الأدبي – الخطاب التهكمي في شعر الجواهري .

لقد استفاد من دافع القصيدة ليطلق سخريته بوجه السلطة ورجالها والقصيدة (قطعة نادرة بالحكم والحاكمين ولم تكن مقتصرة على شخصية العمري وجبر واتباعهما) [505] :

تقلّبـــــــــي تقلـــــــبَ الـــــــــ	ــــــــــدهرِ بشـــــــــتى الغِيَـــــــــرِ
تصــــــــرّفي كمـــــــا تشائيـــــــ	ــــــــــينَ ولا تعتـــــــــــذري
لمــــــن ؟ !! أ للنــــــاسِ ؟ !! وهــــم	حثالـــــــــةٌ فــــــــي ســــــــقرِ
عبيـــــــدَ أجـــــــدادكِ مـــــــن	رقٍّ ومـــــــــن مســـــــــتأجرِ
أم للقـــــــــوانينِ ومــــــــا	جـــــاءتْ بغيـــــرِ الهـــــذرِ

ويستمر في (طرطرته) لاستيعاب كل المشهد السياسي العراقي وسلوكه المنحرف بعد أن تسيّده الأغبياء والجبناء ، فيكشف حقيقة هؤلاء المتسلطين ويصفهم بالضفادع التي ألبستها السلطة صفات الأسود ، وجملّت الغبي بأثواب العباقرة ، وهذا لا ينطلي على الجواهري الواعي الذين فضحهم للعراقيين :

أعطـــــــي ســــــماتَ فـــــارعٍ	شـــــــــــمردلٍ لبحتـــــــــــرِ
واغتصـــــــــبي لضـــــــــفدعٍ	ســــــــماتَ ليـــــــثٍ قســــــــورِ
وعطّـــــــــري قـــــــــاذورةً	وبالمـــــــــــديحِ بخّـــــــــري
وألبســـــــي الغبـــــــيّ والــــــــ	ـــــــأحمقَ ثـــــوبَ عبقـــــــري
وأفرغـــــــي علــــــى المخـــــــا	نيـــــــــثِ دروعَ عنتـــــــــرِ

ثم يضمّن خاتمة القصيدة بأرجوزة عبد الله بن عباس [506] (متصرفا بها) التي أرسلها تشبيها بليغا تمثيليا في شأن ابن الزبير حين أخلى الإمام الحسين [عليه السلام] له الفضاء ، فسارت مسرى الأمثال فاستدعى الشاعر هنا دلالة تاريخية مشبهاً حال الحكّام الذين خلا لهم العراق فعاثوا فيه :

أي طرطـــــرا (يـــــا لـــــكِ مـــــن	قُبـــــــــرةٍ بمعمـــــــــرِ)
(خـــــلا لـــــكِ الجـــــوُّ) وقـــــد	طـــــابَ (فبيضـــــي واصـــــفري)
(ونقّـــــري) مـــــن بعـــــدهِم	(مـــــا شـــــئتِ أن تنقـــــري)
قـــــدْ غفـــــلَ الصـــــياد فـــــي	لنـــــدن عنـــــك فابشـــــري

لقد أنهى (طرطرا) بالمفارقة كما بدأها وتحكم فيها والمفارقة في هذه القصيدة (هي جزء من حركية الخطاب التهكمي الذي ينساب من سيرورة القصيدة وفاعليتها النصية المتحكمة في إثراء النص وتمتين الصلة بين الماضي والحاضر)[507]

13- قصيدة (ذكرى أبي التمن)[508] نظمها الجواهري في أربعينية محمد جعفر أبي التمن وهو تاجر بغدادي له صيتٌ وطني ، وقد كان له دور في السياسة آنذاك ، أن هذه المناسبة هي الدافع الموضوعي لنظم القصيدة ، فأراد من أربعينية أبي التمن أن تكون مدخلا لإثارة الجماهير ومشاركتهم الآلام ، وكذلك الانتقاص من الحاكمين لينتفض المحكومون ، فأراد من قصيدته أن تكون سبيلا إلى الجماهير وليقول كلمته الجريئة ، وليعبر عن نفسه وعن خوالجها [509] .

القصيدة تسير في الاتجاه الذي تبناه الجواهري في هجائه للسلطة ومن لَفَّ لفها ، وها هو يعرض التناقض بين حياة رجال السلطة وأبنائهم وبين حياة الشعب ، وهذا معنى طالما أكده لبيان فساد الأنظمة :

واســـتفرشَ الشـــعب الثـــرى ودروبُهـــم	مملـــــــوءةٌ بنثـــــــارةِ الأزهـــــــارِ

---

(505) ذكرياتي : 435/1 .

(506) ظ : تاريخ الطبري : 384/5 .

(507) الخطاب التهكمي عند الجواهري – مجلة الموقف الأدبي .

(508) الديوان : 135/3 .

(509) ظ : ذكرياتي : 421/1 وما بعدها .

وتحـــــلأ الجمــــعُ الظمــــاءِ ووكّلــــتْ أبنـــــــاؤُهم بــــــالورِدِ والأصــــــدارِ

ثم يهجو التأويل السلطوي ، عندما يطالب الشعب بحقوقه ، فسلطة المنافقين والعملاء تحكم بأمر غيرها وهذا ما يلح به الجواهري في أكثر من مناسبة :

ذُعِــرَ الجنــوبُ فقيــلَ : كيــدُ خــوارجٍ وشــكا الشــمالُ فقيــلَ : صــنعُ جــوارِ
وتنـــابزَ الوســطُ المــدلُّ فلــم يــدعْ بعـــضٌ لــــبعضٍ ظنّـــــةً لفخــــارِ
وتســــــائلَ المتعجبــــــون لحالــــــةٍ نكــراءَ : مــن هُــم أهــلُ هــذي الــدارِ
هــي للصــحابةِ مــن بنــي الأنصــارِ مــن كــلِّ بــدريٍّ وكــلِّ حــواري
للحـــاكمين بـــأمرهِم عـــن غيـــرهِم ولصـــــفوةِ الأســــباطِ والأصــــهارِ
مــن كــلِّ غــازٍ شــامخٍ فــي صــدرهِ زاهـــي الوســـامِ ، مـــدوّخِ الأمصـــارِ
هـــي للـــذين لـــو امتحنـــتَ بلاءَهُـــم لعجبــــتَ مِــــنْ ســــخريّةِ الأقــــدارِ

14- قصيدة (أرشد العمري) و الدافع الموضوعي لنظمها قيام رئيس الوزراء أرشد العمري في بداية عهد وزارته بإغلاق الصحف وشن حملة إرهابية على القوى الوطنية في عام 1946م [510] .

والجواهري يهزأ بالعمري ويهجو سلوكه العبثي مع أبناء الشعب العراقي وفيها استثمار واضــح للســخرية وظّفــه للنيــل مــن خصــومه السياســيين وعلــى رأســهم العمــري نفسه :

تركـــــوا الـــــبلادَ وأمرهنّـــــه للـــــــــدائرتِ تديرهنّـــــــــــه
وموكّـــــــلٍ بالبـــــــائعين وبالـــــــدروبِ ورشـــــــهنّه
ومرافـــــقِ نُـــــدلِ الفنـــــادق بـــــين مـــــردوخ وحنّـــــه
بـــاللهِ قُـــلْ لـــي يـــا ابـــن منتـــو فِ الســـبالِ لأنـــتَ فتنّـــه

15- قصيدة (أخي جعفر) ودافع نظمها ، استشهاد أخ الجواهري (جعفر) في انتفاضة كانون في عام 1948م ، ألقاها في الحفل الذي أقيم بعد مرور سبعة أيام لاستشهاد (جعفر الجواهري) في جامع الحيدر خانة [511] .

قدم لهذه القصيدة تقديما تتضح به الأجواء النفسية التي كان يمر بها ، ومشاعر الحزن والألم التي كانت تعتريه لفقدان أخيه الأصغر ، وتتضح دوافع القصيدة ، فهو يخاطب أخاه ذاما أعداءه السياسيين وأذنابهم الذين كان يتفرجون من شرفاتهم العالية على مصرع أخيه ، فيقول : (أحبُّ أن أخبرك يا جعفر أن الوغد (تفرج) من شرفة (ديوانه) وأنت تخر صريعا وإن آخرين من لطخوا الأدب والشعر بالعار من أذنابه ... تفرجوا على القلوب كلها وهي تسيل عليك شعرا ونثرا دون أن يجدوا ما يحركهم)[512] .

ولاشك في أن هذه الدوافع أسهمت في إطلاق مشاعره رثاء وهجاء في القصيدة التي يهاجم فيها المتسلطين الذين أثقلهم (الغُنم) و(المأثم) و(السحت) :

أتعلـــــمُ أنَّ رقـــــابَ الطغـــــاةِ أثقلهـــــا الغُـــــنمُ والمـــــأثَمُ
وأنَّ بطـــــونَ العتـــــاةِ التـــــي مـــن الســـحتِ تهضِـــمُ مـــا تهضـــمُ
وأنَّ البغـــــيَّ الـــــذي يـــــدّعي مـــن المجـــدِ مـــا لـــم تحـــزْ (مـــريمُ)

16- قصيدة (يوم الشهيد)[513] هي كسابقتها (أخي جعفر) نظمت في الحادث نفسه وما نتج عنه ، وألقاها الشاعر في أربعينية الشهداء ، لكنها تميزت من سابقتها بأن الهجاء اتسع واشتد واستوفى تفاصيل كثيرة للطبقة السياسية التي كانت هي المسبب في اندلاع انتفاضة كانون وغيرها

(510) الديوان : 177/3 .
(511)ن.م : 255/3 .
(512) الديوان : 256/3 .
(513)ن.م : 267/3 .

من الانتفاضات الشعبية بعد توقيع معاهدة بورتسموث ، وفيها يهاجم شراسة رجال السلطة (اللئام) و(الأقزام) :

يـــومُ الشـــهيدِ : ومـــا تـــزالُ كعهـــدها ... هـــــوجٌ تـــــدنّسُ أمـــــةً ولئـــــامُ
قصـــروا عـــن العليـــا فلـــم يتناوشـــوا ... مـــا احتـــازَ منهـــا فـــارعون جســـامُ
وتقطعـــــتْ بالمكرمـــــاتِ حبـــــالُهم ... وبمـــا ابتنـــتْ همـــم فهـــنَّ رمـــامُ
وتجـــاهلوا أنْ لـــيس تـــربُ مســـامحٍ ... بدمائـــــهِ نهّـــــازةٌ غنّـــــامُ
وبـــأن أمّـــاتِ المـــآثرِ بـــرزةٌ ... عملاقـــــةً وبـــــأنّهم أقـــــزامُ

17- قصيدة (هاشم الوتري) نظمها في حفل تكريم الدكتور هاشم الوتري عميد الكلية الطبية العراقية لانتخابه عضوا شرفا في الجمعية الطبية البريطانية في عام 1949، بعد أن وجهت الدعوة للشاعر .

ولم يفوت هذه الفرصة ، أما دوافع نظمها فقد ذكرها قائلا : (كان الجو السياسي محتدماً... كان كل شيء يدفع إلى الحرية : الجور السياسي ...شخص نوري السعيد ...شخص الجواهري ... كنت موطنا نفسي حتى الموت)[514] .

كان من المفترض بحسب أجواء المناسبة أن تسير القصيدة على غير ما سارت عليه في النهاية فقد استثمر تكريم الوتري وتحول من المدح المفترض (إلى التقريع والتهكم المر المتفجر الذي يجسد روح الشاعر المتمردة والقادرة على كشف الواقع المستكين)[515] ، فأطلق هجاءه بصراحته المعهودة على الساسة ونوري السعيد خاصة ، وأن جاء الخطاب جمعاً لا مفرداً :

ولقـــد رأى المســـتعمرون فرائســـاً ... منّـــا وألفـــوا كلـــبَ صـــيدٍ ســـائبا
فتعهّـــدُوه فـــراحَ طـــوعَ بنـــانِهم ... يبـــرونَ أنيابـــاً لـــه ومخالبـــا
متنمّـــرين ينصّـــبون صـــدُورَهم ... مثـــلَ الســـباعِ ضـــراوةً وتكالبـــا

لقد عرّى خصومه ومهجويه وكشف عن أسرارهم وفضح خياناتهم أمام الشعب العراقي ، ثم أفصح عن نفسه بأنه الخصم العنيد الهازئ بهم والمتعالي عليهم والمحتقر لكراسيهم ولبشاعتهم والمحرض على شتمهم :

أنـــا حـــتفهُم ألـــجُ البيـــوتَ علـــيهم ... أغـــري الوليـــدَ بشـــتمهم والحاجبـــا
أنـــا ذا أمامـــك مـــاثلاً متجبـــرا ... أطـــأُ الطغـــاةَ بشســـعِ نعلـــيّ عازبـــا
وأمـــطُ عـــن شـــفتيّ هـــزءاً أن أرى ... عفـــرَ الجبـــاهِ علـــى الحيـــاةِ تكالبـــا
أرثـــي لحـــالِ مزخـــرفين حمـــائلاً ... فـــي حـــين هـــم متكهمـــون مضـــاربا

يستمر الجواهري في استثمار المناسبة بإطلاق مشاعره ويبث فيها شحنات شعرية تهزأ بخصومه وكأنه يتسلى بفريسته تسلي الأسد الآمن الذي لا يهاب خطرا .

وكدأبه كان لسان حال الفقراء والكادحين ، ناقداً للسلطة وسلوكها ، موطنا نفسه لما يصدر عنهم وإن عظم ، وهو يحاول تمزيق الأستار التي تخفي شناعة السياسة ورجالاتها ، وهو ذاك المؤمن بوجوده وتمرده ، وهو الذي يطأ الطغاة بنعله لا يعبأ بهم .

18- قصيدة (أطبق دجى)[516] هي من الهجاء السياسي ، وهو فيها يهجو الطبقة السياسية ساخراً ومتهكما ودافع نظمها الوضع السياسي القائم آنذاك بكل شذوذه وقد مثّل مادة أولية لهجائه الذي عبر عن انفعالاته ومشاعره الغاضبة تجاه المتبلدين والخاملين :

أطبـــــقْ علـــــى متبلديـــــ ... ـــــن شـــــكا خمـــــولَهم الـــــذبابُ
لـــــم يعرفـــــوا لـــــونَ الســـــما ... ءِ لفـــــرطِ مـــــا انحنـــــتِ الرقـــــابُ
ولفـــــرطِ مـــــا ديســـــتْ رؤو ... سَـــــهم كمـــــا ديـــــسَ التـــــرابُ

---

(514) الديوان : 391/3 .
(515) الخطاب التهكمي عند الجواهري- مجلة الموقف الأدبي .
(516) الديوان : 405/3 .

والجواهري الغاضب الذي يستمطر العذاب ليطبق على خصومه ، اعتمد أيضا على المفارقة في بعض مقاطع القصيدة ، ورسم الصور المتناقضة للواقع العراقي ، لذلك توزع هجاؤه علـــى السياســـيين وأذنـــابهم وعلـــى طبقـــة اجتماعيـــة لا تحـــرك ســـاكنا أزاء مـــا يجري :

أطبـــــقْ علـــــى هـــــذي الـــــكرو	شِ يمطّهـــــا شـــــحمٌ مـــــذابُ
مـــــن حولهـــــا بقـــــرٌ يخـــــو	رُ وحولهـــــا غرثـــــى ســـــغابُ
أطبـــــقْ علـــــى متنفجيـــــ	ـــنَ كمـــــا تنفجـــتِ العيـــابُ
مســـــتنوقين ويـــــزأرو	نَ كـــــأنّهم أُســـــدٌ غـــــلابُ

لقد وجد في أسلوب (الأمر) بـ(أطبق) المتواصل في القصيدة متنفسا له ، ولكنه لا ينقطع على طول القصيدة التي وظّفها لتعرية الواقع السياسي وطبقته الحاكمة باداءً غاضب طوّع السخرية والتهكم ووجّهه لمدّعي السياسة الراكدين في الظلام :

أطبـــــقْ دُجـــــىً لا ينـــــبلج	صـــــبحٌ ولا يخفـــــقْ شـــــهابُ
أطبـــــقْ فتَحـــــتَ سَـــــماك	خلـــقٌ فـــي بصـــائرهِ مصـــابُ
لا ينفـــــتح -خوفـــــاً عليـــــه-	مـــن العمـــى للنـــورِ بـــابُ
أطبـــقْ إلـــى يـــومِ النشـــورِ	ويـــومِ يكتمـــلُ النصـــابُ

19- قصيدة (سر في جهادك) دافع نظمها فوز حزب الوفد المصري في الانتخابات النيابية المصرية في عام 1950م ، وتوليه الحكم ، وإعلان حكومة الوفد إلغاء المعاهدة المصرية – البريطانية لعام 1936م [517] .

ويظهر الشاعر في هذه القصيدة في قلب ساحة الأحداث العربية متأثراً بها وهو يحاول نقل هذه التأثير إلى الجماهير العربية كلها بفضحه للطبقات الحاكمة محذراً الجماهير من العملاء والخونة الذين لا همَّ لهم سوى تسهيل مهمة المستعمر في استغلال بلدانهم وشعوبهم ، وقد اتخذوا من النفاق وسيلة للتسلق إلى سدة الحكم ، وهو هنا يقدمهم لرأي الجماهير :

فهـــم مـــع الغرثـــى صـــباحاً غيـــرهم	فـــي الليـــل ســـاعَةَ تُســـرجُ الأبهـــاءُ
يتعطفـــون علـــى (الســـوادِ) وإنّـــه	مـــنهم كمـــا احتكـــتْ بهـــم جربـــاءُ
ويبصبصـــونَ لمـــدقعٍ ويمسّـــهم	ضـــرٌّ إذا مـــسَّ التـــرابُ حـــذاءُ
ويثرثـــرونَ عـــن الإخـــاءِ وحـــولهم	خـــولٌ أســـارى عنـــدهم وإمـــاءُ

ويمضي في هجاء هؤلاء فاضحاً أدوارهم المنحرفة في لعبهم على أكثر من وتر مراعاة لأهوائهم النفسية ، وخدمة لمصالح المستعمر الأجنبي الذي يمنّ عليهم بالمناصب الوزارية جزاء ما اقترفوه من جرائم تجاه شعبهم الذي فرقوا صفوفهم للحيلولة دون نيل مطالبة المشروعة في أسباب العيش الكريم ، يقول في هؤلاء :

(ومظـــاهرونَ) علـــى الطغـــاةِ وإنّهـــم	شـــرطٌ لهـــم إن صـــرّحتْ هيجـــاءُ
يتراشـــقونَ علـــى الرخـــاءِ كمـــا رمـــتْ	بـــالوردِ أترابـــاً لهـــا غيـــداءُ
فـــإذا تفجـــرتِ الجمـــوعُ وآذنـــتْ	بـــالفجرِ تلـــك الليلـــةُ الطخيـــاءُ
نهضـــوا لتفريـــقِ الصـــفوفِ وأقســـموا	أن لا يمـــسّ الحـــاكمين بـــلاءُ
ثـــم ارتقـــوا أدراجهـــا فـــإذا بهـــم	رغـــمَ العبيـــدِ : الســـادةُ الـــوزراءُ

20- قصيدة (عبد الحميد كرامي) ألقاها في بيروت في عام 1950م بعد أن لبى الدعوة لحضور احتفال تأبين عبد الحميد كرامي ، والقصيدة سببت تداعيات كثيرة انتهت بطرد الجواهري من لبنان ، وكان لهذا ضجة كبيرة في المحافل اللبنانية والعربية [518] .

---

(517) الديوان : 11/4 .

(518) ظ : الديوان : 37/4 وما بعدها .

لقد استثمر هذه الدعوة لكشف ألاعيب الوسط السياسي في العراق وفي البلاد العربية فالحال متشابهة بين الجميع ، ويبدو أن حساسية الجواهري من الطبقة السياسية وسلوكها وظلمها المستمر للشعوب كان الدافع لنظم هذه القصيدة ، وهو في هذا الوقت صوت الشعوب المستضعفة ، وأبرز المتمردين على السلطة ، وهنا ينتهج الأسلوب الذي اعتاده في هجاء عملاء المحتل :

ألقـــى لنـــا المســـتعمرون عصـــابةً　　كانـــتْ تضـــمّ شـــتاتهم أحجـــارُ
مــن حاضــني حكــمَ الــدخيلِ وناصــري　　ســـــلطانَه إن عـــــزّةُ الأنصـــــارُ
ممــن بــلا (لــورانس) صــدقَ ولائهــم　　للتـــاجِ لا دغـــــلٌ ولا إســـــرارُ

ثـم يوغـل فـي هجـاء هـؤلاء ويفضـح فسـادهم السياسـي والمـالي بالتفصـيل رغبـة بإيقـاظ الجماهير وتنبيهها عما يجري في أروقة السلطة :

تنهـــي وتـــأمرُ مـــا تشـــاءُ عصـــابةٌ　　ينهـــى ويـــأمرُ فوقهـــا اســـتعمارُ
خويـتْ خزائنُهـا لمـا عصـفتْ بهـا الـــ　　ـــشهواتُ والأســـباطُ والأصـــهارُ
واســـتنجدتْ ـودم الشـــعوب ضـــمانُها　　ورفاهُهـــا- فأمـــدّها الـــدولارُ
يلـــوي بـــه عصـــبُ الـــبلادِ وتشـــترى　　ذمـــمُ الرجـــالِ وتحجـــزُ الأفكـــارُ

ويتابع هجاء المتسلطين على مصائر الشعوب وهم متشابهون سلوكا في كل البلاد العربية ، و يرى بوعيه أنهم يحاولون سد النقص في ضمائرهم المريضة ، بارتكابهم جرائمهم والوقوف بوجه الإصلاح المطلوب ، وهم – عنده - كعجوز تريد إصلاح أمر شبابها الضائع بعد أن عبث الزمن بما بقي منها :

أبصـــرتُ شـــمطاءَ تتيـــهُ وفوقَهـــا　　تشـــكو الضـــياعَ قـــلادةٌ وســـوارُ
جســـدٌ تعـــوّضَ بـــالحليِّ وجرسِـــهِ　　إذ غـــاضَ منـــه شـــبابُه الفـــوارُ
فـــذكرتُ كيـــف يُشـــدُّ مـــن متغطـــرسٍ　　واهـــي الضـــميرِ ضـــميرَهُ المنهـــارُ
ورأيـــتُ فـــي ســـوقِ النخاســـةِ تَعتَلـــي　　وجـــهَ الرقيـــقِ مهانـــةٌ وصَـــغارُ

21- قصيدة (أيها الوحش .. أيها الاستعمار) دافع نظمها موضوعي وهو التدخل الأمريكي في كوريا ونشوب الحرب فيها [519] .

فيوّسع من نطاق هجائه ليشمل شعوب العالم ، فالظلم لا يعرف الإقليمية ، فضعف الشعوب واحد والظلم الذي يقع عليها لا يختلف في بلد عن بلد آخر ، فقد تنمرت الدول الكبرى على كل الشعوب ، والنص هنا موشحة تنوعت قوافيها ، يهجو بها قوات أمريكا التي غزت كوريا :

أيهـــا الـــوحشُ ومـــا أزكـــى الوحـــوشْ　　تتحـــــدى الجـــــوعَ بـــــالمفترسِ
تغتـــــذي أطفالَهـــــا فيمـــــا تنـــــوشْ　　تحـــتَ أســـتارِ الـــدجى والغلـــسِ
وتُغـــــذى بعظـــــامٍ و(مشـــــوشْ)　　ونفايـــــاتِ الـــــدمِ المنـــــبجسِ

أيهـــا الـــوحشُ الضـــروسُ المحتمـــي
بفصـــاحاتِ اللغُـــى والمنطـــقِ
وبمـــا شـــرّعَهُ مـــن نظـــمِ
يختـــزي مـــنهنَّ وجـــهُ الـــورق

يهجو الشاعر الأمريكان رافعي شعار حقوق الإنسان بأنّهم سادة التمييز العنصري ، وما الزنوج في أمريكا إلا دليل صارخ على ذلك ، فالزنوج ذاقوا ألوان العذاب في بلدهم لا لشيء سوى أنهم ليسوا من أصحاب الدم الأزرق الأمريكي !! وهو يعتمد على التهكم في بعض مقاطع القصيدة :

أيهـــا الـــوحشُ الـــذي ذاقَ الزنـــوجْ　　ســـكراتِ المـــوتِ مـــن أنيابـــهِ
جُـــرمَهم أنْ عَـــدَموا لونـــاً يمـــوجْ　　بالـــدمِ الأزرقِ مـــن أنســـابهِ

---

(519) ظ : الديوان : 53/4 .

أيهـــا الـــوحشُ الـــذي ســـامَ الفـــروجْ   أن يلــــدنَ البــــيضَ مــــن أترابــــهِ

ميّـــزِ العِــــرقَ وفَاضِــــلْ بالـــدّمِ
وتصــــاعدْ طبقـــاً عــــن طبـــقِ
وامـــــنحِ الســــادةَ رقَّ الخـــــدمِ
واعـــطِ للصـــبحِ زمـــامَ الغســـقِ

22- بداية قصيدة في هجاء مصر ، لوّح ببيتين فتداركه الدكتور طه حسين خشية أن يستمرا إلى نصّ في هجاء مصر لأن الخطاب لمصر في الكلمة الثانية من البيت الأول ، فاستجاب الشاعر لرجاء عميد الأدب العربي فوهبه مصر [520].

و في هذين البيتين يستدعي الذاكرة التاريخية لمصر أبان حكم الأخشيديين وكافور وكأنه يريد إسقاط دلالة الماضي على وجه الحاضر المصري إيغالا في الهجاء :

مـــا انفــك يـــا مصـــر والإذلال تعويـــد   يســـومك الخســـف كـــافور وأخشـــيد
مقالــــة كبــــرت ألحـــــب شــــافعها   حـــب المســـودين لـــو شـــاؤوا لمـــا ســـيدوا

23- قصيدة (في مؤتمر المحامين) ألقاها تكريما لوفود المحامين العرب [521] وهي مناسبة استطاع استثمارها –كدأبه- في هجاء السلطة السياسية ورجالها ، تدفعه لذلك نفسه المتمردة التي خبُرت السياسة وأحابيلها ، و آمن بأن أعظم مهامه فضح المتسلطين على رقاب الشعوب ، وإذ يُحيّ المحامين العرب بـ(سلام) يستثني من لا يستحق سلامه معللا ذلك :

ســـــلامٌ علـــــى مــــــدقعٍ غــــــامرٍ   خصـــــــيبٍ بإيمانِــــــــهِ عـــــــامرِ
ولـــــيسَ علـــــى مــــــدَّعٍ كـــــاذبٍ   وســــــادتُهُ –زغـــــبُ الطـــــائرِ-
يـــــروحُ يـــــنفِّجُ مـــــن حضــــنهِ   بـــــدعوى مـــــن الكلـــــمِ النـــــافرِ
ويكشـــفُ عـــن محـــربٍ (حـــاردٍ)   ويطـــوي علـــى خـــائفٍ خـــائرِ
أفـــي الغُـــنمِ أشـــجعُ مـــن قســـورٍ   وفـــي الغـــرمِ أجـــبنُ مـــن صـــافرِ

ولا ينسى أن يعود فيهجو النفر الأوسط بعد هجاء السياسيين حتى يحيط بالمشهد السياسي كلّه :

ولكـــــنْ علــــى نفـــــرٍ (أوســـــطٍ)   تجمّــــــــدَ كـــــــاللبنِ الخـــــــاثرِ
قَعيـــــدٍ ويكـــــرهُ ســـــعيَ الجمـــــوعِ   إلـــــى الخيـــــرِ كـــــالمرأةِ العـــــاقرِ
فـــــلا هـــــوَ للشــــعبِ فــــي كلِّــــهِ   ولا هـــــــوَ للجانـــــــبِ الآخــــــــرِ
ولكـــــن كمـــــا شــــغلتْ نفســـــها   بنحيــــــين أخـــــتُ بنـــــي عـــــامرِ

ويختم قصيدته بهجاء نوري السعيد واصفا إياه باللص الذي خفَّ إلى لندن ، ويعجب الجواهري من مستعمر ربّى عجولاً كثيرة ، ولا يُلعن وقدْ لعن الله السامري بسبب عجلٍ واحدٍ وقد استلهم الشاعر هنا القصة القرآنية في عجبه هذا :

أقـــولُ : وقـــدْ لاحَ غـــولُ الـــبلاءِ   يُفـــــرِّجُ عــــن شــــدقِهِ الكاســـــرِ
وخفّـــــتْ (للنـــــدَنَ) تلـــــكَ الصـــــو   صُ تلـــبسُ ثـــوبَ الـــدُجى العـــاكرِ
وذرّتْ قـــــــــرونٌ لمســـــــــتعبدٍ   بنعـــــــرةِ ســـــــيدِهِ نـــــــاعرِ
عجـــــــولاً تُربّـــــــى لمســـــــتعمرٍ   ويُلعــــنُ فـــي عجلـــهِ (الســـامري)

24- قصيدة (ما تشاؤون)[522] ولا دافع لها إلا اليأس (واليأس من أهم دوافع الهجاء)[523] وقد مضى فيها الشاعر هاجيا يائساً من السلطة وقد يسخر أحيانا والنص كلّه على مبدأ المفارقة ، إذْ

---

(520) ظ : ذكرياتي : 93/2 وما بعدها .
(521) الديوان : 86/4 .
(522)ن.م : 125/4 .

يأمر الساسة في امتهان كرامة الناس وتضييع حقوقهم واستغلال ثرواتهم ونهبها ويقول لهم إن كانت هذه مشيئتكم فاستمروا عليها فلا يُتوقع منكم غير هذا وهذا من أوجع الهجاء إذا كان ثمة من يتوجع من الكلم ، يقول فيها :

لكــــــم النــــــــاسُ أكتـــــــعُ	مــــــــن ذويهــــــم وأبصـــــــعُ
خـــــــولٌ عنـــــــدكم ، خـــــــذوا	مــــــن تشـــــاؤون أو دعــــــوا
قـــــــدْ خُلِقْــــــتُم لتحصـــــــدوا	وعبيــــــــــــداً ليزرعـــــــــوا
لكــــــم (الرافـــــدان) و(الــــزا	ب) ضـــــــــــرعٌ فاضـــــــرعوا

ويمضي في هجائه لهؤلاء ساخرا من جبروتهم وطغيانهم ، إذ يصفهم بصفات معجزة فهم كالشمس رفعة أو كالموت الذي لا ينال منه أحد ، وهي سخرية موجعة يريد الجواهري منها نقيض ما ذكر وقد قال معلّقاً على بيتٍ في القصيدة يشبّه فيه الساسة في العراق بأنهم (الله) .. (بعد أن سخرت من الحاكمين ...وشبهتهم من باب (العكس) جئت بالبيت المذكور إتماما لذلك ، إنهم ....أصبحوا بجبروتهم هذا وكأنهم الله الواحد ...فكأن الله الواحد هم أنفسهم فهم (واحد) وهو لا شك أربع)[524]:

أنـتمُ (الشـمسُ) فـي السـماءِ وأزكـى وأرفـعُ
أنتمُ (الموتُ) هل يغيضَ من الموتِ مصرعُ
أنـتمُ (الخلـدُ) هـل يغـيضَ مـن الخلـدِ منبـعُ
أنـتمُ (اللهُ) واحـــداً وهـو لاشـكَّ أربـعُ

25- قصيدة (يا أم عوف)[525] وليس لها من دافع مباشر إلا شعوره المستمر بفساد الوضع السياسي الذي عاش فيه بعد أن تجاوز الخمسين ، وهو لا ينفك عن شعوره بالتمرد وأنّه الخصم العنيد الذي لا يلين وإنّه ضمير شعبه وصوت أمته .

وقد استثمر فرصة موضوعية لينطلق منها بالقصيدة وهذه الفرصة هي أنّه وجد عجوزاً تناهبتها سنون الفقر والحاجة وهي أم عوف ، فانسرب منها إلى هذه القصيدة التي شكا فيها من الفساد العام وضياع المقاييس وكاد أن يؤمن بأيدي خفية وأقدار مصممة تعبث بهذا البلد وبشباب أبنائه وأفساد الحياة عليهم وتضييع فرصهم ولذلك قربت من الخطاب التعميمي الحكمي والشكوى السوداء ، يقول في القصيدة :

ولقمـــةٌ ردّهـــا مــــا نســـترقُ بــــهِ	ومــــا نكــــافحُ زقومـــــاً وغســــلينا
يـــا (أم عـــوفٍ) وقـــد شـــبنا بمعتـــركٍ	نرعـــى المقـــاييسَ منـــهُ والموازينـــا
عميـــاً نـــدورُ علـــى مرمـــى حـــوافرِهِ	معقــــــودةٌ بتواليــــــهِ نواصـــــينا
مــــا انفـــكَّ فحـــشُ تظنّيـــهِ يلاحقنـــا	حتـــى عــــدينا بفحـــشٍ فــــي تظنّينـــا

26- قصيدة (خلفت غاشية الخنوع) ألقاها في سوريا في عام 1956م في الاحتفال التأبيني الذي أقامه الجيش السوري بذكرى مصرع عدنان المالكي وقد سببت هذه القصيدة أزمة افتعلها نظام السلطة في العراق آنذاك اضطرته للإقامة في دمشق لأكثر من سنة [526] .

والدافع فيها لا يختلف عن الدوافع الأخرى في قصائده السياسية وهو بغضه العميق للفساد ، يقول الجواهري عندما همَّ بالسفر إلى دمشق لحضور التأبين (خلفت ورائي الزرع والضرع كما

---

(523) مقصورة الجواهري – قراءة في آفاق البناء – الدكتور علي كاظم أسد – من أعمال مؤتمر الجواهري الذي أقيم في كلية الآداب- جامعة الكوفة – نيسان 2011 .

(524) الديوان : 130/4 .

(525) م.ن :197 .

(526) الديوان : 215/4 .

يقولون ... وخلفت غاشية الخنوع كلها-خنوعي وخنوع الآخرين وخنوع البلد ورائي وذهبت أقبس جمرة الشهداء)[527] .

إذن كانت هذه هي الروح التي دفعته ، فالخنوع آفة يبغضها الجواهري المؤمن بالثورة والتمرد وكذلك بحضوره الشعري لذا ترجمه رفضا وهجاءً ، وكأنه وجد المتنفس المناسب لإطلاق مكنونه الشعري ، يقول في القصيدة :

وعصارةُ للرجسِ تنسفُ ما ابتنى الأجدادُ من أكرومةٍ وحياءِ

وجيوشُ بغيٍ تستعينُ بمثلِها ... من خائني وطنٍ ومن دخلاءِ
نسجوا نسيجَ العنكبوتِ وها هُمُ ... منه بليلةِ حاطبٍ عشواءِ
واهي الخيوطِ يشفُّ عمّا تحتَهُ ... فكأنَّهم منهُ بغيرِ غطاءِ

خالقا فضاءً هجائياً كرّسه للساسة ، موغلا في رميهم بأهجى الصفات ، معريا فساد الأنظمة ، مسلطا الأضواء عليها ، كاشفا عن أمرهم لشعوبهم المغلوبة على أمرها:

وتقيّحتْ من زمنةٍ فتعفّنتْ ... بصديدهنَّ ضمائرُ الإجراءِ
فهُمُ كفاجرةٍ تغطّي جهدَها ... صَدَقَ الفجورُ بكاذبِ الخيلاءِ
وهُمُ كخرقاءٍ تنفِّشُ عهنَها ... صيفاً وتنقُضُ غزلَها بشتاءِ
وهُمُ يزقون الحقائبَ خشيةً ... من فجأةِ الأقدارِ كالنزلاءِ

27- قصيدة (الجزائر)[528] نظمها والشعب الجزائري في أوج نضاله على المحتل الفرنسي ، وقد خصص منها أبياتا لهجاء فرنسا وسياستها وقهرها للشعب الجزائري المحتل ، وكأن الجواهري يأبى إلا أن يكون صوتا للمظلومين والمناضلين أينما كانوا ، وربما تكون هذه وظيفة الشعر عنده ، وهو يعتمد في هجائه بهذه القصيدة على ذاكرتين الأولى أخلاقية دينية فيشبه فرنسا بالفاجرة التي علقت صليب المسيح على مخدعها ظلما وكذبا ، أما الثانية فهي فكرية إنسانية مذكراً فرنسا بثورتها التي هدمت رمز الظلم (سجن الباستيل) ، ولكنها تبنى (بساتيلا) وهذا نفاق وخيانة لما رفعته فرنسا من شعارات :

لكِ الويلُ فاجرةً علقتْ ... (صليبَ المسيحِ) على المخدعِ
تهدِّمُ (بستيلَ) في موضعِ ... وتبني (بساتيلَ) في موضعِ
أمنْ (مشعلِ النورِ) ما تحرقينَ ... أُباةً على الضيمِ لم تربعِ
ومنْ يومِ (تموزِ) ما ترسلين ... شواظاً على هلَّعٍ فزّعِ

ثم يطلق العنان لمشاعره ويصب جام غضبه على فرنسا (المدنية والحضارية) بأسلوب النداء والأمر معا وقد وظفهما للهجاء :

فيا سوأةَ الدهرِ لا تطلعي ... ويا بؤرةَ الغدرِ لا تنبعي
ويا قرحةً في صميمِ الشعو ... بِ قيئي صديدكِ واستبضعي
تواري فأنَّ هوانَ الحيا ... ءِ والطهرِ والعدلِ أنْ تطلعي
وظلّي بحيثُ يظلُّ الغرا ... بُ يحدِّجُ في جثثٍ وقّعِ

28- قصيدة (تحية إلى رونتري)[529] دافع نظمها زيارة المبعوث الأمريكي (رونتري) إلى العراق بعد ثورة تموز في عام 1958 وقد كانت الزيارة محل استهجان شعبي أستقبل به المبعوث الأمريكي ، والجواهري فيها ساخراً ومتهكماً وجاداً ، ويغلب على القصيدة أسلوب النداء الذي استعمله لينعت المبعوث الأمريكي بأقذع النعوت الهجائية ، فهو الكاذب واللص الذي يمثل دور الحرس وهو الضاحك بناب فتك بالشعوب :

---

(527) ذكرياتي : 136/2 .
(528) الديوان : 233/4 .
(529)ن.م : 321/4 .

يـــــا كـــــــذوباً لابســــــاً أبـــــداً	وهـــــو لــــــصٌ .. بدلــــةَ الحــــــرسِ
يـــا ضـــحوكاً عـــن فـــمٍ بشـــعٍ	ضـــمَّ نـــابَ الفاتـــكِ الشـــرسِ
يـــــا لســـــــاناً كلُّــــــهُ ملَــــقٌ	عشْـــتَ طـــولَ الـــدهرِ فـــي خـــرسِ
كســحتْ رجـــلاكَ مـــن أشـــرٍ	راكـــضٍ فـــي الغـــيِّ مـــنغمسِ

29- قصيدة (الصحراء في فجرها الموعود) نظمها تحيةً للشعب المغربي في أثناء أزمة الصحراء المغربية مع الاستعمار الإسباني في عام 1974م [530] . ويظهر الجواهري فيها على النهج نفسه حاملا هموم الشعب العربي منددا بالمحتل أينما حل ، وهذا دافع نظم القصيدة التي كرس منها أبياتا لهجاء إسبانيا ، فاصلا عنها الشعب الإسباني الذي عوّذه من شر حكومته الجائرة المستبدة التي تعبث بالشعوب :

مـا بـالُ (مدريـدَ) تشـكو العسـرَ معـدتُها	وتســـتزيدُ بمــــا لا تهضـــمُ المعـــدُ
أتشـــربُ البحـــرَ فـــي حلقومِهـــا علَـــقٌ	وتقضـــمُ الصـــخرَ فـــي أســـنانِها (درِدُ)
عـــوّذتُ شـــعبِكِ يـــا مدريـــدُ مـــن نكـــدٍ	لـو لـم يكـنْ مـن صـنيعِ الساسـةِ النكـدُ
قـــد شـــدّ ســـاعدُنا المبســـوطُ ســـاعِدَهُ	لـــو ارتخـــى عنـــهُ حبـــلٌ مبـــرمٌ مســـدُ

30- قصيدة (كم ببغداد ألاعيب)[531] لم ينظمها بدافع محدد إلا نفسه التي فطرت على تحسس الفساد السياسي ، إذ لا وقت محدد للجواهري ينطلق فهو منطلق أبداً ولكنه لا يظهر بشكل شعري إلا بعد أن يكظم نفسه لتنطلق بغتة كالبركان ، وفيها يهجو القائمين بأمر السياسة في بغداد وهو يسخر منهم سخرية شديدة ، بل أنه يهجو حتى بغداد ، مبيناً أنها متخمة بالتناقضات والانحراف السياسي والاجتماعي والثقافي :

خُزيــــــتِ بغــــــدادُ مــــــن بلــــــدٍ	كـــــــلُّ شـــــــيءٍ فيـــــــهِ مقلـــــــوبُ
فلــــــقُ الإصـــــــباحِ غربيــــــــبُ	ونعيـــــــقُ البـــــــومِ تشـــــــبيبُ
والخنــــــا غـــــــنمٌ ومحمـــــــدةٌ	والنهـــــــى جلـــــــدٌ وتعـــــــذيبُ
وبيـــــــوتُ الفســـــــقِ عـــــــامرةٌ	وعـــــــرينُ الليـــــــثِ منهـــــــوبُ

ولا ينسى أن تأخذ الوزارات ورجالها حظها من سخريته الشديدة ، وهذا ليس غريبا عليه وهو عدو السلطة الذي أوقف هجاءه لكشف أحابيل السياسة وانحرافها ودساتيرها التي أصبحت بيوتاً للعناكب :

و (وزاراتٌ) يلـــــــــمُّ لهـــــــــا	ريــــــثَ تستشـــــــفي مجاذيـــــــبُ
ونفايـــــــاتٌ تخـــــــفُّ بهـــــــا	مـــــــن نفايـــــــاتٍ أصـــــــاحيبُ
وغبـــــــاواتٌ يتـــــــاحُ لهـــــــا	مـــــــن غبـــــــاواتٍ أطاييـــــــبُ
ودســـــــــاتيرٌ مُمَخْرَقَـــــــــةٌ	عشعشـــــــتْ فيهـــــــا العناكيـــــــبُ

31- قصيدة (أ أبا مهند) وقد نظمها ردا على رسالة بعث بها نقيب الصحفيين السوريين [532] ، وهذا هو الدافع لنظمها ، و فيها يهجو حال الأمة العربية وما آلت إليه ، وفيها لم تتغير نظرة الجواهري لحال أمته وشعوبها المسحوقة عما كانت عليه قبل خمسين سنة ، من نظم هذه القصيدة في عام 1985 ، فالحال نفسها مزرية ، والمتسلطون على الشعوب انتهوا إلى الهوان والخنوع والتناثر إلى دويلات متنافرة فيما بينها :

أفأمّـــــةٌ هـــــذي التـــــي هُزِمَـــــتْ	وتنـــــــاثرتْ فكأنّهـــــــا أمـــــــمُ
يســـطو علـــى صـــنمٍ بهـــا صـــنمٌ	ويغـــارُ مـــن عَلَـــمٍ بهـــا عَلَـــمُ
ويســـــاوِمونَ علـــــى شـــــعوبِهُمُ	أعـــــدى الخصـــــوم كـــــأنَّهم حكـــــمُ

---

(530) الديوان : 185/6 .

(531) الديوان : 235/7 .

(532) ظ : ديوان الجواهري – طبعة بيسان : 317/5 .

ثم يهجو الحكام كدأبه الذي ما آنفك عنه ، موضحا بأنهم أسُّ البلاء ، الذي لا يكشف حتى يحل الطاعون الخطير علَّه سبيل الخلاص من هؤلاء :

أ أبـــا مهنـــدَ شـــرٌّ مَـــنْ حكمـــوا	مـــا كـــانَ لـــولا ذلٌّ مَـــنْ حكمـــوا
مـــاذا علـــى الراعـــي إذا اغتصـــبتْ	عنـــزٌ ولـــم تتمـــردِ الغـــنمُ
يـــا أيّهـــا الطـــاعونُ حـــلَّ بنـــا	فبمثـــلِ وجهـــكَ تكشـــفُ الغمـــمُ

ثانيا : دوافع الهجاء الخاص[533] :

في حياة الجواهري خصومات كثيرة فضلا عن عدائه الدائم للسلطة الحاكمة في كل عهد وبه أيضا أعداء من السياسيين وبعض الأدباء والكُتّاب والصحفيين وغيرهم ، وما يهمّنا ما عبّر عن علاقته بهؤلاء وهو يهجوهم أو يسخر منهم أو بعضهم بحسب رؤيته لعلاقته بهم لمواقف حدثت له معهم سواء كانت المواقف دفاعا عن مبادئه ومُثُله أو لمواقف خاصة وأظنّ أن لولا هذا التعبير لنُسيت هذه الأسماء ولم تذكر في الدرس الأدبي المعاصر ، فربما كان لهجائه لهم فضلٌ ، ما بقيت هذه النصوص ، ويحاول البحث هنا أن يدرس دوافع هذا الهجاء الخاص ونورد أمثلة منه :

1- قصيدة (غضبة) والدافع لنظمها عام أو موضوعي وهو تعريض صحيفة أحد الأحزاب بالجواهري كذبا وافتراء حول تداعيات استشهاد أخيه جعفر في وقت بدأ فيه بعض العملاء بسلب مكتسبات وثبة كانون بإعلان الأحكام العرفية بحجة حماية مؤخرة الجيوش العربية التي تقاتل في فلسطين في عام 1948م [534] .

لقد ردّ الجواهري على الذي تعرضوا له بالافتراء ، ساخرا بهم (أجل استغللت دم أخي .... فأصبحت وزيرا ...وغدوت نائبا ...واستغللته بطبيعة اشتراكي في الحكم لتمشية المعاملات الباطلة والشفاعة الشخصية)[535] ، لقد كانت هذه هي الأجواء المشحونة بالكذب على الجواهري صاحب المصاب الجلل بفقد أخيه ، والمتمرد على واقعه الخانع ، وهذا مثَّل دافعا حرّك مشاعره وأثار انفعالاته النفسية في هجاء خصومه وزعيمه الغراب مرة والحمار في أخرى :

وزعـــيمُ قـــومٍ كـــالغرابِ بـــه	صـــغرٌ وفـــي خطواتِـــهِ كبـــرُ
يغتـــرُّ فيمـــا لا يشـــرِفُهُ	جهـــلُ المغفـــلِ كيـــف يغتـــرُّ
يغتـــرُّ أنْ ألقـــوا بمعدتِـــهِ	عَفـــنَ الطعـــامِ فـــراحَ يجتـــرُّ
بـــادي الغبـــاءِ تكـــادُ تقـــرؤهُ	بـــالظنِّ لا خَبَـــرٌ ولا خُبـــرُ
أضـــحى وزيـــراً فاغتـــدى رهِقـــاً	مثـــلَ الحمـــارِ يـــؤودُهُ الـــوزرُ

ولا أوجع من هذا الهجاء ولا أقسى ، وقد وظف الازدراء توظيفاً مضى به إلى أشدّ الهجاء ، فهو بعد أن هجا زعيمهم التفت إليهم وهم الهمج الرعاع الفجرة الذين كانت قارعة الطريق تغص بهم قبل أن يلم شتاتهم ويتحلقوا حول زعيمهم ، مشيرا إلى ممارسة غاية في الخطورة مارسها هؤلاء ، ألا وهي الضرب على وتر الطائفية ، وكأنه يقول أن لا طائفية إلا ومن ورائها همج وخبث سياسي :

والتـــفَّ عـــن أطرفِـــهِ همّـــجٌ	مثـــلُ النعـــامِ يســـودُها الـــذعرُ
مـــن فـــاجرينَ بكـــلِّ قارعـــةٍ	حلّـــوا تحـــدّثَ عـــنهُمُ العهـــرُ
ومفـــرقين مـــذاهباً جمعـــتْ	وحنـــا عليهـــا الآيُ والـــذِكْرُ
مثـــلُ اللصـــوصِ يلـــمُّ شـــملَهُمُ	خـــيطُ الـــدجى ويحلُّـــهُ الفجـــرُ

---

(533) لم أطلق على هذا الهجاء صفة الشخصي أو الشخصية لأن هذه المادية لا تعني الخصوص إنما هي عامة وهذا رأي الأستاذ الدكتور المشرف .

(534) ظ : الديوان : 305/3 .

(535) م.ن : 306/3 .

2- قصيدة (التعوذية العمرية)[536] وهي في هجاء أرشد العمري دافعها خاص انطلق مما تراكم في ذاكرته وأختزنته من صفات هذا المهجو ، والقصيدة من الهجاء الساخر الذي يقوم على المفارقة وتطلّب التضاد والعكس إيغالا في الهجاء ، فالجواهري يعوّذ وجه مهجوه بالقمر ونوره وكذلك بالتعويذات الشعبية من العفص وغيره من شر منتقديه الأغبياء ، وهو يريد نقيض ذلك :

عـــــوّذتُ وجهــــــكَ بــــــالقمرْ   وبمـــــا أضـــــاءَ ومـــــا ازدهـــــرْ
بـــــالآيِّ مـــــن (عـــــادٍ) و (نمـــــرو   دِ) ومنزلـــــــــــةِ (البقـــــــــــرْ)
عوّذتُـــــهُ بــــــ(العفـــــصِ) رطـــــ   ـــــــباً أو يبيســـــــاً يـــــــدخرْ
مـــــن شـــــرِّ حاســـــدكَ الذميـــــ   ـــــيمِ علـــــى ســـــناكَ المزدهـــــرْ
والشـــــانئيكَ الأغبيـــــا   ءَ علـــــى حجـــــاكَ المســـــبطرْ

ثم ينهال على العمري متهكماً وساخراً فيدلِلَهُ فهو التحفة الجديدة !! والمفكر الذي انحسر الفكر عنده !! وهو الذي خلق نواب البرلمان من طين الحفر وهو فاتح الكاوور تلك المذبحة التي حدثت في كركوك في عام 1946 بأمر العمري نفسه [537] :

يـــــا تحفـــــةَ العصـــــرِ الحـــــديثِ بحيـــــثُ تحســـــدُهُ العُصـــــرْ
يـــــا أيهـــــا (الفكـــــرُ) العظـــــيمُ بحيـــــثُ تنحســـــرُ الفكـــــرْ
يـــــا خـــــالقَ (النـــــوابِ) خلـــــقَ (الطيـــــرِ) مـــــن طـــــينِ الحفـــــرْ
يـــــا فـــــاتحَ (الكـــــاوورِ) والبـــــاغي بهـــــا عـــــاتٍ أشِـــــرْ

3- قصيدة (الناقدون) نظمها الجواهري بعد أن امتلأت ساحة الأدب بـ(نقاد) شوّهوا مفاهيم الأدب عمدا وجهلا بدوافع إقليمية ضيقة ولم يخل سلوكهم من الحسد والحقد وبغض الفكرة الحرة [538] .

إن هذه الطبقة نُسِبتْ ظلماً إلى النقد ؛ لأنَّ على هؤلاء تقع تبعة بعض التيارات الأدبية الفاسدة فيما يسوّغون ويروجون وعلى هؤلاء تقع تبعة قيام سوق بعض الذين يُنسبون إلى الأدب والفن وما هم منه ،لذا هيأت هذه الطبقة للشاعر مادة خصبة ليزرع بها هجاءه ونقده وباباً ينفذ منه إليهم ، يقول مخاطبا أحد هؤلاء :

متـــــى رُحـــــتَ تنـــــزَعُ عـــــن مبـــــدعٍ   أكاليـــــــلَ إبداعِـــــــهِ الخالـــــــدِ
لتضـــــفُرَ منهـــــا بكـــــفِ النفـــــاقِ   تاجـــــاً علـــــى فـــــارغٍ جامـــــدِ
وتخلـــــعَ حقـــــداً علـــــى العبقـــــريِّ   أمجـــــادَ ســـــاعٍ علـــــى قاعـــــدِ

ويستمر باستفهامه الاستنكاري متهكما بهؤلاء، مقسما أطوارهم النقدية ، فهم مرة يحكّمون أنموذجاً فاسداً وأخرى يتبعون مذهبا عفا عليه الزمن ، وتارة يتملقون لأسيادهم ذوي نعمهم ، ورابعة أرضاء لمجتمع عميت عليه المعايير الأدبية :

متـــــى رحـــــتَ تنـــــزلُ بـــــالملهمين   علـــــى حكـــــمِ أنمـــــوذجٍ فاســـــدِ
فطَـــــوراً علـــــى منـــــزعٍ ســـــادرٍ   وطـــــوراً علـــــى مـــــذهبٍ بائـــــدِ
وآونـــــــةً لرضـــــــى ســـــــيدٍ   وأخـــــــرى لمجتمـــــــعٍ ســـــــائدِ
متـــــى كنـــــتَ أجـــــبنَ مـــــن صـــــافرٍ   والأمَ مـــــن جمـــــلٍ شـــــاردِ

4- قصيدة (يا ابن الثمانين)[539] ودافع نظمها خاص ، يهجو بها من يسعى للنيل منه ، وقد تجاوز الثمانين عاماً ، وبقدر ما افتخر فيها بنفسه ، هجا حاسديه والحاقدين على مكانته ، فهم أقزام

(536) الديوان : 165/4 .
(537) ظ : ن.م : 168/4 .
(538) ظ : الديوان : 279 .
(539) الديوان - طبعة بيسان : 291/5 .

لا يمسون مجده ، وإمّعات ينعقون وراء كل ناعق وهو ثابت الجنان لا تهزه كمائن الغدر التي أنتجها مجتمع ممزق :

كَـمْ هـزَّ روحـكَ مـن (قـزمٍ) يطاوِلُـهُ	فلـمْ ينلـهُ ولـم تقصـرْ ولـم يطـلِ
وكـمْ سـعتْ (إمعـاتٌ) أن يكـونَ لهـا	مـا ثـارَ حولَـكَ مـن لغـوٍ ومـن جـدلِ
ثبِّـتْ جنانـكَ للبلـوى فقـدْ نُصِـبتْ	لـكَ الكمـائنُ مـن غـدرٍ ومـن ختَـلِ
لا تـنسَ أنَّـك مـن أشـلاءِ مجتمـعٍ	يـدينُ بالحقـدِ والثـاراتِ والـدجلِ

وهذا يبيّن أن الجواهري لا ينفك عن روح المتمرد الرافض الذي يثور لمحض ظهور ذئب أو شرذمة ذئاب تريد نهشه وهو شامخ يسخر مما تريد ولا يخشى شيئاً مما يحاولون ، ويظهر من سياق القصيدة أنه يهجو أشخاصا بعينهم في العراق تطاولوا عليه أو هيأوا لذلك :

نُبئـتُ (شـرذمةَ الأذنـابِ) تنهشـني	بمشـهدٍ مـن (رمـاةِ الحـيِّ) مـن ثَعـلِ
يـا للحفيظـةِ لـم تظفـرْ بـذي شـممٍ	وللشـهامةِ ملقـاةً علـى طلـلِ
أيسـتثيرُ دمـي (وغـدٌ) و(صـاحبهُ)	بمـا يثيـرُ رمـالَ السـهلِ والجبـلِ
ولا ينـدُّ فـمٌ لا بعـدهُ خـرسٌ	ولا تمـدُّ يـدٌ ، لا تشـفَ مـن شـللِ

5- قصيدة (عبدة الجبورية)[540] هي قصيدة ساخرة يهجو بها الدكتور عبد الله الجبوري والصحفي عبد القادر البراك [541] .

والجواهري في هذه القصيدة يزيد من احتقاره لمهجويه وينكل بهم بقسوة فهو يسمي الدكتور الجبوري بـ(عبدة الجبورية) ويطلق على البراك (القرد المدلل مبروك) ويبدأ سخريته وهجاءه من إهداء القصيدة التي يهديها [(إلى الغجرية الفاتنة عبدة الجبورية) وهي في خيمتها الفارهة بضواحي الكرخ ببغداد ومعها قردها المدلل (مبروك)] [542] ، ودافع نظم القصيدة التي كتبها في غربته في براغ في عام 1982م هو العداء المتواصل والهجوم الخاص الذي تبناه الدكتور الجبوري للجواهري منذ نهاية الستينات [543] ، حتى إنه نفخ في رماد ما أثاره ساطع الحصري على الجواهري من الطعن في قوميته قبل أكثر من ستين سنة من تاريخ نظم هذه القصيدة ، ويبدو أن البراك كان من المروّجين لهذا .

لقد أوغل في هجاء خصومه هؤلاء إيغالا شديدا بلغ أكثره إلى الاحتقار والازدراء فضلا عن سخريته وتهكمه بالغجرية ابنة الطرب والراقصة المحترفة كنول النسيج :

أ (عبـدةَ) يـا ابنـةَ الطـربِ	ويـا معسـولةَ الشـنبِ
ويـا معزولـةَ النصفيـ	ـنِ مبتعـدٍ ومُقتـربِ
كرجـعِ الحائـكِ النـوْلِ	بنسـجِ المطـرفِ القشـبِ
ويـا مهـزوزةَ الخطـوا	تِ لـم تخطـئْ ولـم تصـبِ

ويستمر في نمطه الساخر هذا في كل القصيدة التي واصل فيها طعن مهجويه بشدة حتى أنّه خاطبهم بصفة المؤنث لأحدهم وبصفة القرد للآخر وما هذا إلا دليل على غضب الجواهري وزيادة في النيل من أعدائه ، فـ(عبدة) تلك القادرة على خلط الأوراق بعضها ببعض هي في مرمى هجائه ، ولا شك أن لقردها (المبروك) نصيباً وافراً من السخرية ومثله في الاحتقار :

بقـدرةِ (قـادرٍ) عجـبٍ	أرتنـا الجـدَّ باللعـبِ
وراحَ القـردُ (مبـروكٌ)	يلـمُّ حشـائشَ العُشُـبِ
ينشّـر مـن لفائفهـا	(ضـباباتٌ مـن السُـحبِ)
يعـضُّ علـى (دنـانيرِ)	يُلَقِّـطُ عَضَّـةَ الكَلَـبِ

---

(540)الديوان - طبعة بيسان : 311 .

(541) أخبرني بذلك الدكتور محمد حسين الأعرجي في لقاء خاص معه رحمه الله .

(542) الديوان - طبعة بيسان : 310/5 .

(543) لمعرفة ما كان يُضمر الجبوري للجواهري ، ظ : كتاب الدكتور المذكور الذي عنوانه (الجواهري ونقد جوهرته) .

ويلفـــــــــي عنــــــــدها لعقـــــــأ صـــــــدوقاً عـــــن منـــــيً كَـــــذبِ

ويختم القصيدة ساخرا من أن تكون (عبدة) المهزوزة القصب وقردها المدلل حديث الشعر ولكن هذا حدث بفضل الموهبة الفذة لـ(عبدة) وقردها وكأن الجواهري يأبى أن يترك أي مَنْزَع في القوس في هجاء الجبوري والبراك ، واعتقد أنه من أقسى ما هجا به أحد خصومه :

فَحَسْـــــــبُ يَرَاعِـــــــهِ نَسَـــــــبٌ إلـــــــى مَهـــــــزُوزَةِ القَصَـــــــبِ
وحســـــــبُ القـــــــردِ موهبـــــــةً لغيـــــرِ القـــــردِ لـــــم تهـــــبِ
وحســـــبُ القـــــردِ أن يمســـــي حــــــــــديثَ الشـــــــعرِ والأدبِ
وحســـــــبُ النـــــــاسِ ألهيـــــــةً بملهـــــــى غيـــــــرِ محتســـــــبِ

ثالثا : دوافع الهجاء الاجتماعي :

لقد آمن الجواهري الذي تبنّى مواقف شعب مظلوم ، أن يقف إلى جنب المجتمع كله ، وأنْ لا ذنب حتى في المفاسد التي تصدر عن المجتمع بل يشير بوعي إلى المسبب فَيُهاجِمْهُ بعنف وهو يعتقد أن السلطة الظالمة وعملاءها وغياب المصلحين أدى إلى ظهور مظاهر اجتماعية فاسدة أنتجت الجهل والحرمان وضياع الحقوق وامتهان الكرامة ، لذلك وقف إلى جانب الطبقات المحرومة يحارب المظاهر المشينة وسوف نقف على دوافع بعض منها:

1- قصيدة (الإقطاع)[544] نظمها في الثلاثينيات من عمره ودافعها ما رآه مما هو شأن الإقطاعيين من أصحاب الأراضي والمُلاّك في استغلال الفلاحين وأبنائهم وأسرهم وما يتصف به هؤلاء من قسوة وظلم في امتهان هذه الطبقة الفقيرة من الشعب تصل إلى الإذلال والتجويع والحرمان وسومهم سوء العذاب ، وقد غابت عنهم صفات الإنسان في معاملته لأخيه الإنسان حتى اتخذوا الفلاحين عبيداً لهم فكأنّ الأرض وهي ملك أو عن وراثة أو تخويل حكومي أو قوة عشائرية ، هي والفلاح ملكٌ لهم يتصرفون بالأرض ومن عليها بما يشاؤون ، وهذا هو الهاجس الذي يمرّ عليه شاعر مثل الجواهري ، يرفض الظلم والغبن كل يوم فاندفع وهو مؤمن بقيمة الإنسان ، يبني انفعالاته ورفضه شعراً يهجم على هؤلاء وإفسادهم وفسادهم ، راسماً صورة مأساوية في قدوم الإقطاعي وخلفه جمع من الفلاحين الذين أزهقوا أرواحهم في خدمته وإعمار أرضه في أشد الظروف قساوة ولم يجنوا منه سوى مزيدا من الخنوع والذل ، ولم ينسَ أن يتهكم بهم :

إذا أقبـــلَ الشـــيخُ المطـــاعُ وخلفَـــهُ مِـنَ الـزارعين الأرضَ مثـلَ السـوائمِ
مِـنَ المزهقـي الأرواحَ يَصلـي وجـوهَهُم مهـــبُّ أعاصـــيرٍ ولفـــحُ ســـمائمِ
قيامـــاً علـــى أعتابِـــهِ يمطرونَهـــا خنوعـــاً وذُلاً بالشـــفاهِ اللـــوائمِ
رأيـــتُ مثـــالاً ثـــمَّ لابـــنِ ملائـــكٍ تنـــزّلَ مِـــنْ عليائِـــهِ وابـــنِ آدمِ

ولا ينسى أن يجمع المسببات كلها ، فقيمة الإقطاع الظالم ما كنت لتنمو لولا سياسة حمقاء قائمة على توزيع المغانم بين رجالها التي كان الإقطاعيون يمثلون أغلبهم ، فهم أما رجال السلطة أو نواب في البرلمان وأعضاء في مجلس الأعيان أو وزراء في الحكومة ، وهذا ما فضحه الجواهري خصم السلطة العنيد الذي لا يترك مناسبة حتى يحرّض على حرب مبيدة :

وإنّ ســواداً يحمــلُ الجــورَ مكرهــاً فقيــرٌ لهــادٍ بــيِّن النصــحِ حــازمِ
يشــنُّ علــى الإقطــاعِ حربــاً مبيــدةً ولا يختشــي فــي الحــقِ لومــةَ لائــمِ
يمــدُّ يــداً تعطــي الضــعافَ حقــوقَهم ويســطو بــأخرى باطشــاً غيــرَ راحــمِ
ويجتـــثُّ إقطاعـــاً أَقـــرّتْ جـــذورَهُ سياســـةُ تفريـــقٍ وحـــوزُ مغـــانمِ

---

(544) الديوان : 355/2 .

2- قصيدة (الشباب المستخنث)[545] دافع نظمها ما آل إليه حال بعض الشباب في العراق وظهور ظاهرة (التخنث) والتشبه بالنساء ملبسا وسلوكا وهذا ما استفز الجواهري الطامح بأن يكون شباب العراق هم أداة التغيير والإصلاح لا أن يتزيّن بزينة النساء ، وتأخذ الميوعة من هؤلاء ، وهو هنا يريد النصح والتوجيه ، ولكنه لا ينسى التهكم :

مَــنْ مُبلِــغُ الأجيــال أنَّ شــبيبةً يتكحلــونْ
يتخطَّطُــون فــإنْ عَجِبْــتَ فــأنَّهُم يتحمَّــرُونْ
أمْ هُــمْ وَقــدْ لَبِسُــوا الجديــدَ غرانــقٌ يتــأنّقونْ
المــائعونَ مِــنَ الــدلالِ المنعمــونَ المترفــونْ

ثم يرسم صورة مناقضة لسلوك المستخنثين وهي صورة الشباب المكافح المناضل الذي تغص به السجون ، على حين يمرح المخنثون لاهين وراء مجونهم :

إنِّــي رأيــتُ وليتنــي قــد كنــتُ ممــنْ يعمهــونْ
زمــراً مِــنَ النفــرِ المخنــثِ يســرحونْ ويمرحــونْ
يتمــاجنونَ وبالمناكــبِ بيــنَهم يتــدافعونْ
مــن حيــثُ يــنخفضُ الحيــاءُ وحيــثُ ترتفــعُ السـجونْ

إن هذا التناقض المؤلم الذي يصوره الجواهري ما هو إلا تعبير عن حنقه الشديد ضد المظاهر الاجتماعية الفاسدة ومنها التخنث الذي دفعه واستثاره لنظم هذه القصيدة ، وهو الثائر على كل انحراف في السلوك وانحراف في المجتمع ، فضلا عن شعوره بأنّه من المجتمع وله الكلمة الفاعلة ، فيحمل تبعة هذا هو لا غيره - كما يشعر الشاعر - وليس على طريقة الداعية أو المصلح الاجتماعي .

3- قصيدة (رسالة إلى محمد علي كلاي)[546] ودافع نظم القصيدة ، ضياع المقاييس الحقيقية في هذا العالم وما كان كلاي إلا محض حجة للتعبير [547] ، ويظهر فيها الجواهري متهكما لاذعا وساخرا غاضبا على ما وصلت إليه المفاهيم الاجتماعية من إغفال تكريم العباقرة والاحتفاء بالمبدعين والخضوع لصراع اللكمات الدموية .

حين بنى القصيدة على المفارقة حصل لبسٌ عند بعضهم فظنوه يمدح كلاي وهذا ما دُهش منه الجواهري إلى درجة لا يريد معها تصديق حدوث ذلك (لا أريد أن أصدق أن هناك من يقرأ الشعر ويُسيء فهمه إلى هذا الحد ، هذه وصمة)[548] .

يبدأ تهكم الجواهري من إهداء القصيدة ، فالعالم وملايينُه أسبغوا الإعجاب والاحترام على كلاي عندما هزم خصمه وأدماه ، ثم يوغل في التهكم حين يسأل كلاي مستنكرا عن قيمة الشعر والفكر إزاء قبضته التي سحرت العالم :

يــا ســالباً بجمــاعِ راحــتِهِ	أغنــى الغِنــى وأعــزّ مســلوبِ
مــا الشــعرُ ؟ مــا الآدابُ ؟ مــا بــدعٌ	للفكــرِ ؟ مــا ومضــاتُ أســلوبِ
شســعٌ لنعلِــكَ كــلُّ قافيــةٍ	دوَّتْ بتشــريقٍ وتغريــبِ

ثم يسأل عن عبيد (كلاي) الذين استرقتهم ضرباته الدامية ، فأصبحوا خولاً في قصره المنيف :

قــلْ لــي –أبيــتَ اللعــنَ- ممتــدحاً	وكَرُمْــتَ عَــنْ لــومٍ وتثريــبِ
الملهمُــون أأنــتَ ترسُــمُهم	خــولاً مِــنْ الشــبانِ والشــيبِ
خــدماً لقصــركَ صــنعَ ســاحرةٍ	ذي ألــفِ ســقفٍ فيــهِ مــذهوبِ

---

(545) الديوان : 155/4 .
(546) الديوان : 19/7 .
(547) ظ : م.ن : 16 .
(548) م.ن : 16 .

ويرسم مشهداً يجمع صورتين الأولى عن العبقرياتِ التي نذرت نفسها لغيرها وعاشت في نسغ الحضارة والحياة وتحمّلت ما حُمّلتْ وماتت تتلوى تحت سياط الترهيب ، والصورة الثانية عن ملايين تهاوت تحت أقدام ضُرجت بدماء خصمها:

كـــمْ (عبقريـــاتٍ) مشـــتْ ضـــرماً	فـــي جـــنحِ داجـــي الجـــنحِ غربيـــبِ
وتنفّســـتْ رئـــةُ الحيـــاةِ بهـــا	مِـــن بعـــدِ تعبـــيسٍ وتقطيـــبِ
عاشـــتْ وماتـــتْ فـــي حُمـــى جشـــبٍ	جـــاسٍ شـــتيمِ العـــيشِ مســـبوبِ

...

مـــا عادلـــتْ أعشـــارَ (ثانيـــةٍ)	عمـــرتْ بســـاحِ مـــوحشٍ مـــوبي
تلـــكَ (الملايـــينُ) التـــي سُـــحبت	ســـحبَ (المخاضـــةِ) عبـــرَ أنبـــوبِ
نُثِـــرَتْ علـــى قـــدمين خُضّـــبتا	بـــدمٍ لآخـــرَ منـــهُ مخضـــوبِ

يختم القصيدة بخاتمة هي رأيه الصريح بما يجري حوله من ضياع الموازين الحقيقية التي أفضت إلى تنحية المبدع وتقريب غيره :

كـــمْ جـــاءَ دهـــرُكَ بالأعاجيـــبِ	مِـــنْ كـــلِّ مرفـــوضٍ ومشـــجوبِ
كـــمْ راغـــبٍ نُحـــى ومرتغـــبٍ	وكـــمْ اســـتعزَّ بغيـــرِ مرغـــوبِ
وكـــمْ اصـــطفى هُمُـــلاً بنـــادرةٍ	وكـــمْ ابتلـــى فحـــلاً بمجبـــوبِ

رابعا : دوافع هجائيات رجال الدين :

ترك الجواهري هذا الاتجاه وكأنه أدرك خطورة الإلحاح فيه ففي تاريخ شعره مرات عدة هجا فيها بعض رجال الدين ، ونورد هنا مثلين للوقوف على دوافعه :

1- قصيدة (علموّها) ودافع نظمها تأييده لفتح مدرسة للبنات في عام 1929م[549] ، فقد طالب النجفيون بذلك فاستجابت الحكومة ، وقد أيّد الجواهري هذا فهاجم قادة الجمود والجهل ووصفهم بأنّهم يخدمون المستعمر من حيث لا يشعرون ، فضلاً عن عدم فهمهم جوهر الدين ، فهم بهذا جعلوا الدين يحرّم المعرفة فهم لا يفقهون إلا الحرام الذي وضعوه هم أنفسهم للناس ، وهم بهذا يزدرون بالدين ، يقول فيها :

---

(549) ظ : الديوان : 461/1 .

قـــادةٌ للجمـــودِ والجهـــلِ فـــي الشـــرقِ ... علـــى الشـــعبِ تنتصـــرُ اســـتعمارا
لـــو بكفـــي مـــلأتُ دورَ المحـــامين ... عـــن المـــرأةِ الجهولـــةِ نـــارا
ازدراءً بالـــدينِ أن يُحســـبَ الـــدينُ ... بجهـــلٍ وخزيـــةٍ أمـــارا
وبـــلاءُ الأديـــانِ فـــي الشـــرقِ هـــوجٌ ... باســـمِهِ ســـاموا النفـــوسَ احتكـــارا

لقد استثمر معارضة بعض رجال الدين لفتح مدرسة البنات ليعبر عن مكنوناته النفسية تجاه هؤلاء (فقد استرجع الشاعر على ما أظن كل ما اختزنه في ذاكرته من سلوكهم ومن استبدادهم بمصائر الناس باسم الدين)[550] .

لقد عبر أيضا عن غضبه من بعض الناس الذين أسلموا أمرهم لهؤلاء ومشوا خلفهم عميانا فامتطوهم بغيا واحتقارا :

أســلموا أمـرَهم إلـى (الشـيخ) عميانـاً ... وســـاروا يقفونَـــهُ حيـــثُ ســـارا
وامتطـــاهُم حتـــى إذا نـــالَ بغيـــاً ... خلـــعَ اللُجـــمَ عـــنهمُ والعـــذارا
نبـــذَ القشـــرَ نحـــوهُم باحتقـــارٍ ... وحـــوى اللـــبَّ وحـــدَهُ والخَيـــارا
دفعـــوا غُـــنْمَهُم إليـــهِ وراحـــواً ... يحملـــونَ الأثقـــالَ والأوزارا

2- قصـيدة (الرجعيـون) ولهـا الـدافع نفسـه الـذي نظمـت بـه قصـيدة (علموهـا)

فالمعارضة الدينية اشتدت ولبست لباس الدين فوقفت لفتح مدرسة البنات [551] ، لقد تذرع الجواهري بهذه المعارضة وكأنه يتحين الفرص لهجاء بعض رجال المؤسسة الدينية التي قدمت (فرصة مهاجمتها على طبق من ماس وليس من ذهب حين وقفت ضد افتتاح مدرسة لتعليم البنات)[552] .

ويبدأ مهاجما وهاجيا من بداية القصيدة وكأنه ينتظر هجاء هؤلاء بفارغ الصبر وهو يرسم صورة الشعب الذي انتهبت حقوقه على يد من كان – من المفترض – منقذا من ربقة التخلف والجهل :

ألـــمْ تـــرَ أنَّ الشـــعبَ جُـــلُّ حقوقِـــهِ ... هـــي اليـــومَ للأفـــرادِ ممتلكـــاتُ
مشـــتْ كـــلُّ جـــاراتِ العـــراقِ طموحـــةً ... ســـراعاً وقامـــتْ دونَـــهُ العقبـــاتُ
ومِـــنْ عجـــبٍ أنَّ الـــذينَ تكفلـــوا ... بإنقـــاذِ أهليـــهِ هُـــمُ العثـــراتُ
غـــداً يمنـــعُ الفتيـــانَ أنْ يتعلمـــوا ... كمـــا اليـــومَ ظلمـــاً تُمْنَـــعُ الفتيـــاتُ

لقد فضح بهجائه ما كان مستترا خلف القدسية التي خلعها بعض ممن لم يفقه الدين وكأنه (يقوم بالكشف التدريجي عن جوهر الحكاية التي بدأت تتوضح حتى بلغ موطن الطعن القادر على الإجهاز على خصمه)[553] الذي تحكم باسم الدين وأثري بسببه ثراء فاحشا ترك الجياع تقف عند بابه وهم يلمّون فتات الخبز :

علـــى بـــابِ (شـــيخِ المســـلمين) تكدّسَـــتْ ... جيـــاعٌ علـــتْهُم ذِلّـــةٌ وعـــراةُ
هُـــمُ القـــومُ أحيـــاءٌ تقـــولُ كـــأنَّهُم ... علـــى بـــابِ شـــيخِ المسلمينَ مـــواتُ
يَلـــمُّ فتـــاتَ الخبـــزِ فـــي التـــربِ ضـــائعاً ... هنـــاكَ وأحيانـــاً تُمـــصُّ نـــواةُ
بيـــوتٌ علـــى أبوابِهـــا البـــؤسُ طـــافحٌ ... وداخلهُـــنَّ الأنـــسُ والشـــهواتُ

لقد استعد الجواهري لكل ردود الأفعال التي قد تناله من هجائه لهؤلاء الأقوياء المتنفذين على كل الصعد ومنها السياسي والاجتماعي والتنفيذي ، وهو يعلم قوتها لأنّه يعيش في بيئة تحكمها هذه المؤسسة وأسرته من هذه المؤسسة أيضاً فيقول : (فقد هجوتُ فيما هجوت ، مجتمعا قديما

---

(550) الجواهري – دراسة ووثائق : 62 .
(551) ظ : الديوان : 465/1 .
(552) الجواهري – دراسة ووثائق : 61 .
(553) الخطاب التهكمي عند الجواهري .

بأسره وكان لابد من مواجهة من فعل ورد فعل)[554] حتى أنّه كان مستعدا للاستقالة من وظيفته في الديوان الملكي مضحيا بقربه من الملك فيصل الأول الذي عاتبه على هذه القصيدة [555] لقد آمن بهجائه هذا ولم يبال بما قد يحدث لأنه كان موطنا نفسه لأسوأ الاحتمالات فهو يهجو كل مذموم ومشبوه سيطر باسم الدين على رقاب الناس واتخذه أداة تجارية تُغني أسباطه وأصهاره اللصوص الزناة :

تحكّمَ باسمِ الدينِ كلُّ مذممٍ ومرتكبٍ حقّتْ بهِ الشبهاتُ
وما الدينُ إلا آلةٌ يشهرونَهَا إلى غرضٍ يقضونَهُ وأداةُ
وخلفَهُمُ الأسباطُ تترى ومنهُمُ لصوصٌ ومنْهُمُ لاطةٌ وزناةُ
فهلْ قَضَتِ الأديانُ أنْ لا تُذِيعَهَا على الناسِ إلا هذهِ النكراتُ

إنّ الجواهري لا يترك فرصة إذا سنحت ويضمّن نصه هجاء لمن عدا على الناس باسم الدين أو استغلته السياسة أو استغل هو الجهلة التي لا يخلو منهم مجتمع مثل العراق ، فقد زوّد المقصورة بشواظ منه لهؤلاء ولم ينسّ في قصائد أخرى ذكرناها في الفصل الأول أن يذكر طرفا لهؤلاء ، ولسنا بصدد الاستقصاء ، ولكن هاتين القصيدتين مثال لهجائه مدعي الدين أو المستفيدين منه .

خامسا : دوافع الهجاء متعدد الاتجاهات :

لا تختلف هذه الهجائيات عن غيرها من حيث الدوافع التي استدعت نظمها وسنورد بعض الأمثلة لتزويد البحث بتأثير الدوافع بإطلاق الهجاء :

1- قصيدة (تحية الوزير)[556] دافع نظمها قيام وزير المعارف عبد المهدي المنتفجي بفصل أنيس النصولي مدرس التاريخ من وظيفته بسبب تأليفه كتاب (الدولة الأموية) الذي نال في جزء منه من ثورة الإمام الحسين ﴿عليه السلام﴾ بل من الإمام نفسه بروح طائفية مرفوضة [557] .

والجواهري يهجو النصولي مثير الفتنة ومزور التاريخ طالبا منه استطعام غير بغداد بهذه النعرة ففيها ما يكفي من اغتصاب الحقوق وتشويه الحقائق :

هذا نتاجُ شعورٍ جاشَ جائِشُهُ راعوا عواطِفَ هذا الشعبِ يا عُربا
أما العراقُ فقد غصّتْ (مطاعِمُهُ) فاستطعِموا بعدَهُ بيروتَ أو حلبا

---

(554) ذكرياتي : 212/1 .
(555) ظ : ذكرياتي : 212 .
(556) الديوان : 389/1 .
(557) ظ : الجواهري –دراسة ووثائق : 96 وما بعدها .

ضـــاقتْ بمـــا لَقيـــتْ مـــنهم مـــواطنُهُمْ		لكنّمـــا مـــوطني مِـــنْ ذِلّـــةً رَحُبـــا

لقد انطلق الشاعر هنا من إنسانيته الشاملة فليس الحسين [عليه السلام] رمزاً دينيا ولا طائفيا ، بل هو كجده [صلى الله عليه وآله وسلم] مبعوث للناس كافة ، وهو معلم للأجيال مهما اتسعت الدنيا وامتدت ، وهو مثال الرفض ومثال طالب الإصلاح ، وقد شعر الجواهري بأنّه فوق انتمائه التقليدي لطائفة الشيعة التي تحتفل بذكرى الحسين [عليه السلام] أكثر من غيرها بصورة مستمرة دائمة لا تنقطع ، أنّه فوق هذا تلميذ لهذا الرافض العظيم وقد يُظن أن هذا ردّ فعل مألوف من أي شاعر نجفي ، ولكن هذا الظن في حسباني مرجوح ، فبالرغم من قوة الدافع في هذا الأمر ، لم يدفع شاعراً مثل الشبيبي أو الشرقي مثلاً وهما شاعران من النجف ويعيشان في الأجواء التي يعيش بها الجواهري المستفز الذي هجا النصولي غير مكترث بما أوصاه به الشرقي بأن يكلم الناس بابن عم الكلام [558] ، فكلمهم بأفصح الكلام هجاء والسبب يعود إلى نفس الجواهري المتمردة الرافضة لتشويه الحقيقة واختلافها مع الشرقي أو الشبيبي في التعبير عن انفعالاتها ومكنوناتها .

يصف الجواهري النصولي بأنه ساقط الأخلاق أغراه شيطانه بدق إسفين الفتنة بين العراقيين ولما لم يحصل على مراده وفُضح أمره كان لابد من طرده غير مأسوف عليه :

وقيعـــةً بـــين شـــعبٍ هـــادئٍ وجـــدوا		كفـــواً لهـــا ســـاقطَ الأخـــلاقِ فانتُـــدِبا
مـــا كـــان يعلـــمُ لمـــا أن أهـــابَ بـــه		شـــيطانُه أن يجـــرَّ الويـــلَ والحربـــا
حتـــــى إذا صـــــوَّحتْ آمالَـــــهُ ورأى		أنَّ الأمـــانيْ التـــي غرّتْـــهُ عُـــدْنَ هَبـــا
عـــضَّ النواجـــذَ مـــن غـــيظٍ فمـــا نفعـــتْ		شـــيئاً وأهـــوتْ بـــه مـــن واجـــدٍ غَضـــبا

2- قصيدة (المقصورة)[559] ودافعها خاص اعتمل في نفس الجواهري وهو يرى المجتمع السياسي والاجتماعي والديني يزخر بالانتهازيين والأغبياء والخاملين على حين يبعد الأذكياء المبدعون وهذا ما فجر طاقاته الهجائية في قصيدة هي من أهم قصائده وهي لا تخلو في كثير من مواضعها من السخرية والتهكم والازدراء ومعاني الهجاء الأخرى التي وصلت إلى الإيجاع والتشنيع والفضح وقد حوت أكثر من سبعين بيتاً من الهجاء أي حوالي ثلث القصيدة ولم يترك طبقة من المجتمع إلا هجاها من السياسيين والأدباء ومنتحلي صفة النقد والصحافة ومدعي الدين ومجلس النواب والأعيان وغيرهم ، يقول فيها :

وجِلســـــــاً لـــــــداركَ والمقرفـــــــونَ		يجولـــــــونَ كـــــــلَّ مجـــــــالٍ بـــــــدا
علـــــى حـــــينِ راحَ هجـــــينُ الطبـــــاعِ		تنطّـــــــفُ أطرافُـــــــهُ بالخنـــــــا
أدرَّ عليـــــــهِ ثُـــــــديَّ الخمـــــــولِ		وهزّتـــــهُ فـــــي المهـــــدِ كـــــفُّ الغبـــــا
يجـــــرُّ ذيـــــولَ الخنـــــا والغنـــــى		وتهفـــــو عليـــــهِ ظـــــلالُ المنـــــى

جاهر الجواهري بهجائه لأغبياء السياسة والخاملين الاجتماعيين بالرغم من أنهم يمثلون شخصيات المشهد العراقي فهو يعريهم ويفضحهم ويختم على جباههم ختم بنات الليل ويجعلهم سبة وعارا حتى على أولادهم ، وما مجاهرته هذه إلا دليل على قوته في مواجهة الخصوم فضلا عن علو كعبه الهجائي :

إذا شـــئتُ أنضـــجتُ نضـــجَ الشـــواءِ		جلـــوداً تعصّـــتْ فمـــا تُشـــتوى
وأبقيـــتُ مِـــن ميســـمي فـــي الجبـــاهِ		وشـــماً كوشـــمِ بنـــاتِ الهـــوى
فـــــوارقَ لا يمّحـــــي عارُهـــــا		ولا يلتبســـــنَ بوصـــــفٍ ســـــوى
بحيـــثُ يقـــالُ إذا مـــا مشـــى الــــ		ــــصلي بهـــا : إنّ وغـــداً بـــدا
وحيـــــــثُ يعيِّـــــــرُ أبنـــــــاؤه		بـــــأنَّ لهـــــم والـــــداً مثـــــلَ ذا

(558) ظ : م.ن : 95 وما بعدها .
(559) الديوان : 201/3 .

ثم يهاجم منتحلي صفات الأديب فهم كالبوم يجاوب بعضه بعضا هذرا لا قيمة له حتى وأن اعتقدوا غير ذلك فيما يسطرون ، فهم مهما ارتفع شأنهم صهوة يمتطيها غيرهم :

ومنتحلـــــــي ســـــماتِ الأديـــــبِ	يظنّونهـــــا جببـــــاً تُرتَـــــدى
كمـــا جاوبـــتْ (بومـــةٌ) بومـــةً	تقـــارِضُ مـــا بينهـــا بالثنـــا
ويرعـــون فـــي هـــذرٍ يـــابسٍ	مـــن القـــولِ رعـــيَ الجمـــالِ الكـــلا
يـــــرونَ (وريقـــــاتهم) بُلغَـــةً	مـــن العـــيشِ لا غايـــةً تُبتغـــى
فهـــم والضـــميرُ الـــذي يصـــنعونَ	لمـــن يَعتلـــي صـــهوةً تُعتلـــى

3- قصيدة (ثمر العار) [560] دافعها خاص وكدأبه هاجم السياسيين قادة وأحزاباً وفيها من السُخر الذي يلعن الصنائع السياسية وهي تطل كل يوم تجرجر أذيال الغباء :

أيْ جَرَبـا ويحـكِ مـا أصـلفَ وجهَـكِ الغبـي
أكــلَّ يـــومٍ تطلعـــينَ للـــورى بكوكـــبِ
مُـذنّبٍ مـن فضـلِ مـا أعطيتِـه مـن ذَنَـبِ
أيْ جربـا كـمْ تـدعينَ عفـةً لـم تـوهبي

في هذه القصيدة يسلك المنهج الذي سلكه في قصيدته (طرطرا) نفسه فالخطاب فيها لمؤنث وكأنه يحتقر مهجويه وهم نتاج حكومة وفتنة فاسدة ، ويعتمد أيضا على المفارقة وإيراد الصور المتناقضة التي تحكم المشهد السياسي المملوء بالبهلوانات التي تفرّج هم كل مكتئب ومهموم :

أي جربـا يـا (بهلـوانَ) الملعـبِ المُجـرّبِ
يـا ضـحكةً جـادَ بهـا الـدهرُ علـى مُكتئـبِ
يـا فرجـةً لمعـدمين فـي دُمَـلٍ ملتهـب
يـا ثمـرَ العـارِ ويـا جريمـةَ التسـيبِ

4- قصيدة (تنويمة الجياع)[561] ويظهر أن دافعها خاص ، فالجواهري المؤمن بالشعب وطبقاته المسحوقة والمدافع عنها والمطالب بحقوقها بوجه السلطة الحاكمة كان لابد أن ينظم هذه القصيدة التي جاءت على النمط الساخر وهي (مونولوج درامي آخر ينبع من القلق والشفقة يلبس الفاجعة لبوس السخرية)[562] .

ويظهر فيها غاضبا لما آل إليه حال جياع الشعب المحرومين من أبسط حقوقهم الحياتية ، لذلك يطلب ساخرا متهكما ، منهم النوم :

نـــامي تصـــحّي نعـــمَ نـــومُ المـــر	ءِ فـــي الكُـــرَبِ الجِسَـــامِ
نـــامي علـــى حِمَـــةِ القنـــا	نـــامي علـــى حـــدِّ الحســـامِ
نـــامي إلـــى يـــومِ النشـــورِ	ويـــومَ يـــؤذنُ بالقيـــامِ
نـــامي علـــى المســـتنقعا	تِ تمـــوجُ بـــاللجِ الطـــوامي

وتظهر حدته وشدة غضبه في تكرار أسلوب الأمر بلفظة (نامي) في أغلب أبيات القصيدة وكأنه يطلب النهوض والاستعداد لتغيير واقع الجياع ، وهذا هو صوت المتمرد الذي يضع (جياع الشعب بقوة أمام أعدائها ، طبقة أزاء طبقة وكأنه بهذا وصل إلى قمة السخرية المريرة بحيث لم يستطع أن تنتهي إلى الصمت)[563] .

نـــامي جيـــاعَ الشـــعبِ نـــامي	الفجـــرُ آذنَ بانصـــرامِ
والشـــمسُ لـــنْ تؤذيـــ	ـــكِ بعـــدَ بمـــا تـــوهجَ مِـــنْ ضـــرامِ
والنـــورُ لـــنْ (يعمـــي)جفـــو	نـــاً قـــد جُـــبِلنَ علـــى الظـــلامِ

---

(560) الديوان : 313/3 .
(561) الديوان : 71/4 .
(562) الشاعر الحاكم والمدينة : برا إبراهيم جبرا : 74 .
(563)من الغربة إلى وعي الغربة – فوزي كريم : 128 .

نـــــــامي كعهـــــــدكِ بـــــــالكرى وبلطفــــهِ مِــــنْ عهـــدِ (حـــامِ)

ومما تقدم نلحظ أن الدوافع الموضوعية وإن أسهمت في إطلاق هجاء الجواهري لكن دوافعه الخاصة كانت المنتج الحقيقي لهجائه ، فنفسه المتمردة –وهو ذو المزاج الثائر الرافض– كان سلوكها الحاد منذ الطفولة فنشأ (يمقت العقم والجمود كما يكره الرتابة والتكرار ويرفض القيود والأعراف التي تفرض عليه ويحارب التعصب الديني والعرقي)[564] ، فنفسه كانت الوعاء الذي انصهر فيه كل ما يؤدي إلى الهجاء ، وما كانت الدوافع الموضوعية – البواعث الخارجية – باختلاف معطياتها السياسية والاجتماعية إلا قدحات حفزت مكنونات نفسه في إطلاق طاقته الشعرية .

ويمكن أن نستدل على ذلك بأن الجواهري تميّز من الشعراء المعاصرين له الذين عاشوا في زمن الاحتلال البريطاني وأظلّتهم الحكومات الفاسدة الخاضعة ، فلِمَ لم يتركوا أثراً كأثر الجواهري ، ولِمَ لم يلتف الشعور العام حولهم التفافه عليه وربما هم قد تحركوا أو انفعلوا أو قالوا ، ولكن لِمَ لم يكن تأثير ما قالوه كتأثير شعر الجواهري أو شهرته ، إلاّ أن يكون تكوينه الروحي أو النفسي وردة فعله لما هو إزاءه من موقف أو حال هو الذي مازه من كثير من معاصريه لا شكاً في وطنيتهم ولا في شعورهم ولا في إحساسهم .

لقد ذهب الدكتور المطلبي أن شخصية الشاعر هي السلطة المطلقة على شعره ، فالشعراء وإن تأثروا بحوادث الحياة ومناسباتها افترقوا في بواعث الشعر وأثارها فيهم بحسب أمزجتهم وإحساساتهم والقوة المؤثرة في شخصياتهم ومن هنا تباينت أساليب التعبير عن التجارب الشعورية [565] ؛ لذلك يمكن أن نعزو تباين الجواهري عن غيره في التعبير عن تجربته الذاتية إلى طبيعة تكوين مزاجه وما تأجج فيها من انفعالات الرفض والمشاكسة والنزوع لرفض الظلم بكل أشكاله أينما حلّ ، وربما تكون هذه المعاني عند بقية الشعراء المعاصرين له ولكنها لم تكن تملك ذلك الإحساس الذي يستطيع أن يتفاعل مع مكنونهم النفسي مثلما كانت الحال مع الجواهري القادر على صياغة الانفعالات النفسية هجاء أخذ حيزا واضحا في ديوانه الشعري .

لقد آمن أن هجاء السلوك المنحرف وآثاره أهم من النيل من صفات مهجوه ، فهو في هجائه السياسي مثلا يعري سلوك الطبقة السياسية القائم على الأثرة والنفعية والظلم والتبعية للأجنبي ثم يحاول غرسه في وعي الجماهير ووجدانهم ، وإذا صادف وهجا سياسياً ما بصفته محددة معينة فهذا لم يكن غرضه الرئيس بقدر ما كان هذا الأسلوب يخدم بناء النص الهجائي مثلما حدث في هجاء نوري السعيد أو أرشد العمري وغيرهما من السياسيين وكذلك الحال تنطبق في معظم هجائه الخاص ، فهو يهجو المعطيات الفاسدة في خصمه المهجو وما ترتب من دلالات الصراع معه محاولا الانقضاض والإجهاز عليه فكريا لا النيل من عِرضه ، حتى وإن جاء هذا الهجاء في أساليب ساخرة أو تهكمية لاذعة قد يفهم منها القدح الشخصي كما في قصائد (طرطرا) و(ثمر العار) و (عبدة الجبورية) وغيرها .

لقد وظف الجواهري هجائياته في التأثير في الجماهير مستعملا صورا ودلالات لها جذور في وجدانهم بهدف إثارة مشاعر الغضب والإحساس بالخيبة فيهم ، وصولا إلى إقناعهم بأنهم ضحايا نظام فاسد تجب الثورة عليه لاسترداد الحقوق المسلوبة ، ولذلك تعد هجائياته من أهم الوثائق الوطنية التي فضحت السلوك السياسي والاجتماعي الذي عاث فسادا في كل مراحل تكوين الدولة العراقية الحديثة ، وهذا هو جوهر وظيفة الهجاء عند الجواهري .

---

(564) أزمة المواطنة في شعر الجواهري – فرحان اليحيى : 99 .

(565) ظ : مواقف في الأدب والنقد – د. عبد الجبار المطلبي : 196 وما بعدها .

الفصل الثالث

دراسة في التفاصيل الفنيّة

المبحث الأول
معايير الهجاء

لقد تبنى الجواهري بعد ما استوى له نهجه الشعري ، معايير استند إليها في بناء هجائياته فقد وجدت له ما يتميز به عمّا عُرِفَ به التراث من معايير في هذا الصدد ، فما كان في التراث من معايير في الهجاء عموماً ، يقوم على أنّه أقرب إلى السباب وأكثر تورطاً في الفحش وأبعد عن الإنصاف والاعتدال وفيه كثير مما لا يرتقي إلى مستوى النقد الحاد أو معالجة مشكلات المجتمع ومعضلا ته في السلوك إلا في قليل مما يمسّ ما ذكرنا وفيه كثير مما صدر عن انفعال وقتي أو تعبير تلقائي هو أقرب إلى الارتجال كما في المنافرات ويؤمن الهجاء القديم بأنّ التعمق في الخيال والصناعة الشعرية ، سوف يضعفه لذلك لم يسمُ إلى مرتبة الفن الرفيع في كثيرة من الناحية المضمونية بعد أنْ اتجه إلى تقرير الواقع تقريراً ، ومثّلت الرغبة بنيل الجوائز المالية حافزاً مهماً في إطلاقه فضلاً عن إيغاله بالأعراض والأنساب والقوميات ، وربما يكون هذا النوع من الهجاء هو الأشيع هذا إلى جانب هجاء يتوسل بالتحليل ويرتقي فنياً كما في نماذج هجائية عند الحطيأة وابن الرومي والمتنبي مثلاً [566] .

لقد ساير الجواهري بعضا من هذه المعايير في بداياته الشعرية في عشرينيات القرن الماضي خاصة فيما يتعلق بتقرير الواقع ، فجاء هجاؤه ضعيفا من الناحية الفنية يفتقد الخيال الخلاق ، ويكاد يخلو من الصور المبتكرة ويمكن أن نلحظ ذلك في قصيدته (الرجعيون)[567] التي هجا فيها بعض رجال الدين لموقفهم من فتح مدرسة للبنات في النجف، يقول فيها :

ستبقى طويلاً هذهِ الأزماتُ	إذا لم تقصّرْ عمرها الصدماتُ
إذا لم ينلها مصلحونَ بواسلٌ	جريئونَ فيما يدّعون كفاةُ
سيبقى طويلاً يحملُ الشعبُ مكرهاً	مساوئَ مَنْ قد أبقتِ الفتراتُ
قيوداً من الإرهاقِ في الشرقِ أُحكِمتْ	لتسخيرِ أهليهِ لها حلقاتُ

نلحظ أن هذه المقدمة لا تُنبئ عن شعرٍ لأنّ اللغة التي يزجيها الشاعر لم تأخذ مكانها من اختيار سَيُنبئ عمّا بعده ولا تُبشِر بصورة ولا بجديد أو مفاجئ أو مدهش بل هي كلمات لا تختلف عن حديث الناس وهم في حمأة التخلف والجهل والبعد عن التطور فما معنى اختيار (الأزمات) التي نصّبها قافية ستتبعها قوافٍ ، وأية صدمات هذه التي تربعت عرشا تقفوياً للنص وهل يسمى التطور صدمة ؟ إذن لرجال الدين الحقّ في تجنيب الناس هذه الصدمات ، وما معنى هذه الصفات التي قدّمها مصلحون بواسل جريئون ثم يسحب مصداقيتها بـ(يدّعون) لتأتي كفاة التي لا معنى لها بعد (يدّعون) ولم تأتِ إلا للقافية لا أكثر ولم تأتِ مستدعاة إلى مكانها التلقائي ، وما معنى هذا التركيب (سيبقى طويلاً) الذي أسند إليه فعلاً آخر فقلل من أهمية التركيب المكرر ليستأنف أمراً جديداً على هيأة حال : (مكرهاً) فلا يُدرى العامل فيه أهو يبقى أم يحمل تاركاً أمره لتنازع الفعلين مؤخرا مفعول يحمل ولا يُدرى معنى هذا التركيب الركيك : مساوئ من قد أبقت الفترات ، التي أُضطر إلى جمعها للقافية لا أكثر وما معنى قيودا من الإرهاق إلى الشرق وأيّ شرق يقصد ولا أكثر من ركّة الشطر الثاني لتسخير أهليه لها حلقاتُ ، ولاسيما هذه الجملة التي لم تأتِ إلا لسد مسدّ القافية وإتمام البيت : لها حلقاتُ ، وكأنّ الشطر كلّه جملة عثر عليها شاعر مبتدئ ففرح بها فسدّ بها فراغ البيت ولا نريد أن نقف طويلاً على هذه البدايات التي أصرّ على إثباتها برغم ابتذالها ورِكّتها وخلوها من الشعر ، وربما أبقاها في ديوانه شاهداً على مرحلة شجُع فيها وجسُر على

([566]) ظ : الهجاء والهجاءون في الجاهلية : 39وما بعدها ، الهجاء والهجاءون في الإسلام : 157 وما بعدها ، فن الهجاء وتطوره عند العرب : 22 وما بعدها ، الهجاء الجاهلي صوره وأساليبه الفنية : 129 .

([567]) الديوان : 1 /465

حلحلة جدران من التقاليد يخافها الناس ويهابون الحديث فيها لأن الشاعر هجا بعض الفقهاء ذوي الحظوة والمكانة في مجتمع النجف لوقوفهم عثرة في وجه فتح مدرسة للبنات ، وهذا يسري على قصيدة (علموها) [568] وهي في نفس موضوع قصيدة (الرجعيون) يقول فيها :

أسلموا أمرَهُم إلى (الشيخ) عمياناً وساروا يقفونَهُ حيثُ سارا
وامتطاهُم حتى إذا نالَ بغياً خلعَ اللُّجمَ عنهم والعِذارا
نبذَ القشرَ نحوهم باحتقارٍ وحوى اللُّبَّ وحذَظه والخِيارا
دفعوا غنمهم إليه وراحوا يحملون الأثقال والأوزارا

لقد نظم الشاعر هذه القصيدة في الموضوع نفسه الذي نظم فيه قصيدة (الرجعيون) ولكن هذا النص نجا من أمر خلّوه من الصور فقد يخرج المتلقي من صورة الشيخ أو الفقيه ، وقد عمّق النص ملامحها ولكن المباشرة والتقريرية والابتذال تَسِمُ النص أيضا ، وتسمه كذلك بالبعد عن التأثير أو الجدة على الرغم من أن الشاعر أنبأ بهذا عن شاعر له الشأن كلّه في الارتباط بالواقع ونقد ظواهره والإخلاص لمثلٍ ومبادئ لا يحيد عنها وينبئ عن شاعر سيخلق معاييره بنفسه بعيداً عن معايير التراث لأنها مشتقة مما يعاصر من هموم .

إنّ المعيار الذي يبني الشاعر عليه القصيدتين هو محاولة النأي بالدين الإسلامي لا الدين مطلقا من وديان التخلّف والجمود والتحجر والمحافظة التي طرأت على الدين والتشدد الذي لا معنى له في هذا الدين لأن السمة الأصل في الدين الإسلامي هي السماحة ، ولذلك كانت صفة الشريعة هي أنّها سمحة وهناك معيار آخر انطلق منه الشاعر ، وهو الدعوة إلى التحرر وتحرير المرأة وتعليمها لمواكبة ركب التطور المعاصر .

إن ما جاءنا به هو أمثلة من تلك المرحلة التي ساير الشاعر فيها بعض المعايير القديمة للهجاء ، ولكنه انتقل في مرحلة نضجه الشعري إلى معايير معاصرة ، قد يكون الشاعر أسهم في إنضاجها بعد اكتمال أدواته الفنية ويظهر ذلك جليا في هجائياته التي ضمها الجزء الثالث من الديوان وما بعده من أجزاء ، وإذا كان من معايير الهجاء القديم أنّه يقوم على ما يصدر من انفعال وقتي يتوغل فيه الشاعر ولا يبالي في السب والشتم والإقذاع والنيل من الأعراض والأحساب والأنساب ، فقد نأى الشاعر عن هذا ، وإن كان كل ما يدفع الشاعر ذا النزعة الغنائية (الذاتية) هو نفسه وانفعالاته وما يستفزه من سلوك أو مظهر يخالف ما يرمي إليه أو يتمناه أو يبتغيه ، ولكن الجواهري حاول وكثيرا ما استطاع أن تكون همومه وانفعالاته ونقده مشتقاً من هموم الجمهور التي يلتقطها ؛ لأنه واحد منهم (من دون أن يكون الهجاء نوعاً من أنواع الثأر الخاص به)[569] نائياً بخطابه عن الشتم والإقذاع ، فجاء هجاؤه – بعد أن صهر التراث الفكري واللغوي العربي في ذاكرته – هجاء شديدا نال فيه من خصومه ، عاليا من ناحيته الفنية بعد أن زوده بالعاطفة والصور المبتكرة والمعاصرة ، فضلا عن اختياره ألفاظه وتراكيبه وإيقاعاته بعناية فائقة مثلما نلحظ في قصيدته المشهورة (طراطرا)[570] التي جاءت خطاباً ساخراً ومتهكماً على الرغم من طولها ، وفيها يهجو رجال السياسة العراقية ، يقول فيها :

إنْ قيلَ إنَّ مجدَهم مزيفٌ فأنكري
أو قيلَ إنَّ بطشَهم مِنْ بطشةِ المستعمرِ
وإنَّ هذا المستعيرَ صولةَ الغضنفرِ

([568]) الديوان : 1 /416 .
([569]) مقصورة الجواهري – قراءة في آفاق البناء .
([570]) الديوان : 3/119 .

أهـــــونُ مِـــــنْ ذُبابـــــةٍ فـــــي مُســــــتَحمٍّ قـــــذرِ
فهـــــي تطيـــــرُ حـــــرَّةً جناحُهـــــا لـــــم يُعـــــرِ
وذاكَ لـــــو لـــــم يســـــتعرْ جناحَـــــهُ لـــــم يطـــــرِ
فغـــــالطي وكـــــابري وحـــــوِّري وزوِّري

لقد زوّد الشاعر قصيدته هذه بصور مبتكرة جديدة على مشهد الهجاء السياسي ومنها صورة المتسلط السياسي المستعير شجاعة الأسد ولكنه أهون من الذبابة لأنها تملك جناحين وهو يدّعي ما ليسَ به ومن غرابة الصورة أن الشاعر قرن بين الأسد والذبابة ليفاضل بينها لتنتهي هذه المعركة بانتصار الذبابة على هذا الأسد المزعوم المدعي ، ولا ننسى المعيار الذي انطلق منه ونحن ندقق في إنجازه لصورة جديدة تحسب له ، فالمعيار هنا هو معيار معاصر لم يبتكره الشاعر ، ولكن المرحلة السياسية التي تمرّ على الشعب العراقي وهو تحت احتلال بريطانيا هي التي خلقته ، فانطلق الشاعر منه ساخراً مما يراه من أشباه السياسيين ، فانطلق من بناء إيقاعي تراثي أفرغه مما فيه ، وملأه بمعيار معاصر ولغة معاصرة انتقاها من بين تفاصيل مرحلته ومعاناة شعبه ، وهو إيقاع أدرك التراث خفّته ليكون النص على كل لسان مع اختيار يُحسب له وللروي ، وهو الراء الذي يتردد مع أجنحة السخرية العميقة المتكررة ، ويحسب له اختياره الذكي لمفردة يتداولها العراقيون في مجالات سخريتهم ، وهي (طرطرا) التي يستقر في قاعها اليأس من كل ادعاء وزعم وشمول كل شيء بالهزء والسخرية ، يقول فيها :

طـــولي علـــى كســـرى ولا تعنـــــي بتـــــاجِ قيصـــــرِ
كـــوني علـــى مـــا فيـــكِ مِـــنْ مســــاوئٍ لـــم تُحصـــرِ
كـــوني علـــى الأضـــدادِ فـــي تكوينـــــكِ المُبعثـــــرِ
شـــامخةً شـــموخَ قـــرِ نِ الثـــورِ بـــينَ البقـــرِ

يمضي الشاعر باقتراح صوره المبتكرة على متلقيه لفضح مهجويه بعد أن شحن هذه الصورة بعاطفة جياشة وشعرية فذة تستثير متلقيه فقد استوعب هجاؤه المفردات المتضادة التي ألفت صورة المشهد السياسي المهجو ، بعد أن آمن الشاعر بوجوب ترك تقرير الواقع تقريراً واتجه إلى الخيال .

إن ما يؤكد تبني الشاعر معايير معاصرة للتعاطي مع الهجاء ارتفاع المستوى الفني لقصائده في مرحلة نضجه الشعري ففي قصيدته (المقصورة)[571] التي مثلت رؤيته الخاصة وقد هجا بها كل مستويات المجتمع يقول فيها :

وهـــذا بعمّتـــهِ ســـاخراً مـــن (الجـــنِ) يرفعُهـــا للعلـــى
تجـــيءُ المطـــامعُ منقـــادةً إليـــهِ إذا شـــاءَ أو لـــم يشـــا
وليتـــكَ تحســـبُ أزيـــاءَهم فتجمـــعُ منهـــا زهـــورَ الرُّبـــى
فتلـــكَ اللفـــائفُ كـــالأقحوانِ بهـــا العلـــمُ يـــنفحُ طيـــبَ الشـــذا
تطـــوقُ المســـابحُ مـــن حولهـــا لـــتعلنَ أنَّ ملاكـــاً أتـــى

يرسم الجواهري صورة مهجويه في هذا المقطع وهو يحيط بكل أجزاء الصورة ليوصلها مدهشة إلى المتلقي، ويلحظ أن الشاعر لم يقصد هجاء أشكال مهجويه ولا أزيائهم ولا أحسابهم إنما هجا الخداع والزيف الكامن وراء هذه المعطيات هجاءً معاصرا يحضر فيه الخيال ببراعة وتتجلى الشعرية فيه ، ومع أن دافع نظم القصيدة خاص ، إلا إن الشاعر لم يحكّم أهواءه النفسية في بناء النص ولم يكن ينتظر الحصول على جائزة

[571] الديوان : 201/3 .

ما ، وإنما شخص الشاعر مرضاً اجتماعيا وسلوكا شاذا يحاول أن ينتسب للدين ، وقد انطلق هجاء الشاعر مما اختزنته نفسه من دوافع الرفض والتمرد على كل ما هو شائن .

لقد بنيت المقصورة على حزمة من المعايير التي تنوعت وتأصلت في نفس الشاعر بعد دراسة عميقة للواقع فصدرت عنه رؤية عميقة كان من نتائجها هذه المقصورة التي تميّزت من شعره كلّه بهذا الدافع وهو اليأس من كل ما حوله والانطلاق بمعايير معاصرة ولغة معاصرة ، وأكبر هذه المعايير هو الفساد السياسي الذي يشهده العراق ، وهو فساد تنقل في كل المجالات من ثقافية واجتماعية ومستويات ممّن يدّعون الدين ويتزيون بزيّه [572] .

يقول الشاعر في لوحة شعرية أخرى في القصيدة نفسها يهجو فيها صنفا آخرَ من مهجويه يقول فيها :

ووغــــدٍ تخيّــــرَ أمثالَـــه	فوغـــداً أهـــرَّ ووغـــداً شـــلا
إذا مـــا تصـــفحتَ أصـــنامَهُ	وهـــزأة ألقابِهـــا والكنـــى
أراكَ – وإن أنكـــرَ العالمـــان-	بمزمـــارِ داودَ ، بومـــاً شـــدا
وإنّ غرابـــاً شـــأى (معبـــداً)	وإن حمـــاراً (غريضـــاً) حَكـــى

على الرغم من أن الشاعر يهجو أشخاصا معاصرين كان لهم حضور في المشهد السياسي والاجتماعي لكنه استعمل لغة تراثية ومفردات له دلالاتها في الموروث الشعري والحضاري العربي ، ولم يتبن معايير هجائية قديمة بل آمن بالمعايير المعاصرة ومنها الفساد السياسي والأخلاقي ، كذلك ابتعد عن التقريرية في نقد الواقع في هذا المقطع ووظف الخيال في بناء صوره بعد أن صُهرت الصورة التي استدعاها من التراث في نسيج لوحته المعاصرة ، وقد تنبه الشاعر إلى معايير المتلقي المعاصر الذي يبحث عن حلول لهمومه وتشخيص لمشاكله لذلك انتظر من الشاعر أن يشير إلى موطن الخلل في مجتمعه الذي يعيش فيه بصورة تتناسب مع ثقافة عصره ، وكأن المتلقي يريد أن يكون هو والشاعر في وجدان واحد لمواجهة الفساد والتناقض الذي تحكم في أروقة المجتمع السياسي ، وهذا ما تنبه إليه الشاعر بفطنته لذلك أصبح لسان حال الشعب .

وكما اختلف الشاعر مع بعض المعايير التراثية للهجاء ، اختلف أيضا مع معايير معاصريه الذين تبنوا محاكاة المعايير القديمة في بنائهم الهجائي ، ومنها كما أسلفنا التقريرية المتوقعة وخلّوه من الخيال والبرود من جهة عاطفته ، فلو نظرنا إلى أحد معاصري الشاعر ، الذي نشأ في الأجواء نفسها التي نشأ فيها الجواهري وهو الشاعر محمد صالح بحر العلوم الذي يقول في مقطوعته (بومة الخرائب)[573] التي نظمت في عام 1931م :

أيهُّــا الرّافــعُ عــن وجهــكَ ســتراً غيــر حاجــبْ
حــين جــرّدتَ لضــربِ الشــعبِ أســيافَ الضــرائبْ
وتعاميــتَ عــن اســتغلالِ تجــارِ المناصــبْ
أنــتَ كالبومــةِ لا ترتــاحُ إلاّ فــي الخرائــبْ

في هذا المقطع يهجو الشاعر بحر العلوم رجال السلطة السياسية في العراق ويبدو هجاؤه باردا لا حرارة فيه وهو أشبه بالمقالات التي تنشر في الصحف ، فلا وجود للخيال وتصوير الواقع فيه وصل بالشعر إلى السذاجة ، وربما يكون السبب تمسك الشاعر ببعض المعايير القديمة وعدم التفاته إلى معايير المعاصرة وتأثيرها فنيا في بنية النص الشعري فضلا عن قصور في موهبته الشعرية في هذا نص .

([572]) مقصورة الجواهري – قراءة في آفاق البناء – .
([573]) ديوان محمد صالح بحر العلوم : 1 54 .

ولو أخذنا مثلاً آخرَ لشاعر معاصر للجواهري بل تربطه به صلة نسب وهو الشاعر علي الشرقي الذي يقول في قصيدته (محنة الخلاص)[574] التي نظمت في عام 1937م بعد الانقلاب العسكري الذي قاده بكر صدقي يقول فيها :

يــا أهــلَ أقــراصِ الشــعيرِ تحملــوا	عنتـــاً يصـــارِعُكُم علـــى الأقـــراصِ
وبليَّـــــةُ الأحـــــرارِ أن يتحملـــــوا	لرعونـــةِ الـــدنيا أطاعـــةَ عـــاصِ
دهمـــتهُمُ الفوضـــى العســـوفُ يقودُهـــا	بـــالطيشِ خبّـــاطٌ إلـــى خبـــاصِ
رقصـــوا وللغفـــلاتِ أرعـــنُ ســـاعةٍ	شـــوهاءُ مـــا فيهـــا ســـوى الرقـــاصِ
بغـــدادُ ودّعـــتِ النظـــامَ وأهلَـــهُ	فاســـتقبلتْ قـــومي نظـــامَ رصـــاصِ

وقد يعلو هذا النص شيئاً على نص الشاعر محمد بحر العلوم ، ولكنه لم يتخلص من قبضة المعايير التراثية ولا من سطوة تراكيب التراث ولا مفرداته ، فانكمش النص تحت تأثير الرتابة والتقريرية والبعد عن التأثير .

لقد استطاع الجواهري أن يتميّز أيضا من الشعراء العرب المعاصرين له من شعراء البعث والإحياء كالبارودي وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم وخليل مطران ، فقد جمع في نضجه الشعري ما بين ظاهرة التمرد والفن فكان شعره ظاهرة مركبة اختلفت عن كل شعراء الاتجاه الذي يُطلق عليه الاتجاه الكلاسي الذي يمثل أحمد شوقي ذروته ، ولكن الجواهري حاول بعد شوقي تطويره إلى كلاسية جديدة (هي التي تستفيد من الإنجاز التراثي ولكن برؤى معاصرة)[575] ، وهو يختلف أيضاً عن الشاعر عمر أبو ريشة ، الذي طوّر جماليات الفن عند شوقي ، وأفاد من قراءته للشعر الفرنسي ، ولكنه لم يبنِ له رؤية كرؤية الجواهري في ربط الحاضر بالماضي لاستشراف المستقبل ، وتلك الرؤية التي حاول كثير من الشعراء السير على خطاها وتقليدها لكنهم لم يرتقوا بالفن إلى ما ارتقى إليه الجواهري [576] .

وإذا كان من معايير الهجاء القديم أنه لا يرتقي إلى مشاكل الحياة العامة فإن الشاعر اختلف مع هذا المعيار فهجائياته ولجت أتون المشاكل العامة تشخيصا وتحليلا ثم هجاءً وسخرية وتهكما ، بل يمكن أن يقال أن هجائياته صورة حقيقية للحياة العامة سواء السياسية أو الاجتماعية أو الدينية ، وهي صورة معبرة عن هموم الجماهير ، ولكنها صورة تنتمي إلى مرتبة الفن الرفيع ، صورة مبتكرة تحفل بالخيال والشعرية وهذا جعلها تحافظ على تماسكها الفني برغم مرور زمن عليها .

إن الشاعر لم ينتظر نيل جائزة ما على هجائياته فقد انطلق من نفسه التي تمردت على السلطة الحاكمة والمشاكسة للسلطة الحاكمة ، والمؤمنة بخلاص الجماهير من تسلط البغي والظلم عليها ، فترجم انفعالاتِه ومشاعره هجاء تحمل بسببه السجن والنفي والاغتراب فضلا عن خصومات مع حكومات أو ساسة أو أدباء وغيرهم من مستويات المجتمع .

كذلك لم يتورط الشاعر بالخوض في الأعراض والأنساب وهو أحد معايير الهجاء القديم ، ونعتقد أن الشاعر بما امتلك من نفس تنزع للزعامة والقيادة فضّل الابتعاد عن الأعراض والأنساب ترفعا منه وكذلك معرفته بأن المجتمع العراقي تألفه قبائل وعشائر وإن فيها من مريديه ومحبيه كثيرين ، فتجنب النيل من الأنساب حتى لا يفقد قسما من جمهوره الكبير ، فضلا عن معرفته بطبيعة تفكير العشائر العراقية التي كانت ستقف بوجهه لو أنه نال من أنسابها وأحسابها .

لقد أفاد الشاعر من عصره وما أحاط به سياسيا واجتماعيا ، فانطلق من معايير كان لها صلة وثيقة بهموم شعبه ، فمعيار محاربة الفساد السياسي تبناه الشاعر كثيراً في كل مراحل حياته الشعرية ، وإن اختلفت الحكومات وتغيّرت وجوه السياسيين ، ولكن الفساد ظلّ مستشريا ينخر

([574]) ديوان علي الشرقي : 232 .

([575])مقصورة الجواهري – قراءة في آفاق البناء – .

([576]) ظ : تطور الشعر العربي الحديث في العراق : 330 وما بعدها .

مفاصل الدولة ؛ ولذلك نجد هذا المعيار حاضرا بتميّز في هجائياته السياسية ، وكذلك استند الشاعر إلى المعيار الأخلاقي في هجائه لكثير من المخنثين والمتشبهين بالأزياء والعادات الغربية الشاذة الدخيلة على المجتمع العراقي ، ونجد هذا في قصائد مثل (الشباب المستخنث)[577] التي يقول فيها :

مَـنْ مُبلِـغُ الأجيـالَ أنَّ شـبيبةً يتكحلـونْ
يتخطَّطُـون فـإنْ عَجِبْـتَ فـأنَّهُم يتحمَّـرُونْ
أمْ هُـمْ وَقـدْ لَبِسُـوا الجديـدَ غرانـقٌ يتـأنّقونْ
إنِّـي رأيـتُ وليتنـي قـد كنـتُ ممـنْ يعمهـونْ
زمـراً مِـنَ النفـرِ المخنـثِ يسـرحونْ ويمرحـونْ

وقد تبنّى الشاعر المعيار الاجتماعي الذي تباينت تفاصيله عند الشاعر فقد هاجم بشدة ضياع المقاييس الحقيقية وانقلاب المفاهيم في المجتمع حتى صار هذا المجتمع لا يميز الصالح من الطالح ، وحضر هذا المعيار في قصائد مثل (رسالة إلى محمد علي كلاي)[578] و(كم ببغداد ألاعيب)[579] ، التي يقول فيها :

خُزيـتِ بغـدادُ مـن بلـدٍ	كـلُّ شـيءٍ فيـهِ مقلـوبُ
فلـقُ الإصـباحِ غربيـبُ	ونعيـقُ البـومِ تشـبيبُ
والخنـا غـنمٌ ومحمـدةٌ	والنهـى جلـدٌ وتعـذيبُ
وبيـوتُ الفسـقِ عـامرةٌ	وعـرينُ الليـثِ منهـوبُ

وهجا مستنداً إلى المعيار الأخلاقي الصفات المذمومة مثل التكبر والتملق والغرور ، وكل ما هو شائن تلبّس فيه خصومه ، ونجد هذا في قصائد مثل (المحرّقة)[580] ، التي يقول فيها :

وهـذا الـذي إحـدى يديـهِ بجيبـه	وأخراهمـا تلهـو بشـاربه كِبـرا
ولـو فتشـوا منـه السـالبين شـاهدوا	خلالهمـا العاهـاتِ محشـورةً حشـرا
وهـذا الـذي رغـم النعـيم وشـرخه	يُـرى حـاملاً وجهـاً مـن الحقدِ مصـفرّا
وهـذا الـذي إن أعجـبَ النـاسَ قولُـهُ	مشـى ليُـريهم أنّـه فـاتحٌ مِصـرا

ومن معاييره أيضاً إنكار امتهان الفلاح وهجاء الاستغلال الإقطاعي ، ونجد ذلك في قصيدة (الإقطاع)[581] ، ومن معاييره في هجائياته أيضاً ازدراؤه بالملتصقين بالدين والمنتفعين منه بغير وجه حق ، أولئك الذي شوّهوا صورة الدين الإسلامي الحنيف بسلوكهم المنحرف ، فهاجمهم في قصائد (علّموها)[582] و(الرجعيون)[583] و(المقصورة)[584] وغيرها ، وتبنى الشاعر أيضاً معيار الدفاع عن الشعر والأدب ممّن تطفلوا عليه من أشباه الشعراء والمحسوبين على النقد والثقافة ، فهجا هؤلاء في قصائد مثل (آليت)[585] و(أزح عن صدرك الزبدا)[586] و(الناقدون)[587] ، التي يقول فيها مخاطبا أحد النقاد المزعومين :

([577]) الديوان : 155/4 .
([578]) الديوان : 19/7 .
([579]) م.ن : 237/7 .
([580]) الديوان : 83/2 .
([581]) الديوان : 355/2 .
([582]) م.ن 461/2 .
([583]) م.ن : 465/2 .
([584]) الديوان : 201/3 .
([585]) الديوان : 41/7 .
([586]) الديوان 205/6 .
([587]) الديوان : 279/4 .

عَظُمــتَ حقــوداً .. ونِعْــمَ الغبــا ءُ يعصـــفُ فـــي عـــالمٍ حـــاردِ
متـــى رحـــتَ تنقـــلُ نقــدَ البيــا نِ إلــى الطعـنِ فـي (الأمِّ) و(الوالـدِ)
إلـى الشـكِّ فـي الـدين .. عـن ملحـدٍ تحـــدّر .. أم راكـــعٍ .. ســـاجدٍ !
متى رحتَ تبحثُ عن ناقصٍ فـــإنْ لـــم تجـــده .. ففـــي زائـــدِ

لتقبـــرَ حُســـنَ الجمـــالِ الســـويِّ وتلحـــدّهُ .. عِشـــتَ مـــن لاحـــدِ

(ومن معاييره هجاؤه بتشبيه المهجو بالمرأة الفاجرة الفاسدة وصورها وسلوكها كله ، فهو يلتقط من صفات هذه المرأة ويشبه به المهجوين ويكثر هذا عنده ، ولا يتعلق هذا الأمر بالتراث فهو أمـرٌ تمارسـه العصـور)[588] ، ونجـد هـذا المعيـار فـي قصـائد مثـل (الجزائـر)[589] و(عبـدة الجبورية)[590] ، التي يقول فيها هاجياً (عبد الله الجبوري) :

ويــــا غَجَريـــــةً تُغنـــــي بِكُنيَتِهـــــا عـــــن اللقــــبِ
جُبُوريّتُهــــــــا كانـــــــــتْ غطــــاء الســــبيِّ والجلـــبِ
وتلـــك خطيئـــةُ الســـاعي لِمَجـــــدٍ زائِــــفٍ كَــــذِبِ
فـــأنْ يَـــكُ للعُلــــي نَسَـــبٌ فَـــنِعْمَ الحُسْـــنُ مِـــنْ سَـــبَبِ
وإنْ تَـــكُ نعمـــــةٌ سَـــلَباً فنعمـــتْ (عبـــدُ) مـــن سَـــلَبِ

ومن معاييره وصف مهجويه بصفات بعض الحيوانات وبحسب مقتضى حال مهجوه ، فهو ينزع صفة عُرفت بها بعض الحيوانات ليصف بها مهجوه ، فمثلاً إن أراد هجاء متملق يلعب على حبال الانتهازية ، يصفه بالقرد مثل ما ورد في قصيدة (عبدة الجبورية)[591] في هجاء الصحفي عبد القادر البراك ، يقول فيها :

وراحَ القـــــردُ (مبــــــروكٌ) يلـــــمُّ حشـــــائشَ العُشُـــــبِ
ينشّـــــر مـــــن لفائِفهـــــا (ضـــــباباتٌ مـــــن السُـــــحبِ)
ولـــــوحُ الطــــين فـــــي يَـــدِهِ يعيـــــثُ بمنـــــزلِ الكُتُـــــبِ

وإذا كان مهجوه غادراً يصفه بالذئب ، مثلما ورد في قصائد منها (كما يستكلب الذيب)[592] :

عــدا علــيَّ كمــا يسـتكلبُ الـذيبُ قـــومٌ ببغـــدادَ أنمـــاطٌ أعاجيـــبُ

وقصيدة (الجزائر)[593] :

ومُســـتذئبٍ يســـتميلُ الرعــــاة لتلجـــأ منـــهُ إلـــى مفـــزعِ

وإذا اتصـف مهجـوه بـالتكبر والغـرور ، وصـفه بـالغراب ، مثلمـا ورد فـي قصـائد منهـا (غضبة)[594] ، التي يقول فيها :

وزعـــيمُ قـــومٍ كـــالغرابِ بـــه صـــغرٌ وفـــي خطواتِـــهِ كبـــرُ
يغتـــــرُّ فيمــــــا لا يشـــــرِفُهُ جهـــلُ المغفـــلِ كيـــف يغتـــرُّ
يغتـــــرُّ أنْ ألقـــــوا بمعدتِـــــهِ عَفَـــنَ الطعـــامِ فـــراحَ يجتـــرُّ

([588])مقصورة الجواهري – قراءة في آفاق البناء – .
([589]) الديوان : 233/4 .
([590]) ديوان الجواهري – طبعة بيسان : 311/5 .
([591]) ديوان الجواهري – طبعة بيسان : 311/5 .
([592]) الديوان : 157/4 .
([593]) م.ن : 233/4 .
([594]) الديوان : 305/3 .

وهكذا مع صفات أخرى ألصقها بمهجويه ، فقد وردت مفردات (العجل) و(الكلب) و(ديدان) و(البوم) و(الضفدع) و(الحمار) وغيرها في بعض قصائده الهجائية ، مستفيداً في هذا المعيار من الموروث الحضاري والشعري الذين أكدا على هذه المعاني .

ومع أن الشاعر استند إلى معايير مختلفة ، لكنه ارتفع بنصه الهجائي إلى مستوى الفن الرفيع باعتماده الخيال والعاطفة والأفكار القيّمة ، موظفا الإيقاع المناسب واللغة الشعرية لبناء صوره التي جاءت معاصرة ، وآثر الابتعاد عن اجترار القديم والاتكاء الساذج على الموروث ، واضعاً نصب عينيه المتلقي المعاصر ومعاييره التي نعتقد أن الشاعر أسهم في إنضاجها ، لتكون شاخصة في المشهد الشعري ، فالشاعر كأي مبدع عليه (أن لا يتردد في تصوير إحساسه بكل صراحة وأن يثق في تفهم الآخرين له)[595] .

المبحث الثاني
ألفاظ الهجاء

([595]) التجربة الخلاقة – بورا : 12 .

تعد الكلمات أو الألفاظ أو المفردات ، الوحدات التي تؤلف الكلام وهي (أصغر نواقل المعنى)[596] وباختيارها الدقيق تكمن بداية العملية الإبداعية ، فحسن اختيارها وغنى دلالتها وتزويدها بالطاقة التأثيرية وصولاً إلى ذهن المتلقي ، تعد من أهم أدوات الشاعر المبدع .

لاشك في أن الجواهري الذي هيأته موهبته للاحتفاظ بما يقرأ ولما سيكون عليه ، أنكب على مصادر هذه اللغة من القرآن الكريم والحديث الشريف ونصوص الشعر بدواوينه الكثيرة وعصور شعرائها المختلفة ، وبما حفظه من نهج البلاغة وصور النثر العربي وفنون البلاغة العربية ، ولم تكن قراءته عابرة أو لأجل الثقافة العامة ، بل كانت لأجل أمر آخر أعدته موهبته له ؛ لذلك لا نجد شاعراً كالجواهري له هذه الغزارة اللغوية التي أمدته بأكثر من سبعة دواوين من الشعر المتداول ، وغير هذا من غير المتداول (وكأن العربية أرادت بهذا الشاعر امتداداً لها وحفظاً وحياةً ، فقد قيل قديماً أن لولا شعر الفرزدق لضاع ثلثا اللغة ، وقد نقول اليوم لولا شعر الجواهري لظلّت اللغة على عهدها في مراحل عصورها المظلمة)[597] .

إنّ المفردة في شعره أصبحت (توازي الفعل وتخترقه مثلما تستلهمه أيضا)[598] لذلك اعتنى الشاعر غاية العناية بالألفاظ وبرع في إلتقاطها واستنفر طاقتها في بنائه الفني فهو (يحسن العثور على اللفظة الثرية والحية ذات الطاقة والإيقاع بحيث تزيد من غنى البيت وتلقي ظلالها على نسيجه)[599] .

والشاعر يعتقد أن الكلمة النافذة الصالحة الباقية هي تجربة قاسية ومراس متمكن ومعاناة شاقة وإدراك عميق وحسٌ مرهف ، فالمفردة عنده حياة حافلة وليست حروفاً [600] .

سنتابع في المبحث جانبين ، الأول ما تركه الشاعر من ألفاظ هجائية على معناها المتوقع ، ونتلو هذا بالألفاظ التي أراد لها معان أخرى فوق معانيها بحسب النصوص ، أمّا الجانب الثاني سنتناول فيه بعض أساليب الشاعر في استثمار الألفاظ .

يندرج اختيار الجواهري لألفاظه الهجائية في بدايته الشعرية ضمن إطار المدلول المعجمي لها ، وقد (ترك ألفاظاً على دلالتها المعجمية وقد قامت بما يريد من دلالة خير قيام وقد يوظف

([596]) دور الكلمة في اللغة – ستيف أولمان : 19 .
([597]) رأي الأستاذ الدكتور علي كاظم أسد – المشرف على الدراسة .
([598]) لغة الشعر الحديث في العراق : 348 .
([599]) تطور الشعر العربي في العراق : 317 .
([600]) ظ : مقال للشاعر ـ مجلة الأديب العراقي ، العدد الأول ، شباط 1961

الألفاظ لما يريد إذا لم يجدها في مستوى ما يريد لها من سياق وليس ما يتركه من ألفاظ لدلالتها المعجمية ، دليلا على عدم نضجه غالبا ، بل لأنها قامت بما يريد)[601]

فمثلاً ترك مفردتي (وغد) و(لقيط) في قصيدته (النقمة)[602] على المدلول المعجمي لأنها قامت بدلالتها على صفتين تحط من قدر المهجو في المجتمع العربي :

أفٍ لها من عيشة ما بين وغد أو لقيطِ

وكذلك ما جاء في قصيدته (سبحان من خلق الرجال)[603] من ألفاظ مثل (همج) و(قرود) و(أحمق) وقد استعملها ليهجو المشهد السياسي العراقي ورجاله متأسفا على وضع بلده :

فإذا نزتْ همج إلى طمع نزا أو صفقت فيه قرود صفقا
ما إن يزال مرشحا لأموره متجبرا أو طامعا أو أحمقا

لقد جاءت هذه الألفاظ ضمن معانيها المتداولة ، وربما يحسب له استعماله لفظة (القرود) بشيء من الجدة بعد أن أضافت على البيت نوعاً من الحركة الشعرية ، أخرجته من رتابة التقريرية .

وكذلك وردت ألفاظ هجائية في قصيدته (شوقي وحافظ)[604] منها (النفاق) و(مستهجن) و (الذليل) وقد استعملها أيضاً على دلالتها المجردة الحاضرة للهجاء من دون أي تحفيز لكوامنها وفيها يهجو أصنافاً من شعراء نصبوا له العداء ، يقول فيها :

أ أنا الذي اتَّخذَ البلادَ شعارَهُ أم هُمْ وَقدْ لبسوا ثيابَ نفاقِ
أم هُم وكم بيتٍ لَهُم مستهجنٍ نابٍ عنِ الأسماعِ والأذواقِ
أم هُم وقدْ باعوا الضمائرَ واشتروا عيشَ الذليلِ وبُلغَةِ الأرماقِ

ونلحظ في البيت الأخير نوعاً من إضافة الأمر إلى مثله فالبلغة الشيء الزهيد الذي يبتلغُ به والرمق هو ما يوصف بالأخير من نظرةٍ أو نَفَسٍ أو ريقِ المحتضرِ ، وهذا أقصى التوظيف للكلمات لتدل على القليل .

وضمّت قصيدته (جائزة الشعور)[605] ألفاظا اختارها الشاعر لمعان هجائية أرادها فجاء منها (النفاق) و(المخاتل) و(سود صفاق) وغيرها وهي لا تختلف عما ذكرنا من دلالتها المتوقعة يقول في القصيدة هاجياً رجال السياسة :

صدعَ الزجاجِ تصدّعَ استقلالُنا بيدِ النفاقِ
لم يبقَ لي غيرَ المُخاتِلِ والمنافِقِ والمتاقي
أفٍ لها من أوجهٍ قابلْنَني سودٍ صفاقِ

وتنطبق الحال على الألفاظ التي أراد منها دلالة الهجاء في قصيدته (ثورة الوجدان)[606] التي جاءت منها (طغمة) و(السوء) و(ساقطة) و(مأجورة) وقد استعملها الشاعر من دون أي استنفار لطاقاتها الكامنة فجاءت تقريرية :

وطغمةٍ من دعاةِ السوءِ ساقطةٍ ليستْ بشوكٍ إذا عدتْ ولا غارِ
مأجورةٍ لم تقمْ يوماً ولا قعدتْ إلا على هتكِ أعراضٍ وأستارِ

ما يحسب للشاعر استعماله لفظة (طغمة) وهي تدل على جمع ليس له مفرد ويسندها بـ(من) إلى جمع له مفرد وهو (دعاة) ثم يصف هذا الجمع (طغمة من دعاة) بصفة الإفراد (ساقطة) وليس ساقطين لأنهم على ما أحسب كلهم على فساد واحد ، ثم يصفها بـ(مأجورة) وليس مأجورين

---

(601) مقصورة الجواهري – قراءة في آفاق البناء – .
(602) الديوان : 189/1 .
(603) م.ن : 245 .
(604) م.ن : 301 .
(605) الديوان : 421/1 .
(606) م.ن : 427 .

للدلالة نفسها مستفيداً من دلالة الإفراد لـ(ساقطة) ومن دلالة التأنيث ، وبالرغم من معاني الألفاظ التقريرية ، ولكن هذا مستوى من مستويات التوظيف الأمثل لها .

ولم تختلف الألفاظ التي اختارها لقصيدته (علموها)[607] في أن تكون في الاستعمال التقريري المباشر نفسه ومن هذه الألفاظ (الجمود) و (الجهل) و(الخزي) و(ازدراء) و(هوج) وغيرها واستعملها الشاعر بمعانيها الوضعية من دون أية دلالة أخرى :

قادةٌ للجمودِ والجهلِ في الشرقِ   على الشعبِ تنصرُ استعمارا

....

ازدراءً بالدينِ أنْ يحسبَ الدينُ   بجهلٍ وخزيةٍ أمّارا

وبلاءُ الأديانِ في الشرقِ هوجٌ   باسمهِ ساموا النفوسَ احتكارا

لقد وظف الشاعر نوعاً من المفارقة في البيت الأول (قادة) ولكن للجمود والجهل وعلى الرغم من أهمية موضوع القصيدة التي هجا بها بعض رجال الدين ، لكن ألفاظها لم ترتفع فنيا فجاءت تقريراً مباشراً للواقع فضلا عن سكونها ضمن مساحتها المعجمية ولم تختلف الحال في قصيدته (الرجعيون)[608] وهي في الموضوع نفسه فجاءت ألفاظها الهجائية عادية الاستعمال ومنها (مذمم) و(مرتكب) و(لصوص) و(لاطة) و(زناة) وغيرها ، يقول فيها :

تحكّمَ باسمِ الدينِ كلُّ مذمّمٍ   ومرتكبٍ حقّتْ به الشهواتُ

...

وخلفهُمُ الأسباطُ تترى ومنهُمُ   لصوصٌ ومنهم لاطةٌ وزناةُ

لقد جاءت هذه الألفاظ خالية من الإيحاء أو الترميز ، ومغرقة في الواقع ، فالشاعر أراد هجاء المنتفعين من واقع المؤسسة الدينية بواقعية وتقريرية ، فهو حين هجاهم اختار ألفاظا تدل على ما أراده حسب ، ومثل هذا المعنى جاء أيضا في لفظة (النكرات) التي وردت في القصيدة نفسها :

فهلْ قضتِ الأديانُ أن لا تُذِيعَها   على الناسِ إلا هذهِ النكراتُ

وترك الشاعر ألفاظا كـ(الخزي) و(الركاكة) و(زخاريف) و(الحرام) و(شر) و(الخنا) و(التبذّل) في قصيدته (الحزبان المتآخيان)[609] أن تقوم بالهجاءلدلالتها المعدّة أصلاً مع تركيبها تركيباً هجائياً : لم يتعففوا ، لم يتسربلوا وصياغة (زخاريف) صياغة أخرى وأصلها (زخارف) فأربت على مرجعيتها اللغوية بما يريده السياق منها من دلالة هجائية :

يدٌ ركستْ للزندِ في كلِّ حطّةٍ   وأخرى من السحتِ المحرمِ تأكلُ

رأوا شرَّها غُنماً فلم يتعففوا   ولذَّهُمُ خزيٌ فلم يتسربلوا

....

زخاريفُ قولٍ تعتَلِيها ركاكةٌ   ويبدو عليهِنَّ الخنا والتَّبَذُّلُ

هذه أمثلة على هذا الاستعمال من ترك الألفاظ على دلالتها في هذه المرحلة من حياة الشاعر وهي مرحلة التقليد والاضطراب ، وما يحسب للشاعر فيها أن هذه الألفاظ الهجائية على الرغم من دلالاتها العامة ، تنتمي إلى المتخيّر الفصيح لا الغريب ، إذ لم يكن اختياره للتقعر أو التفاصح وقد أدت وظيفتها التي أرادها الشاعر الذي كان في هذه المرحلة (يرتفع فنيا أحيانا ويهبط بشعره إلى مستوى العقم والبرودة والرداءة أخرى وتبدو تجاربه أحيانا صادقة بسيطة معبرة وموحية وقد تجيء متكلفة تظهر عليها سمات التصنع)[610] .

([607]) الديوان : 461/1 .

([608]) م.ن : 465 .

([609]) الديوان : 59/2 .

([610]) تطور الشعر العربي الحديث في العراق : 283 .

لكن الشاعر لم يستمر على هذه الحال طويلا ، فقد استطاع الخروج إلى فضاء الإبداع وهو في الثلاثينيات من عمره ، ويتجلى ذلك بوضوح في انتقائه ألفاظه الهجائية استنفر طاقتها وأطلق مكنوناتها الدلالية لتزيد من تأثر البيت الواحد فضلا عن القصيدة كلها .

ففي قصيدته (الإقطاع)[611] اختار الشاعر ألفاظا منها (السوائم) و(الخضوع) و(الذل) و(اللؤم) و(الألائم) وقد وظفها بجدة وابتكار وخلق من علاقتها اللغوية دلالة خرجت عن المعنى المعجمي لتصب في فنية البناء الهجائي الذي جاء دلالةً لرفضه الواقع المعيش للفلاح الذي تحكم فيه الإقطاعي وزاد في امتهان كرامته وتضييع حقوقه ، يقول في القصيدة :

إذا أقبلَ (الشيخُ المطاعُ) وخلفَهُ   مِن الزارعين الأرضَ مثلَ السوائمِ
مِن المزهقي الأرواحَ يصلي وجوهَهُم   مهبُّ أعاصيرٍ ولفحُ سمائمِ
قياماً على أعتابِهِ يمطرونَها   خنوعاً وذلاً بالشفاهِ اللوائمِ

لقد استعمل الشاعر لفظتي (خنوعا) و(ذلا) بصيغة (الحال) وهو لا يريد منهما المعنى المعجمي بل أرادهما حالا للمطر المزعوم وهو (التقبيل) من الشفاه اللوائم للفلاح على أعتاب الإقطاعي المتجبر وهذا معنى جديد بدأ يستفيق عند الشاعر جعله يعطي صاحب الحال المحسوس حالا مجردة ، وكذلك نلحظ أنّه استعمل لفظة (الزارعين) ولم يقل الزرّاع أي أنّه استطاع تخليص الكلمة من المهنية ونقلها إلى مجال فضلهم أي أنّهم لهم الفضل في زرع الأرض وهذا نمط من أنماط تقنياته ، يقول في القصيدة نفسها :

رأيتَ مثالاً ثمَّ لابنِ ملائِكٍ   تنزّلَ من عليائِهِ وابنِ آدمِ
حنايا على الأكواخِ تُلقي ظلالَها   على مثلِ جبٍّ باهتِ النورِ قاتمِ
تلوّتْ سياطٌ فوقَ ظهرِ مكرّمٍ   من اللؤمِ مأخوذٍ بسوطِ الألائمِ

ونلحظ أن الشاعر استعمل لفظة (سياط) في البيت الثالث ، وجاء بها جمعاً وبالتنكير لدلالة الكثرة العددية الضاربة لظهر الفلاح ، ثم جاء بلفظة (سوط) مفردة ومعرّفة في عجز البيت ؛ لأنه أراد تعريفها وبيان نوعها فهو سوط السلطة لا غير ، وهذا نمط من أنماط تقنياته ، وعلى الرغم من قلة المفردات الهجائية في هذا المقطع إلا أن الشاعر استطاع رسم لوحة هجائية اتسمت بنقل معاناة حياة الفلاح وما كان يتعرض له من قبل الإقطاعي ، لوحة وظف فيها الشاعر المفردات توظيفا دلاليا أفضى إلى خروجها من معناها المباشر إلى معان أكثر إشعاعا مثلما ما جاء في البيت الأول عندما صور متهكماً الإقطاعيَّ وكأنه ابن الملائكة القادم الذي يجب أن يكون الفلاح ابن آدم في خدمته وطوع أمره ، (وأرى أن في هذا النص نظراً ولحظاً لقصيدة المتنبي التي أمدته بألفاظ القافية وأطلقته أشواطاً بعيدةً في بنائها ، والتي مطلعها :

أيا لائِمي إن كُنتُ وَقتَ اللَوائِمِ   عَلِمتُ بِما بي بَينَ تِلكَ المَعالِمِ)[612]

أما في قصيدته الساخرة (طرطرا)[613] فقد بناها بألفاظ أمدت تسعة وثمانين بيتاً بألوان السخرية ، جعلتها قطعة نادرة من إيجاع الحكام ورجال السياسة ، يبدأ الشاعر القصيدة بلفظة (طرطرا) وهي كلمة يُظن أنها عامية وهي كلمة فصيحة [614] ولكن الناس استعملتها للتهكم والسخرية والاستهزاء واليأس من زعم أو حتم أو ادعاء ، ودور الشاعر هنا ينصب على اشتقاق فعل لها (تطرطري) بعد أن أردفه بها وناداها بـ(أي طرطرا تطرطري) كافتتاح للنص كله بشطر كامل إيذاناً منه بفتح باب السخرية من مهجويه على مصراعيه يعاضده حرف (الطاء) بجرسه الحاد المتكرر بترادف الطاء الناصع والراء المتكرر ذي الطبيعة المكررة أصلا مع قصر الوزن

---

(611) الديوان : 355/2 .
(612) رأي الأستاذ الدكتور علي كاظم أسد المشرف على الرسالة .
(613) الديوان : 119/3 .
(614) ظ : لسان العرب مادة (طرر) .

فجعل منها فضاءً قصيراً تدور فيه الطاء والراء وكل الحروف المؤازرة لقصر مدى الرجز المجزوء فما ينتهي من القافية حتى يعود إليها باستدامة عنيدة حتى كأنَّ فضاء البيت لا ينفك منه ولا يتبرأ منه إلا عليه (وكأنه لم يُرد من كلمات النص إلا القافية وكأن النص هجاء صوتي لا دلالي حتى صارت القصيدة كالأهزوجة الشعبية)[615] يقول في القصيدة :

إي طرطـــــــرا تطرطـــــــري	تقـــــــدّمي تـــــــأخّري
تشـــــــيّعي تســـــــنّني	تهـــــــوّدي تنصّـــــــري
تكـــــــرّدي تعرّبـــــــي	تهـــــــاتري بالعنصـــــــرِ
تعمّمـــــــي تبرنطـــــــي	تعقّلـــــــي تســـــــدّري
كـــــوني إذا رمـــــتِ العُلـــــى	مـــــــن قُبـــــــلٍ أو دُبـــــــرِ
صـــــــالحةً كصـــــــالحٍ	عـــــــامرةً كـــــــالعمري

في هذا المقطع ربما لا نلحظ ألفاظاً هجائية بمعناها المعجمي ولكن الإيحاء الذي تركته ألفاظ المقطع وبناؤها الفني يدل على هجاء ساخر فالشاعر حين أورد اسم رئيس الوزراء آنذاك (صالح جبر) واسم (أرشد العمري) في نهاية المقطع مشتقاً من اسميهما صفتين (صالحة) و(عامرة) أراد السخرية منهما ، فضلاً عن استثماره دلالة أفعال الأمر التحريضية للسيطرة على سخرية المقطع كله فـ(تشيعي – تسنني – تهودي – تنصري – تكردي – تعربي) وهي أفعال اشتقها الشاعر من مصادرها ، لم يرد منها المذهبية أو الدينية أو القومية بل أراد ملاحقة مهجوه كيف كان وكذلك نلحظ أن أفعال الأمر هذه خرجت عن معناها المتوقع إلى معنى دلالي انتهى إلى السخرية وظيفة له ، يقول في القصيدة نفسها :

أعطـــــــي ســـــــماتَ فـــــــارعٍ	شـــــــمردلٍ لبحتـــــــرِ
واغتصـــــــبي لضـــــــفدعٍ	ســـــــماتَ ليـــــــثٍ قســـــــورِ
وعطِّـــــــري قـــــــاذورَةً	وبالمـــــــديحِ بخِّـــــــري
وصـــــــيِّري مـــــــن جَعَـــــــلٍ	حديقـــــــةً مـــــــن زهـــــــرِ
وشـــــــبِّهي الظـــــــلامَ ظُلـــــــ	ـــــــماً بالصـــــــباحِ المســـــــفرِ
وأفرغـــــــي علـــــــى المخـــــــا	نيـــــــثِ دروعَ عنتـــــــرِ

لقد كلّف الشاعر في هذا المقطع ألفاظاً بالهجاء ومنها (ضفدع) و(قاذورة) و(جُعَل) و(الغبي) و(الأحمق) و(المخانيث) وقد حفز الشاعر مكنوناتها لتخرج من معانيها المعجمية إلى دلالة أرادها الشاعر فلفظة (الضفدع) تستعمل للنيل من شكل أحد ما ، فيؤتى بها لهجاء قبح المنظر ولكن الشاعر جاء بها وهي تدل على الجبن والخنوع حين أعقبها بـ(سمات ليث قسور) وأيضا لفظة (قاذورة) التي تحيلنا دلالته في القصيدة إلى غير معناها المتعارف معنى آخر يستطيع المديح تعطيرها وتبخيرها وهذا غير ممكن لو جاءت لفظة (قاذورة) بمعناها المعجمي أو دلالتها العامة .

وكذلك لفظة (المخانيث) التي أخرجها الشاعر إلى دلالة الجبناء وهذا غير ذلك وهكذا بقية الألفاظ التي استطاع الشاعر توظيفها بغير معانيها المتداولة أو دلالتها المباشرة إلى دلالات أخرى ساقها في البناء الهجائي مستفيدا من الطاقة الكامنة في هذه الألفاظ لخبرته بأسرار اللغة وقوة تكليفه لها بدلالات يريدها .

أما في قصيدته (يوم الشهيد)[616] فقد وردت ألفاظ مثل (مداس) و(نعلهم) و(بقر الزريب) و(والمتذبذبون) و(الآثام) وقد كرسها الشاعر لهجاء خصومه من المتسلطين على رقاب الشعوب ، بعد أن وظفها لما تقوم به من دلالة يريدها وليس في حدود دلالتها المعجمية ، يقول في القصيدة :

ومـــداسُ أرجلِهـــم ونهـــبُ نعـــالِهم	شـــعبٌ مهـــيضُ الجـــانحين مُضـــامُ

([615]) رأي الأستاذ الدكتور علي كاظم أسد المشرف على الدراسة .
([616]) الديوان : 267/3 .

يمســـي ويصـــبحُ يســـتظلُّ بخدنِـــهِ   بقـــرُ الزريـــبِ ويرتعـــي ويَنـــامُ
سيحاســـبونَ فـــإنْ عـــرتهُم ســـكتَةٌ   مـــن خيفـــةٍ فســـتنطقُ الآثـــامُ
ســـينكسُ المتذبـــذبونَ رقـــابَهم   حتـــى كـــأنَّ رؤوسَـــهم أقـــدامُ

إن هذا البناء الفني وإن جاء في بدايته بصورة مؤلمة رسمها الشاعر للشعب المضام ، إلا أنه أوغل فيه بهجاء الحكام مستثمرا دلالات الألفاظ التي ذكرناها بعد أن فتح الشاعر لها طريقا دلاليا آخر غير المعتاد والمتعارف ، فالآثام عند الشاعر فم ينطق بما فيه عند محاسبة أصحابه السياسيين ، ورقاب المتذبذبين ستهوي لتصبح أقداما وقد فطن الشاعر إلى استعمال الفعل (سيحاسبون) بصيغة المبني للمجهول إلى دلالة سلب أي حظوة لمهجويه فضلاً عن أن الفاعل يظل عند الشاعر مجهولاً لم يحن أوانه .

كذلك أورد الشاعر في القصيدة نفسها جموعاً مثل (الممتلون) و(الفارغون) و(الصادعون) و(خدّام) و(المولعون) و(فاجرات مطامع) و ألفاظاً مثل(صاغر) و(أخنى الهوان) واستعملها في بنائه الهجائي الذي يقول فيه :

والممتلـــونَ كـــأنّهم كـــلُّ الـــدُنى   والفـــارغونَ كـــأنّهم أصـــنامُ
والصـــادعونَ بمـــا يـــرى مســـتعمرٌ   فهُـــمُ متـــى يـــأمرهُمُ خـــدّامُ
والمولعـــونَ بفـــاجرتِ مطـــامعٍ   فلهُـــم قعـــودٌ عنـــدَها وقيـــامُ
مـــاذا يحطـــمُ شـــاعرٌ مِـــنْ صـــاغرٍ   أخنـــى الهـــوانُ عليـــهِ فهـــوَ حُطـــامُ
لكـــن بمختلطـــينَ فـــي نيّـــاتهم   شـــبهاً فـــلا وضـــحٌ ولا إبهـــامُ

فـ(الممتلون) التي جاء بها الشاعر –بعد أن حذف همزتها – لا تدل على الامتلاء المادي كما هو متعارف وكذلك الفارغون بعد أن شبه مهجويه بالأصنام الفارغة من أي عطاء أو ربما قصد الشاعر أن الأصنام جوفاء من جهة تكوينها وكذلك بقية الألفاظ التي خرجت من الحيز المتداول والمساحة المعجمية إلى ما كرسه الشاعر من دلالات أرادها ضمن البيت الواحد أو ضمن نسيج اللوحة الشعرية كلها ، وقد أفاد الشاعر أيضا من إيقاع الجموع فـ(المملتون) و(الفارغون) و(الصادعون) و(المولعون) جاءت بهذا التناظر الإيقاعي من دون تكلف أو صنعة من الشاعر فضلا عن أن معظم الجموع صاغها بصيغة اسم الفاعل وكلها معرفة بـ(أل) وعلى السلامة لا التكسير لتكسب على البناء الهجائي دلالة الثبوت والاستقرار والتعريف ، لتسهم في علو البناء الفني لهذا المقطع .

وفي قصيدته (هاشم الوتري)[617] يستثمر الشاعر في تحفيز طاقة مفرداته لتشع نحو دلالات معاصرة أرادها في هجائه لخصومه ، يقول في أحد مقاطع القصيدة هاجيا المتسلطين :

يتبجّحـــونَ بـــأنَّ موجـــاً طاغيـــاً   ســـدُّوا عليـــهِ منافـــذاً ومســـاربا
كـــذبوا فمِـــلءُ فَـــمِ الزمـــانِ قصـــائدي   أبـــداً تجـــوبُ مشـــارقاً ومغاربـــا
تســـتَلُّ مِـــنْ أظفـــارِهِم وتَحُـــطُّ مِـــنْ   أقـــدارِهِم وتَثُـــلُّ مجـــداً كاذبـــا
أنـــا حَـــتفُهُم أَلِـــجُ البيـــوتَ علـــيهِمُ   أُغـــري الوليـــدَ بشـــتمِهِم والحاجبـــا
خَسِـــئُوا : فَلَـــم تَـــزَلِ الرُجُولَـــةُ حُـــرَّةً   تَـــأبَى لَهـــا غَيـــرَ الأَمَاثِـــلِ خَاطِبـــا
والأَمثَلُـــونَ هُـــمُ السَـــوَادُ فَـــدِيتَهُم   بـــالأَرذَلِينَ مِـــنَ الشُـــرَاةِ مَنَاصِـــبا
بِمُمَلَّكِـــينَ الأَجنَبِـــيِّ نُفُوسَـــهُم   وَمُصـــعَّدِينَ عَلـــى الجُمُـــوعِ مَنَاكِبـــا
أَعَلِمـــتَ هَاشِـــمُ أَيَّ وَقـــدٍ جَـــاحِمٍ   هـــذا الأَدِيـــمُ تَـــرَاهُ نَضـــواً شَـــاحِبا
أَنـــا ذا أَمَامُـــكَ مَـــاثِلاً مُتَجبِـــراً   أَطَـــأُ الطُغَـــاةَ بِشِســـعِ نَعلـــيَّ عَازِبـــا
وَأَمـــطُّ مِـــنْ شَـــفَتيَّ هُـــزءاً أَنْ أَرَى   عُفـــرَ الجِبَـــاهِ عَلـــى الحَيـــاةِ تَكَالُبـــا

([617]) الديوان : 391/3 .

لقد ضمّ نسيج هذا المقطع ألفاظا هجائية مثل (كاذب) و(شتمهم) و(خسئوا) و (الأرذلين) و(شسع نعلي) و(هزءا) وكلها جاءت ضمن حقل دلالي معاصر رسم الشاعر فيه صورة استندت على المقابلة تصور الشاعر ومهجويه الذين فعلوا كل السبل لإيقافه ولكنه كان كالحتف الذي دخل عليهم بيتهم وحرض كل متعلقيهم لشتمهم .

والشاعر أيضا حين استعمل لفظ (شسع نعلي) وهو لفظ تراثي له مدلوله الواضح ، استطاع أن يجعله في سياق معاصر لمتلقٍ معاصرٍ فلا شسع لنعل أيام كتابة القصيدة إلا أن الشاعر استطاع تطويع هذا لإيصال دلالة معاصرةٍ إلى ذهن المتلقي الذي يستحيل أن ينصرف ذهنه إلى (شسع النعل) التراثي بل تمثل أمامه الدلالة الجديدة وهي (حذاء الشاعر) فضلا عن أن الشاعر استعمل أفعال المضارعة مثل (تجوب – تستل – تثل – ألج – أغري – أطأ – أمط) وكلها تدل على الحركة والنمو والاستمرار .

وقد اختارها الشاعر بعناية بحيث لا يمكن معها استبدالها بأفعال أخرى فمثلا الفعل (أغري) (لا يمكن أن يقوم مكانه فعل آخر وإلا لفسدت الصورة لأن الشاعر يتعامل مع (غلام) فهو يغريه ويلاعبه ، لا يلقي عليه محاضرة في الوعي الطبقي أو درسا في الوطنية)[618] ، وهذا إيغال في هجاء خصومه فالشاعر يرسم صورة تظهر أنه الخصم العنيد للسلطة الذي سيبقى يهزأ بها ويحط من قدرها ويفضح أساليبها وخيانتها ويطأها بحذائه متجبرا غير آبه بها ، فماذا أبقى الشاعر للسلطة من هيبة وسطوة أزاء من تحكمهم ؟ يقول الشاعر في نفس القصيدة :

وَلَقَد رَأى المستعمرون فرائساً	مِنّا وألفَوا كلبَ صيدٍ سائبا
فَتَعهَّدُوهُ فراحَ طوعَ بَنانِهِم	يبرُونَ أنياباً لَهُ وَمَخَالِبا

إن استعمال (كلب) وهي مفردة لاشك في دلالتها على الهجاء ، لم يتركه الجواهري إلا أن ركب منه صورة خاصة تلائم من أراد وصفه بها وهي (كلب صيدٍ) ولكن المعروف أن كلاب الصيد تُدرَّبُ وتُتَعهد من مكلِّبين ، فهو كلب له مدربون ومتعهدون ، ولكن الكلب الذي أراد له صورة خاصة هو (كلب سائب) ، فهو الذي درب نفسه ولم يدعه أحد أن يكون ذا مهنة أو وظيفة ، فهو من الكلاب السائبة ، ووظّف نفسه لأداء مهمة الصيد ، وهذا من أوجع الهجاء في الشعر المعاصر ، ولاسيما إذا كان تمام ملامح الصورة هو تمام لبناء البيت ، وهذا من تمكن الشاعر من فنه وبنائه .

وفي قصيدته (أطبق دجى)[619] التي يقول فيها :

أطبقْ على متبلِّدين	نَ شَكا خُمُولَهُمُ الذّبَابُ
لَمْ يَعرِفُوا لَونَ السَّما	ءِ لِفرطِ مَا انحَنَتِ الرِّقَابُ
وَلِفرطِ مَا دِيسَتْ رُؤُو	سُهُمُ كَمَا دِيسَ التُّرَابُ
أطبقْ على المُعزَى يُرا	دُ بِهَا على الجُوعِ احتِلابُ
أَطبِقْ عَلى هَذِي المُسُو	خِ تَعَافُ عِيشَتَها الكِلاَبُ

وردت ألفاظ (متبلدين) و(خمولهم) و(الذباب) و(المسوخ) و(الكلاب) ضمن نسيج هذا المقطع الهجائي وقد استطاع الشاعر إفراغها من المعنى المعروف العام وذهب بها إلى دلالة إيحائية ساخرة ، ضمن خطاب غاضب يدل على طلب العذاب والدمار والشاعر استطاع أيضا إخراج فعل الأمر (أطبق) من دلالته التحريضية إلى دلالة السخرية المحملة بالشفقة وكذلك في ألفاظ (الجوع) و(الاحتلاب) التي تحيلنا على دلالة ذهنية بعيدة عن معناها اللغوي ، وفيها يرفض

([618]) تطور الشعر العربي الحديث في العراق : 323 .
([619]) الديوان : 405/3 .

الشـــــــــــــاعر منطـــــــــــــق عبوديـــــــــــــة الشـــــــــــعب المستضعف .

ثم يقول الشاعر في نفس القصيدة :

أطبـــقْ علـــى هـــذي الكـــرو ـــــش يمَطّهَـــا شَـــحْمٌ مـــذابُ
مِـــنْ حَولِهَـــا بَقَـــرٌ يَخُـــو رُ وَحولَـــهُ غَرثَـــى سِـــغَابُ
أَطبـــقْ عَلـــى مُتَنفِّجِـــينَ كَمـــا تَنفَّجَـــتِ العِيَـــابُ

لقد جاءت في هذا المقطع ألفاظا منها (متنفجين) ومفردها متنفج ومعناها المعجمي المتكبر والمتضخم ووردت أيضا لفظة (العياب) وهي جمع عيبة وهي السفط الذي توضع فيه الثياب لكن الشاعر استثمرها لدلالة يريدها هو حين هجا الساسة الذي تضخموا بكروش نتيجة استئثارهم بخيرات أبناء الشعب وتضخمت حقائبهم من غنائم السلطة وبذلك خرجت هذه الألفاظ إلى دلالة مبتكرة صاغها الشاعر في هجاء خصومه .

وفي قصيدته (في مؤتمر المحامين)[620] جاء الشاعر بألفاظ منها (الأبيق) و(هلوك) و(الداعر) و(لكاع) و(الفاجر) وغيرها ليهجو بها أرباب السلطة في العراق ، يقول فيها :

وفـــروا خفافـــاً فـــرارَ الأبيـــقِ يحـــنُّ إلـــى ربقـــةِ الآســـرِ
ومـــدتْ يـــدٌ مـــن وراءِ الخطـــوبِ لثـــانٍ يســـاومُ كالتـــاجرِ
فكـــانَ ســـتاراً علـــى ســـوءةٍ تبـــدتْ بهـــا ســـوءةُ الســـاترِ
ورُدتْ (هلـــوكُ) إلـــى بغيهـــا وعـــادتْ إلـــى أمسِـــها الـــدّاعرِ
وخَفّـــتْ (لُكـــاعُ) إلـــى الراجميـــنَ تبحـــثُ عـــن راحـــمٍ غـــافرِ

لقد جاءت هذه الألفاظ ضمن نسيج محكم يصعب إفرادها والبحث عن معانيها منفردة ، فالآبق هو العبد الهارب من سيده وهو عند الشاعر غير ذلك فهذا الآبق فرّ بخفته وهو يحن إلى قيده الاستعماري وكذلك هلوك وهي المرأة المتهالكة على الرجال ومثلها (لكاع) وهي المرأة اللئيمة والشاعر لا يريد هذه المعاني المعجمية بل انتزع هذه الدلالات بتوظيفه الألفاظ توظيفا آخرا أفضى بهذه الألفاظ في بناء معانيه .

ومن أجمل ما أورده الشاعر لفظة (أمسها الداعر) فالداعر صفة تطلق على المرأة وعلى الرجل ولكن الشاعر رفع عنها قيدها المعجمي بعد أن قرنها بالأمس الزمني في بناء مثير شع على نسيج بيته الشعري وقد جاءت ألفاظ مثل (الشر) و(الدنس) و(غراب البين) و(الدنايا) و(اللؤم) و(بشع) وغيرها في قصيدته (تحية إلى رونتري)[621] وهي كسابقتها من ألفاظ الشاعر التي زحزحها عن معجميتها وأدخلها حومة التوظيف لتعاصر الأحداث ، يقول في القصيدة :

يـــا رســـولَ الشـــرِّ والـــدَّنَسِ وغـــرابِ البـــينِ فـــي الغَلَـــسِ
يـــا ابـــنَ أحـــلافٍ قَـــدِ ارتَكَســـتْ فـــي الـــدَّنايا شـــرُ مـــرتَكِسِ
يـــا ابـــنَ بنـــتِ اللـــؤمِ قَـــدْ سَـــرَقَتْ فـــي الليـــالي لحِيَـــةِ القَســـسِ
يـــا ضـــحوكاً عـــن فـــمٍ بشـــعٍ ضـــمَّ نـــابَ الفاتِـــكِ الشـــرسِ

أن مهجو الشاعر هو المبعوث الأمريكي للعراق بعد ثورة تموز في عام 1958م ، وقد استثمر الشاعر ألفاظه الهجائية في هذه القصيدة فـ(الشر) و(الدنس) صفتا هذا الرسول الأمريكي بعد أن أبعدها الشاعر عن معانيها الاجتماعية أو الدينية ، وجاء بها للدلالة السياسية والشاعر أيضا نجح في وصف أم هذا المبعوث وهي (أمريكا) بنت اللؤم التي سرقت لحية القسس في لياليها

---

(620) الديوان : 89/4 .
(621) الديوان : 321/4 .

المظلمة وكأنه يشير إلى تحول الكنيسة لعبة بيد الإدارة الأمريكية وقد ارتفع الشاعر بألفاظه وأحسن استعمالها من جهة الرمزية والإيحاء ، ونجح باستعمالها الدلالي في نسيجه الهجائي .

ثم يصور الشاعر هذا المبعوث وهو يضحك بفم بشع لا من جهة قبحه او عيب في خلقته إنما هو بشع لأنه ضم نابا شرسا فتك بالضعفاء إشارة إلى القوة الهمجية الأمريكية التي افترست الشعوب وخلفت ضحاياه في مختلف دول العالم .

يتضح من الأمثلة السابقة أن الشاعر أطلق مكامن ألفاظه إيحاء وترميزا واستطاع تحفيز طاقاتها وأزاح عنها التقليدية المعجمية ونقلها إلى دلالات أكثر إشعاعا في بناء نصه الهجائي ، لقد استثمر الشاعر مخزونه اللغوي الكبير ليختار مفردات تصب في معترك الهجاء ولم يكن متكلفا في صنعته ولا مبتذلا في بنائه ، بل أن موهبته الفردية هي من قادته إلى هذا النسيج المحكم وهو كأي شاعر مبدع (يكون تركيزه في تلك الساعة البنائية في أقصى حالاته وإن الشاعر لا يغيب عن الوعي – كما يتصور – بل يكون في أقصى حالات الوعي ولكنه يغيب عن وعيه الاعتيادي)[622] .

أما الجانب الثاني من هذا المبحث فيقع عليه بيان استعمال الشاعر للألفاظ واستثماره المتميز لكل تفاصيل اللغة في إغناء نسيجه الشعري ، فقد أفاد الشاعر من مصادر لغته في بناء هجائياته ، لذلك وظّف مفردات قرآنية اقتبسها مستثمراً دلالاتها ومعانيها في سياق الهجاء ومن أمثلة ذلك ما ورد في قصيدته (أيها الوحش ...أيها الاستعمار)[623] :

ميّــز العِــرقَ وفاضــلْ بالــدَّمِ
وتصــاعدْ طبقــاً عــن طبــقِ

وقد اقتبس قوله تعالى : [لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ۝١٩] [624] ، وأيضا ما ورد في قصيدته (في مؤتمر المحامين)[625] :

إلــى كـم تُــداري شــيوخُ العــراقِ وأقطـــابُ محـــورهِ الـــدائرِ
عُجُـــولاً تُربّـــى لمســـتعمرٍ ويُلعَـــنُ فـــي عجلِـــهِ الســـامري

وقد استثمر القصة القرآنية المعروفة [626] وألفاظها في بنائه الهجائي .

وكذلك ما ورد في قصيدته (خلّفت غاشية الخنوع)[627] :

عــوّذتُ جُلّــقَ بالضــحايا جمّــةً مــن كيــدِ همّــازٍ بهــا مشــاءِ

مقتبساً قوله تعالى : [هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ۝١١][628]

وما ورد أيضاً في قصيدته (يا أم عوفٍ)[629] :

ولقمـــةٍ ردّهـــا مـــا نســـترقُّ بـــه ومـــا نكـــافحُ زقومـــاً وغســـلينا

والشاعر هنا أتى بلفظتي (زقوم)[630] و(غسلين)[631] في بيت واحد وقد وردتا في سورتين مختلفتين .

---

[622] كافوريات المتنبي – د. علي كاظم أسد : 101 .
[623] الديوان : 53/4 .
[624] 19 من الانشقاق .
[625] الديوان : 89/4 .
[626] 85 إلى 88 من طه
[627] الديوان : 215/4 .
[628] 11 من القلم .
[629] الديوان : 197/4 .
[630] 52 من الواقعة .
[631] 36 من الحاقة .

ومثلما وظّف الشاعر الألفاظ القرآنية مستثمراً دلالاتها ، فإنه وظّف الأمثال العربية القديمة أيضاً ، مستفيداً من إيحاءاتها ، مستنفراً كوامنها في بنائه الهجائي ، وقد سيّقها تسييقاً معاصراً يتلائم مع روح العصر ، ومن أمثلة ذلك ما جاء في قصيدته (طرطرا)[632] :

كـــــوني بُغاثـــــاً واســـــلمي   بـــــالنفسِ ثـــــم استنســــــري

وهو يشير إلى المثل العربي (إنّ البغاث بأرضنا يستنسر)[633] .

واستعمل الشاعر أيضاً في القصيدة نفسها مثلاً آخر :

إي طرطـــرا كـــوني علـــى تاريخـــكِ المُحتَقَـــرِ
أحـــرصُ مـــن صـــاحبةِ النحيـــين أنْ تـــذكّري

مستدعياً المثل العربي (أشغل من ذات النحيين)[634] مستنفراً دلالته الموجعة المقذعة في هجاء خصومه ، وقد وظّفه الشاعر أيضاً في قصيدته (في مؤتمر المحامين)[635] :

ولكـــن كمـــا شـــغلت نفسّـــها   بنحيـــينِ أخـــتُ بنـــي عـــامرِ

وكذلك ما ورد في القصيدة نفسها حين استثمر المثل العربي (أجبن من صافر)[636] في النيل من مهجوه :

ويكشـــفُ عـــن محـــربٍ (حـــاردٍ)   ويطـــوي علـــى خـــائفٍ خـــائرِ
أفـــي الغُـــنمِ أشـــجعً مـــن قســـورٍ   وفـــي الغُـــرمِ أجـــبنُ مـــن صـــافرِ

أما توظيفه للشعر العربي القديم ومفرداته وتراكيبه في شعره فواضح ، فقد اعتمد الشاعر في بناء قصائده على حافظته الفذة التي استوعبت كثيراً من الدواوين الشعرية باختلاف شعرائها وعصورهم ، ويمكن أن نلحظ ذلك جلياً في بدايته الشعرية ، التي وظّف فيها مفردات شعرية تراثية ، وكان في هذه الفترة يحرص على تمثل مواقف الشعراء القدامى متشبها بهم وناطقاً بحكمتهم من دون الالتفات إلى أجواء قصيدته أكانت ملائمة أو لا ، ويبدو أن اتكاءه على القديم ومعارضته له ، ولم تكن لترسيخ قدمه في النظم فحسب ، إنما كان تعبيراً بوعي أو من دون وعي عن تأثره بتلك القصائد العربية القديمة ؛ لأن إحساسه بالتراث لم يكن يعني الخضوع إلى زمن التراث بقدر ما كان يعني التأثر بجودته ،والشاعر استطاع الخروج مبكراً من هذه المرحلة (التقليد) إلى مرحلة استوى له نهجه الشعري الخاص فيها (النضج) فأصبح لا يرتد إلى التراث الشعري ويقتطعه اقتطاعاً ويلصقه بنسيجه ، إنما نجد التراث قد صهر صهراً جديداً في بناء قصائده ، فالصور القديمة ومفرداتها أخذت تتشكل من جديد وهي تستوحي روح العصر إلى جانب الصور التي خلقها الشاعر بموهبته الفريدة الخاصة [637] .

إن المفردة عند الشاعر طاقة كامنة ، يحاول إطلاقها لتثري شعره ، بعدما تمكن من لغته ومفرداتها (حتى باتت ... بين يديه مادة مطاوعة)[638] لذلك استعملها بفنيّة عالية وتصرف بها بما ينسجم مع نسيجه الهجائي ، فهو مثلاً استعمل صيغ الجموع بمختلف أنواعها حتى أصبحت ظاهرة بارزة في شعره لأنّها (تزخر بوفرة من التشكيلات النغمية التي لا تتحقق للشاعر لو مال إلى صيغ

([632])الديوان : 119/3 .
([633]) مجمع الأمثال للميداني : 10/1 .
([634]) مجمع الأمثال : 376/1 .
([635]) الديوان : 89/4 .
([636]) مجمع الأمثال : 184/1 .
([637]) ظ : تطور الشعر العربي الحديث في العراق : 257 وما بعدها ، لغة الشعر الحديث في العراق : 334 وما بعدها ، وهما يحفلان بأمثلة كثيرة للشاعر في مرحلتي التقليد والنضج .
([638]) تطور الشعر العربي الحديث في العراق : 315 .

المفرد)[639] فجاء بالجمع السالم في قصائد هجائية كثيرة منها قصيدته (يوم الشهيد)[640] التي يقول فيها :

أكبــرتُ شــعري أنْ تُهــينَ كريمَــهُ غُفْــلٌ تضــيقُ بهــا الرعــاةُ ســوامُ
أو عائشــونَ علــى الهــوامشِ مثلمــا ينفــي فضــولَ الصــورةِ الرســامُ
والممتلــونَ كــأنَّهم كــلُّ الــدُنى والفــارغون كــأنّهم أصــنامُ
والصــاعدونَ بمــا يــرى مســتعمرٌ فهُــمُ متــى يــأمرهُمُ خُــدّامُ
والمولعــون بفــاجراتِ مطــامعٍ فلهــم قعــودٌ عنــدَها وقيــامُ
....
لكــن بمختلطــينَ فــي نيّــاتهم شُــبهاً فــلا وَضَــحٌ ولا إبهــامُ

وأيضاً ما ورد من الجمع السالم في قصيدته (هاشم الوتري)[641] :

(التيمســيّون) الــذين تنــاهبوا هــذي الــبلادَ حبائبــاً وأقاربــا
والمغـدقونَ علـى (البيـاضِ) نعـيمَهم والخــالعونَ علــى (الســوادِ) زرائبــا
والحاضــنونَ الخــائنينَ بلادَهــم حضــنَ الطيــورِ الرائمــاتِ زواغبــا
....
أعرفــتَ مملكــةً يُبــاحُ شــهيدُها للخــائنينَ الخــادمينَ أجانبــا
مســتأجرينَ يخرّبــونَ ديــارَهم ويكــافئون علــى الخــرابِ رواتبــا
متنمــرينَ ينصّــبونَ صــدورَهم مثــل الســباعِ ضــراوة وتكلُبــا
....
أنبيــكَ عــن شــرِّ الطغــامِ مفــاجراً ومفــاخراً ومســاعياً ومكاســبا
الشــاربين دمَ الشــبابِ لأنّــه لــو نــال مــن دمهــم لكــان الشــاربا
والحاقــدين علــى الــبلاد لأنّهــا حقــرتهم حقــرَ الســليب الســالبا

ووظّف الشاعر هذا النوع من الجمع أيضاً في قصيدته (أطبق دجى)[642] :

أطبــق علــى متفــرّقين يزيــدُ فــرقتَهم مُصــابُ
....
أطبــق إلــى أنْ ينتهــي للخــابطينَ بــك احتطــابُ
أطبــقْ علــى متنفجــينَ كمــا تنفّجــت العِيــابُ
مســتنوقينَ ويــزأرونَ كــأنّهم أُســدٌ غِــلابُ

ووظّف الشاعر أيضاً جموع التكسير مستفيداً من دلالة الكثرة منها في نسيج هجائياته ، ومن أمثلة هذا ما ورد في قصائد (أطبق دجى)[643] و(عبد الحميد كرامي)[644] و(يا أم عوف)[645] وغيرها ، ومما يُلحظُ في بعض هجائيات الشاعر استعماله جموعاً على صيغة خالف بها صيغتها الأصلية ، ومن أمثلة هذا ما ورد في قصيدته (ثورة الوجدان)[646] :

فــي كــلِّ يــومٍ بأشــكالٍ وأنمطــةٍ وكــلِّ آنٍ بهيئــاتٍ وأطــوارِ

([639]) لغة الشعر عند الجواهري – د. علي ناصر غالب : 219 .
([640]) الديوان : 267/3 .
([641]) الديوان : 391/3 .
([642]) الديوان : 405/3 .
([643]) الديوان : 405/3 .
([644]) الديوان : 37/4 .
([645]) الديوان 197/4 .
([646]) الديوان : 427/1 .

والشاعر جمع (نمط) على (أنمطة) مخالفا صيغتها وهي أنماط [647] .
وما ورد أيضاً في قصيدته (يا أم عوف)[648] :

وكم حوتْ من ربيع الدهر أخيلةً   فطرن رعباً وأفراساً فعُرّينا

فجمع (خيل) على (أخيلة) مؤثراً هذا الجمع على (خيول)[649] ، وأيضا ما ورد في قصيدته (يا ابن الفراتين)[650] :

وصاحبٍ لي لم أبخسهُ موهبةً   وإنْ مشتْ بعتابٍ بيننا بُرُدُ
نفى عن الشعر أشياخاً وأكهلةً   يُزجي بذاك يراعاً حبرُهُ الحَرَدُ

والشاعر هنا جمع (كهل)[651] على أكهلة وفضّله على جمعه الأصلي (كهول وكهلان...)
وحفلت قصائد الشاعر أيضاً بأساليب استثمرها ووظّف دلالاتها في إثراء هجائياته بما ينسجم وما يريده منها ، ومن هذه الأساليب استعماله صيغة الفعل في بنائه للمجهول مستثمرا دلالة التحقير وإخفاء الفاعل[652] في إيجاع مهجويه ، ومن أمثلة هذا ما ورد في قصيدته (أمان الله)[653] :

أإنْ حُلِقتْ لحيً مُلِئتْ نفاقاً   تخذتم شعرها درعاً مناعا

فجاء بالفعلين المجهولين (حُلِق) و(مُلأ) .
وأيضاً ما ورد في قصيدته (أطبق دُجى)[654] :

ولفرط ما ديستْ رُؤو   سُهُم كما ديسَ الترابُ
أطبقْ على المعزى يُرا   دُ بها على الجوع احتلابُ

فاستعمل الفعلين (ديس) و(يُرادُ) ، وكذلك ما ورد في بيتين له :

ما انفك يا مصرُ والإذلالُ تعويدُ   يسومكِ الخسفُ كافورٌ وأخشيدُ
مقالةٌ كَبُرَتْ الحبُّ شافِعُها   حبُّ المسودين لو شاؤوا لما سِيدوا [655]

فجاء بالفعل (سيد) ، وأيضاً ما ورد في قصيدته (أنا الفداء)[656] :

وتهضّم الأرجاسُ ذكركَ مثلما   ضِيمَ الأريجُ بجيفةٍ نتناءِ

فأورد الفعل (ضِيمَ) .
ومن أساليبه أيضاً في استثمار مفردات معجمه الشعري ، أسلوب الاشتقاق الذي انطلق منه الشاعر لتوفير المفردات الملائمة التي تحقق مع بقية مفردات البيت انسجاماً موسيقياًُ وإيقاعاً صوتياً متكرراً ، حتى عُدَّ الشاعر من أكثر الشعراء امتلاكاً لثروة لغوية ومفردات معجمية [657] .
ومن أمثلة اشتقاقه تلك الأفعال التي اشتقها من الجوامد في قصيدته(طرطرا)[658]:

إي طرطرا تطرطري   تقدّمي تأخّري
تشيّعي تسنّني   تهوّدي تنصّري
تكرّدي تعرّبي   تهاتري بالعنصرِ
تعمّمي تبرنطي   تعقّلي تسدّري

---

[647] ظ : لسان العرب مادة نمط .
[648] الديوان : 197/4 .
[649] ظ : لسان العرب مادة خيل .
[650] الديوان : 347/5 .
[651] ظ : لسان العرب مادة كهل .
[652] ظ : جامع دروس اللغة العربية للغلاييني : 50/1 .
[653] الديوان : 455/1 .
[654] الديوان : 405/3 .
[655] الديوان : 86/4 .
[656] الديوان : 111/4 .
[657] ظ : لغة الشعر العراقي المعاصر – د. عمران الكبيسي : 28 .
[658] الديوان : 119/3 .

إنَّ (الأفعال التي اشتقها بعضها مسموع نحو تشيعي وتهودي وتنصري وتعممي وتبرنطي ، على حين ارتجل أفعالاً أخرى نحو : تسنني وتكردي وتعقلي وتسدري وتزيّدي وتشمري ، وهو يقيس ذلك على المسموع من كلام العرب)[659] ، وأيضاً ورد اشتقاقه في قصيدته (يا ابن الفراتين)[660] :

تطـاولَ القـاعُ حتـى اسـتقعرت قمـمٌ واستأسـدَّ الغـيُّ حتـى اسـتنوق الرَشَـدُ

والشاعر اشتق الفعل (استقعر) من الاسم (القعر) ، وكذلك ولَّدَ الشاعر جمعاً مذكراً سالماً (التيمسيون) من لفظ أجنبي وهو (التايمز) النهر البريطاني ، وهو يريد التنكيل بمهجويه في قصيدته (هاشم الوتري)[661] :

(التيمســيّون) الــذين تنــاهبوا هــذي الــبلادَ حبائبــاً وأقاربــا

ومن اشتقاقه أيضاً صوغه بعض الصفات على وزن فعلاء على حين لم يذكر لها مذكر على وزن أفعل مثلما ورد في القصيدة السابقة (هشام الوتري) :

حتــى إذا عجَمُــوا قنــاةً مــرّةً شــوكاءُ تُـدمي مـن أتاهـا حاطبـا

فجاء بالصفة (شوكاء) التي لم يرد لها مذكر على وزن أفعل (أشوك) .

ومن أساليبه أيضاً الزيادة والتجريد فالشاعر (لجأ إلى زراعة أغصان جديدة للفظة المجرّدة أو تشذيب اللفظة بحذف حروف الزيادة منها وذلك لا يجري على حساب الوزن وحده بل بسبب ميله إلى أن تكون اللفظة طازجة مما يُزيد من دهشة المتلقي وانبهاره)[662] ، ومن أمثلة الزيادة عند الشاعر ما جاء في قصيدته (ذكرى أبي التمن)[663] :

واسـتفرش الشـعبُ الثـرى ودروبُهـم مملــوءةٌ بنثــارةِ الأزهــارِ

فجاء بالفعل (استفرش) مزيداً .

وكذلك ما ورد في قصيدته (يا أم عوفٍ)[664] :

إذا ارتكســنا أغاثتنــا مغاوينــا أو ارتكضــنا أقلّتنــا مــذاكينا

فالشاعر هنا آثر المزيد من (ركس) و(ركض) .

وأيضاً ما ورد في قصيدته (الدم يتكلم بعد عشر)[665]

مشــتِ النــاسُ للإمــامِ ارتكاضــاً ومشــينا إلــى الــوراءِ ارتجاعــا

فجاء بالمصادر المزيد (ارتكاضاً) و(ارتجاعاً) مفصلاً إياها على (ركضاً) و(رجوعاً) .

أمّا من التجريد عند الشاعر في هجائياته ما ورد في قصيدته (أمان الله)[666] :

أإنْ خُلِقــتْ لحــيً مُلِئــتْ نفاقــاً تخــذتم شــعرها درعــاً مناعــا

فجاء الشاعر بالفعل (تخذ) بدلاً عن (اتخذ) .

وأيضاً ما ورد في قصيدته (الدم يتكلم بعد عشر)[667] :

وانــزوت فــي بُيوتهــا أدبــاءٌ حَطمــتْ خيفــةَ الهــوانِ اليراعــا

فاستعمل الفعل (حَطَمتْ) وفضّله على المزيد المشهور (حطَّمتْ) .

([659]) لغة الشعر عند الجواهري : 212 .
([660]) الديوان : 347/5 .
([661]) الديوان : 391/3 .
([662]) لغة الشعر عند الجواهري : 196 .
([663]) الديوان : 135/3 .
([664]) الديوان : 197/4 .
([665]) الديوان : 455/1 .
([666]) الديوان : 455/1 .
([667]) الديوان : 93/2 .

وكذلك ما جاء في قصيدته (دم الشهيد)[668] :

فأكرهها وقل سيري بسوطٍ يُدمّي من أبى سيراً وطاعا

وأيضاً بالفعل (طاع) وآثره على (أطاع) .

وأيضاً ما ورد في قصيدته (يا ابن الفراتين)[669] :

وما ضرَّ من آمنت دنيا بفكرتِهِ إنْ ضِيفَ صِفرٌ إلى أصفادِ من حجدوا

فاستعمل (ضِيفَ) بدلاً عن (أضيف) .

ومن أساليب الشاعر أيضاً أسلوب التعدية بعض الأفعال التي عرفت لازمة أو تعديتها إلى مفعولين وهي تتعدى لمفعول واحد ، ومن أمثلة هذا ما جاء في قصيدته (جيش العراق)[670] :

ومشى إلى الهرم النعيم فشبَّهُ والبؤسَ في عودِ الصبا فتغضننا

فجاء بالفعل (شبَّ) متعدياً وهو لازم ، وأيضاً ما ورد في قصيدته (رسالة إلى محمد علي كلاي)[671] :

الملهمون أأنتَ ترسمهم خَولاً من الشُبانِ والشيبِ

وقد عدى الفعل (ترسم) إلى مفعولين وهو يتعدى لمفعول واحد .

واستعمل الشاعر في بعض هجائياته صيغة (فعيل) بدلاً عن اسم الفاعل وعن اسم المفعول مستثمراً دلالة هذه الصيغة ؛ لأن (صيغة فعيل بمعنى – فاعل – تدل على أن الوصف ثابتاً في صاحبه ، وأما فعيل بمعنى مفعول فيدل على أن الوصف قد وقع على صاحبه بحيث أصبح سجية له)[672] .

ومن أمثلة هذا الاستعمال عند الشاعر ما ورد في قصيدته (عبد الحميد كرامي)[673] :

جَمَدتْ على الجلدِ اليبيس ضروعها من فرطِ ما احتُلِبت لها أشطارُ

فجاء بـ(اليبيس) وآثرها على (اليابس) ، وما ورد أيضاً في قصيدته (في مؤتمر المحامين)[674] :

وفرّوا خفافاً الأبيق يحنَّ إلى ربقةِ الآسرِ

فاستعمل (الأبيق) بدلاً عن (الآبق) ، وكذلك ما ورد في قصيدته (خلّفت غاشية الخنوع)[675] :

وبكلِّ زاويةٍ ضميرٌ يلتوي ليَّ الطعينِ بحربةٍ عقفاءِ

فجاء بـ(الطعين) بدلاً عن (المطعون) ، وأيضاً ما ورد في قصيدته (الناقدون)[676] :

آخيذٍ بروعةِ شيخِ القريضِ وجمرةِ تنورهِ الواقدِ

فاستعمل (أخيذ) وآثرها على (مأخوذ) .

يتضح من الأمثلة السابقة قدرة الشاعر في انتقاء مفرداته والتصرف بها بحسب الأعراف الشعرية وقد أولى عناية فائقة بمعجمه الشعري حتى تميّز من الشعراء المعاصرين له ومن يتبعوهم ، والشاعر تمرّس بالكلمة المفردة (فلها في ذهنه وروحه مكان خاص وسحر خاص يقف منه

---

(668) الديوان : 289/3 .
(669) الديوان : 347/5 .
(670) الديوان : 297/4 .
(671) الديوان : 19/7 .
(672) معاني الأبنية العربية : د. فاضل السامرائي : 60 .
(673) الديوان : 37/4 .
(674) الديوان : 89/4 .
(675) الديوان : 215/4 .
(676) الديوان : 279/4 .

موقف الانفعال والإعجاب ، فهو يعرف الكلمة وتعرفه وينطلق بها فتُعرف به وتصير من مواده)[677] .

ومع صلة الشاعر الوثيقة بالتراث وفنونه الشعرية والنثرية التي أغنت لغته – يتضح ذلك من الأمثلة السابقة – لم يكن الشاعر خاضعاً للقديم مقدساً إياه بقدر ما كان هذا التراث القديم قاعدةً ينطلق منها إلى تشخيص الواقع تشخيصاً أصيلاً يحفل بروح المعاصرة ، وبفهم واسع ودقيق لمحيطه ، وهذا ما تبناه الشاعر صراحة ، فهو يوصي الشعراء (إنكم إذ تحفظون فلا بد أن تفهموا ما تحفظون ، ثم لا بد لكم شئتم أم أبيتم أن تهضموا ما فهمتم ، ثم لا بد لكم مع ذلك أن تتفتح أمامكم آفاق الحياة فيما تهضمون ، ولا بد لكم أن تبدلوا كثيراً من مفاهيم الأمور والأشياء والأشخاص والجماعات على ضوء هذا الهضم الواسع العميق)[678] .

لذلك فإن قارئ شعر الجواهري ، مع طول بعض قصائده الهجائية ، لا يشعر بأنّ ثمةَ ضعفاً وابتذالاً أو هبوطاً في جوانب استعماله ، ذلك لدقة اختياره للألفاظ واقتداره في تصريفها واشتقاقها وتوظيفها التوظيف الأمثل (لأنه أفرغها من معناها المألوف ، فلقد خلّصها من الحتمية وأسلمها للاحتمال)[679] .

المبحث الثالث

---

(677) لغة الشعر عند الجواهري – د. إبراهيم السامرائي : 181 .
(678) مقال للشاعر - مجلة الأديب العراقي ، العدد الأول ، شباط 1961 .
(679) الثابت والمتحول – صدمة الحداثة - أدونيس : 16 .

التراكيب

لقد تميز الجواهري في بناء تراكيبه الهجائية كما تميز بانتقاء مفردات ثرية لهذه التراكيب يدفعه إلى ذلك أصالة موهبته ونزوعه الإبداعي فضلا عن موروثه اللغوي والأدائي الفني والبلاغي الذي أغنى نسيج تراكيبه التي صاغها بأساليب متعددة أسهمت بمجملها في البناء الفني والدلالي في الهجائيات .

فالشاعر مثلا استعمل الجمل الإسمية في تراكيب هجائياته ليتصف مهجوه بالصفة الثابتة الدائمة إيغالا بهجوه ، فهو يقول في قصيدته (هاشم الوتري)[680] هاجيا المحتلين البريطانيين وعملائهم من رجال السلطة :

(التميسيونَ) الذينَ تناهبوا   هذي البلادَ حبائباً وأقاربا
والمغدقونَ على (البياضِ) نعيمَهم   والخالعونَ على (السوادِ) زرائبا
والحاضنونَ الخائنينَ بلادَهم   حضنَ الطيورِ الرائماتِ زواغبا

إن الشاعر في هذا المقطع وبجمله الإسمية يحيل المتلقي إلى دلالة نهب المستعمر خيرات البلد وكذلك انغماس الساسة في الخيانة ، وهي عند الشاعر دلالة الثبوت لا التحول وهذا ما أراده عندما استعمل الجمل الإسمية وأغناها أيضا بأسماء الفاعلين (الخاضعون) و(الخالعون) و(المغدقون) و(الخائنين) وقد أوردها بالجمع المذكر السالم ، واشتق من اسم الذات (نهر التايمز) جمعاً ونسب إليه هؤلاء (التيمسيون) وقد أعمل هذه الأسماء مستثمرا تناظرها الموسيقي ودلالة التعريف فيها فهو مشخص عارف بمهجويه وقد أفاد الشاعر أيضا من التقابل الإيقاعي في البيت الواحد مثلما في البيت الثاني ، فضلا عن استعماله الطباق بين الجار والمجرور (على البياض) متعلق (المغدقون) والجار والمجرور (على السواد) متعلق (الخالعون) ، لينصهر كل هذا في بوتقة التركيب الهجائي في هذا المقطع .

ويستمر الشاعر في القصيدة نفسها باستثمار الجمل الإسمية ودلالاتها في تراكيبه مستعينا أحيانا بالجمل الفعلية ودلالة الحركة والنمو فيها سواء أجاءت في تركيب واحد أم في تراكيب متعاقبة كما في قول الشاعر :

الشاربينَ دمَ الشبابِ لأنَّه   لو نالَ من دمِهم لكانَ الشاربا
والحاقدينَ على البلادِ لأنَّها   حقرتْهُمُ حقرَ السليبِ السالبا
...
بمملكينَ الأجنبي نفوسَهُم   ومصعَّدِينَ على الجموعِ مناكبا

([680]) الديوان : 311/3 .

أنـــا حـــتفهُم أَلِـــجُ البيـــوتَ علـــيهِمُ   أغـــري الوليـــدَ بشـــتمِهِم والحاجِبـــا
أنـــــا ذا أمامَـــــكَ مـــــاثلاً متجبـــــراً   أطـــأُ الطغـــاةَ بشســـعِ نعلـــيَّ عازبـــا

لقد استطاع الشاعر في هذا المقطع تلوين لوحته تلوينا متناسقاً أغنى تراكيبه ، فجاء بأدوات بناء الجملة من أدوات وحروف ، وأورد الجملة إسمية وفعلية وأعمل أسماء الفاعلين ، ووظفها لبناء دلالة الهجاء ، ولم يسرف الشاعر فيها لوعيه الفني العالي الذي سيطر فيه على ألوان لوحته الشعرية الهجائية سيطرة استطاع نقل عاطفته وانفعالاته إلى المتلقي .

ويستمر حضور الجمل الإسمية في تراكيب الشاعر خاصة في هجائياته السياسية وكأنه يؤكد دلالة الثبوت والدوام ليخلعها على مهجويه المتشبثين بالسلطة والتسلط على مصائر الشعوب يقول الشاعر في قصيدته (يوم الشهيد)[681] :

فـــأولاءِ أعـــرابٌ ! فكـــلٌّ محـــرَّمٍ   جِـــــلٌّ لَهُـــم ! وأولـــئِكُم أعجـــــامُ
وأولاءِ (اغمـــــارٌ) فـــــلا رأسٌ ولا   كعـــــبٌ ولا خلـــــفٌ ولا إقـــــدامُ
وأولاءِ (أشـــــرارٌ) لأنَّ شـــــعارَهُم   بـــينَ الشـــعوبِ محبـــةٌ وســـلامُ

لقد جاء الشاعر بجمله الإسمية بأسلوب الاستفهام الإنكاري محذوف الأداة وأخرجه إلى معنى التعجب فالشاعر يعجب مستنكراً أن يوصف مستحلي الحرام من الساسة بأنهم أعراب ويوصف المطالبين بحقوقهم بأنهم أعجام ويعجب من اتهام رافعي شعار المحبة والسلام من الجماهير بأنهم أشرار والشاعر حين استعمل أساليب الاستفهام الإنكاري والحذف والتعجب فضلا عن التكرار الذي جاء ليربط بين تراكيبه الشعرية ، إنما أراد أن يطلق مشاعر الرفض والغضب ازاء النعرة السائدة آنذاك من توجيه الاتهامات بدون وجه حق .

وفي قصيدته (عبد الحميد كرامي)[682] ترد الجمل الإسمية في بعض أبياتها ، يقول فيها :

ومســـلطونَ علـــى الشـــعوبِ برغمِهـــا   الســـوطَ يـــدفعُ عـــنهُم والعـــارُ
وصـــحافةٌ صـــفرُ الضـــميرِ كأنَّهـــا   ســـلعٌ تبـــاعُ وتُشـــتَرى وتُعـــارُ
ومبصبصـــونَ كـــأنَّهم عـــن غيـــرِهِم   مســـخٌ ومِـــن آثامِـــهِ آثـــارُ
...
مِـن حاضـني حكـمَ الـدخيلِ وناصـري   ســـلطانَهُ إنْ عـــزَّهُ الأنصـــارُ
مِمَـن بـلا (لـورانس) صـدقَ ولائِهـم   للتـــاجِ لا دغـــلٌ ولا إســـرارُ

يضم هذا المقطع عديدا من الجمل الإسمية تداخلت مع بعضها جمل فعلية لتكون تراكيب هذا المقطع الذي استثمر فيه الشاعر عدة أساليب لإيصال خطابه الهجائي ، ففي الأبيات الثلاثة الأولى تتدفق التراكيب بالعطف للفت انتباه المتلقي ، واستعمل التشبيه في البيت الثاني والثالث بـ(كاف التشبيه) الداخلة على (أن) المؤكدة واستعمل أيضا الحذف في البيت الثاني عند حذف (سلع) من جملة الفعلين (تشترى) و(تباع) وكذلك حذف أداة التشبيه من جملة (ومن آثامه آثار) أما في البيت الرابع فإنه يستعمل أسلوب الشرط (إن عزه الأنصار) ويستعمل أسلوب النفي في البيت الخامس حيث يكرر أداة النفي (لا) ثلاث مرات جاءت الثالثة للتوكيد أيضا فضلا عن استعماله الطباق في (تشترى و تباع) والجناس بين (آثام وآثار) والشاعر (يستخدم الجناس استخداما موفقا وهو في شعره لم يعد حلية وزخرفة بل مركزا موسيقيا في البيت يقابله مركز موسيقي آخر يضيفان على البيت تنغيما داخليا خاصا)[683] .

إن كل هذه الأساليب جاءت منسجمة من دون ترهل في بناء تراكيبه ورسم صور مهجويه .

([681]) الديوان : 391/3 .
([682]) الديوان : 37/4 .
([683]) تطور الشعر العربي الحديث في العراق : 310 .

أما الجمل الفعلية في تراكيب الشاعر فكان ظهورها واضحا في قصائده المشهورة مستثمرا دلالة الحركة والنمو والاستمرار ، فضلاً عن (أن اختياره النمط الفعلي في شعره ولاسيما المطولات منه ، ينسجم مع نفسية الشاعر ذات المزاج العنيف التي تميل إلى التقلب والتغير والبعد عن الرتابة)[684] ووظّف كل هذا في تصوير مهجويه ، يقول الشاعر في قصيدته الساخرة (طرطرا)[685] :

إي طرطـــــرا ســـــيري علـــــى	نهجِهِـــــــــــمُ والأثـــــــــــرِ
واســــــتقبلي يومَــــــكِ مِـــــن	يــــــــــومِهِمُ واســــــــــتدبري
وأجمِعِـــــــي أمـــــــرَكِ مِـــــن	أمــــــــــرِهِمُ تســــــــــتكثِري
كـــــــوني بغاثـــــاً واســــلمي	بــــــالنفسِ ثُــــــمَّ استنسِـــــرِي
أن طوّلــــــــوا فطـــــــــولِي	أو قصــــــــــرُوا فقصــــــــرِي
أو أجرَمُـــــــوا فاعتـــــــذِرِي	أو أنـــــــــذَرُوا فبشِّــــــــري
أو خَبَطُــــــوا عَشــــواً فقــــو	لــــــــي أيُّ نَجــــــمٍ نَيِّــــــرِ

لقد تميزت الجمل الفعلية في تراكيب هذا المقطع بعدة مزيا ، منها أن معظم الأفعال جاءت بصيغة الأمر وقد استثمر الشاعر دلالة التحريض ودلالة الاستعلاء منها ليخاطب رجال السياسة ساخرا منهم ، وتميّز هذا التركيب (الهجائي بالطباق الذي ورد كثيرا ومنه (استقبلي- استدبري) و(بغاثا-استنسري) و(طوَّلُوا-قصري) و(أجرموا-اعتذري) و(أنذروا-بشري) فقد أفاد الشاعر من دلالة التضاد فيه والجرس الموسيقي أيضا ، وحفل هذا التركيب بأسلوب الشرط فضلا عند الجناس والعطف الذي ربط بين أجزاء التركيب وجعلها متناسقة ، فكل جزء يتعلق بالذي يليه في بنائية محكمة تستحوذ على المتلقي كما أن هذه التراكيب ودلالتها تثير في المتلقي الدهشة فيسعى للاستزادة منها لإطلاق المكبوت من همومه أزاء ما يجري من الطيش السياسي في كل وقت .

وفي قطعته (أنا الفداء)[686] تحضر الجمل الفعلية بما تضمنتها من أساليب يقول فيها :

غَـــذِيتْ بشـــتمِكَ ســـيدَ الشـــعراءِ	ديـــــدانُ أوبِئَــــةٍ بغيــــرِ غــــذاءِ
عَلَقــتْ زواحِفُهــا بمجــدِكَ مثلَمــا	طمَــــعَ العليــــقِ بدوحـــةٍ عليــــاءِ
وتهضَّـمَ الأرجـاسُ ذكـرَكَ مثلمـا	ضِــــيِمَ الأريــــجُ بجيفــــةٍ نتنــــاءِ
مِـن عـالمِ الجبـروتِ نُـزِّلَ عُنصُـرٌ	كـــان الغريـــبَ بعـــالمِ (الجبنـــاءِ)
كــانَ الغريــبَ بعــالمٍ مُــتَمَخِّضٍ	عَـــن خــــائنٍ ومخـــربٍ ومُرائـــي
وأنـــا الفـــداءُ لمخلـــصٍ مُتَعـــذِّبٍ	أمَّـــا الـــدعيَّ فَفِديَـــةٌ لِحِـــذَائي

بقدر ما بنى الشاعر تراكيب هذا المقطع في هجاء خصومه ، بناه أيضا في فخره بنفسه ، محتقرا كل مهجويه ، وقد جاءت الجمل الفعلية متداخلة مع بعض الجمل الإسمية في التركيب نفسه لتمتزج دلالة الحركة والاستمرار مع دلالة الثبوت والدوام في جو هجائي خالص واستعمل الشاعر التشبيه بـ(مثل) في البيتين الثاني والثالث والاستعارة في البيت الرابع عند رسم صورة مهجويه مقارنا إياها بصورته وهو الذي نُزِّل من عالم الجبروت فكان غريبا في عالم مهجويه الجبناء ووظف الشاعر التقديم في تركيب البيت الأول فقد قدم متعلقات الفاعل على الفاعل نفسه (ديدان أوبئة) فأخره من أن يقع بعد الفعل (غذيت) إلى أول عجز البيت مقدما عليه جملة (بشتمك سيد الشعراء) مستثمرا دلالة العناية والاهتمام بالمقدم وكذلك الإيقاع الموسيقي واستعمل أيضا أسلوب الشرط بـ(أما) في عجز البيت الأخير موظفا الحدة والتوكيد من دلالة هذا الأسلوب .

([684]) لغة الشعر عند الجواهري – د. علي ناصر غالب : 141 .
([685]) الديوان : 119/3 .
([686]) الديوان : 3/ 111

إن ما يمكن ملاحظته في هذه الأمثلة وغيرها تمكن الشاعر في بناء تراكيبه واستعماله الأساليب البلاغية بقدرة عالية تدل على درايته بأسرار اللغة وبلاغتها تلك الدراية التي وظفها الشاعر بوعيه الفني ليطلق هجاء يمتاز بالجدة والخلق الفني المعاصر وتظهر الجمل الفعلية أيضاً في تراكيب الشاعر ظهورا مميزا في قصيدته (أطبق دجى) و(تنويمة الجياع) اللتين تشتركان في أن أسلوب الأمر يشكل الظاهرة الأبرز فيهما ، يقول الشاعر في قصيدته (تنويمة الجياع)[687] :

نامي جياعَ الشعبِ نامي ... حرستْكِ آلِهَةُ الطعامِ
نامي فإنْ لَم تشبَعِي ... مِن يقظَةٍ فَمِنَ المنامِ
نامي على زبدِ الوعودِ ... يُدافُ في عسلِ الكلامِ
نامي تَزُرْكِ عَرائِسُ الـ ... أحلامِ في جُنحِ الظَّلامِ
تتنوّري قرصَ الرغيـ ... ـفِ كدورةِ البدرِ التمامِ
وتري زرائِبَكِ الفسا ... حِ مبلطاتٍ بالرُّخامِ

لقد أفضى هذا المقطع إلى السخرية والتهكم بالوضع السياسي القائم آنذاك ، فالنوم في خطاب الشاعر وقد جاء بصيغة الأمر ، إنما وظّفه الشاعر مستثمرا دلالته التحريضية ليزيد من إلحاحه على الجماهير لا لتنام ، بل متهكماً بالسلطة التي تريده أن ينام ، وتكرار لفظة (نامي) مثلت الإلحاح بعينه وصولا لمراده ، فالشاعر يُذكر أبناء شعبه بمحاسن النوم وقد كان ذكيا بتوظيفه أسلوب المفارقة حين ذكرهم بمحاسن نومهم الطويل ، وربما يمكننا أن نفهم من خطابه هذا رؤيتين ، الأولى أنه فعلا يريد لجياع شعبه النوم ، فالنوم أفضل من يقظتهم وهم مسلوبو الحقوق ، جياع يحلمون برغيف الخبز ، أما الرؤية الثانية فهي أن الشاعر حين أورد محاسن النوم كان يريد مثالب النوم ، محذرا أبناء شعبه من نومهم الطويل الذي تريده السلطة ، وكأنه يدعوهم بخطابه هذا إلى الاستيقاظ من غفلتهم والمطالبة بحقوقهم ، وقد نجح الشاعر باستعماله أسلوب الأمر المتضمن معنى الشرط ودلالته وكذلك أسلوب التشبيه والاستعارة والطباق في صياغة تراكيب هذه القصيدة .

وفي قصيدته (أطبق دجى)[688] ويستمر حضور الجمل الفعلية وأسلوب الأمر فيها في تراكيب الشاعر ، يقول فيها :

أطبقْ على متبلِدِ ... ينَ شَكا خمولَهُمُ الذبابُ
لم يعرِفُوا لونَ السماءِ ... لفرطِ ما انحنتِ الرِّقابُ
ولفرطِ ما دِيستْ رُؤُو ... سَهُمُ كما دِيسَ التُرابُ
أطبقْ على هَذِي المُسُو ... خِ تَعَافُ عِيشَتَها الكِلابُ
يَجري الصديدُ مِن الهوا ... نِ كأنَّهُ مِسكٌ مُلابُ

لقد وظف الشاعر في هذه القصيدة دلالة التحريض والاستعلاء في أسلوب الأمر ليطلق صوته بـ(أطبق) و(كأنه صوت شمشون وقد أمسك بيديه أعمة الهيكل ليهدمها عليه وعلى الآخرين)[689] .

لقد جاءت الجمل الفعلية ومعها الجمل الإسمية في بناء تراكيب الشاعر الذي استعمل التشبيه في البيت الثالث والبيت الأخير وكذلك أسلوب التقديم والتأخير في (شكا خمولهم الذباب) و(يراد بها على الجوع احتلاب) و(تعاف عيشتها الكلاب) مستثمرا دلالة الاهتمام والعناية بما قدمه فضلا عن النغم الموسيقي الناتج من هذا الأسلوب .

([687]) الديوان : 71/4 .
([688]) الديوان : 3 /407 .
([689]) تطور الشعر العربي الحديث في العراق : 295 .

يتبين من الأمثلة الشعرية السابقة أن الشاعر وظف الجمل الإسمية والجمل الفعلية توظيفا دقيقا في تراكيبه الهجائية فجاءت منسجمة أدّت ما أراده ، فاستثمر دلالة الثبوت والدوام من الجمل الإسمية ودلالة الحركة والتجدد من الأفعال المضارعة ودلالة التحقيق والتوكيد من الأفعال الماضية ودلالة التجاهل والتنكر من الأفعال المبنية للمجهول فضلا عن استثماره دلالة الأساليب البلاغية في بناء التراكيب .

لقد حفلت تراكيب الشاعر أيضا بظاهرة جلية وهي (التكرار) الذي يشغل مساحة واضحة ضمن التراكيب ونعتقد أن لهذه الظاهرة أسباباً جعلت الشاعر يستعمل هذا الأسلوب في قصائده ، من هذه الأسباب هو أن الشاعر كان يقصد أحيانا إنشاد شعره في المهرجانات أو المحافل الأدبية ، والتكرار أسلوب إنشادي يحفز ذهن المتلقي ويثير عاطفته ويشده إلى النص الشعري وكأن الشاعر يريد أن يدخل نفس المتلقي ليملي عليه ما يريد ، ففي قصيدته (أطبق دجى) و(تنويمة الجياع) مثلا تبدو ظاهرة التكرار ماثلة بوضوح حيث يكرر الشاعر في الأولى الفعل (أطبق) كثيرا وفي الثانية الفعل (نامي) بكثرة أيضا ، والشاعر يبدأ عند كل تكرار بتفريع معانيه الهجائية في بناء القصيدة ، فهو يقول في المقطع الأخير من قصيدته (أطبق دجى)[690] :

أطبـــقْ : فأنـــتَ لهـــذِهِ الـــ ـــــسوءَاتِ –عاريـــةً-حجـــابُ
أطبـــقْ : فأنـــتَ لهـــذِهِ الـــ ـــــأنيَابِ-مشـــخدَةً-قـــرابُ
أطبـــقْ : فأنـــتَ لهـــذِهِ الـــ ـــــآثامِ –شـــامخةً-شـــبابُ
أطبـــقْ : فأنـــتَ لصـــبغَةٍ منهـــا إذا نَصَـــلتْ خِضَـــابُ

يتضح أن الشاعر كرر (أطبق) في كل الأبيات مفرعا في كل تكرار معنى هجائيا وراسما صورة لمهجويه رجال السلطة فضلا عن تكراره للضمير (أنت) واسم الإشارة (هذه) وما يثير في هذا المقطع التقابل الإيقاعي والتناظر الموسيقي في الأبيات الثلاثة الأولى حيث قسّم أبياته إلى وحدات إيقاعية موحدة ، ليضيف هذا الإيقاع مع التكرار إلى سمة الإنشاد ذلك الحيز الموسيقي الذي يستحوذ على المتلقي ، والحال تنطبق أيضا على قصيدته (تنويمة الجياع) التي كرر فيها الفعل (نامي) أكثر من خمسين مرة مفرعا ما شاء في التكرار من صور مهجويه .

إن من مسوغات التكرار أيضا عند الشاعر أنه أفاد من التكرار في هجائياته من جهتين الأولى هي في البناء الطولي للنص الهجائي مستفيدا من الحيز الصوتي الذي يخلقه التكرار على طول النص والجهة الثانية هي في البناء العرضي للنص الهجائي مستثمرا تلك التفريعات والتفصيلات الناتجة من التكرار والتي أغنت مضامينه الهجائية وبينت ثراء الشاعر اللغوي والدلالي ، فمثلا وفي قصيدته (ما تشاؤون)[691] يكرر الشاعر تركيب (ماتشاؤون فاصنعوا) :

ماتشـــاؤونَ فاصـــنَعُوا فرصَـــةٌ لا تُضـــيَّعُ
ماتشـــاؤونَ فاصـــنَعُوا لَكُـــمُ الأرضُ أَجمَـــعُ
ماتشـــاؤونَ فاصـــنَعُوا الجمـــاهِيرُ هُطَّـــعُ
ماتشـــاؤونَ فاصـــنَعُوا كـــلُّ عـــاصٍ يُطـــوَّعُ
ماتشـــاؤونَ فاصـــنَعُوا تَســـتَعِزُوا وتَمنَّعُـــوا

لقد أفاد الشاعر من تكراره هذا على المستوى الصوتي في البناء الطولي وعلى المستوى الدلالي في البناء العرضي عندما أكثر من تفصيلات مهجوه فالشاعر يأمره –ساخرا- بأن يفعل ما يشاء فهو المتسلط الذي حانت فرصته بقمع الجماهير وسلب خيرات الوطن ودفع شبابه إلى السجون والمطامير .

---

(690) الديوان : 3/ 407 .
(691) الديوان : 4/ 125 .

ونعتقد أيضا أنَّ للتكرار عند الشاعر صلة وثيقة بنفسه المتمردة وكأن تكراره نابع من القلق العنيف المعتمل في نفسه فهو عندما يستعمل التكرار يوظف دلالة التوكيد والإصرار على معانيه الهجائية والساخرة ويوظفها لفضح مهجويه والإيغال في هجائهم ، ويظهر هذا واضحا في قصيدته (طرطرا)[692] حين يكرر (أي طرطرا) أكثر من مرة فيها :

أي طرطرا تطرطري — تقدّمي تأخّري
أي طرطرا أن كانَ شعبٌ جاعَ أو خلقٌ عُري
أي طرطرا تطرطري — وهلّلي وكَبِّري
أي طرطرا سيري على — نهجِهِمُ والأَثَرِ
أي طرطرا لا تُنكِرِي — ذَنباً ولا تَستَغفِرِي

لقد أفاد الشاعر من هذا التكرار في بناء القصيدة الطولي ليفرع صور مهجويه أكثر من مرة وكذلك أفاد من الحيز الإيقاعي فضلا عن إصراره النفسي في السخرية من خصومه وتوكيد معانيه الهجائية ، فبعد أن استفحل ظلم السلطة وقمعت الحريات وعطلت الحياة المدنية وفتحت أبواب السجون لمعارضيها ، سخر الشاعر من كل هذا وأصر على وصف ما يجري بـ(طرطرا) لا أكثر ليتعالى بسخريته على سلطة مهجويه ، ومثل هذا التكرار ورد أيضا في قصيدته (كم ببغداد الاعيب)[693] التي يهجو بها أصنافا من السياسيين ، هاجياً بها بغداد ساخرا منها بعد أن ضمّت هؤلاء والشاعر يكرر جملة (خزيت بغداد) ، يقول في القصيدة :

خَزِيَتْ بغدادُ مِن بلدٍ — كلُّ شيءٍ فِيهِ مَقلُوبُ
خَزِيَتْ بغدادُ تعرُكُهُا — مِن جياعٍ جوّعٌ نيبُ
خَزِيَتْ بغدادُ .. حنّكَها — في المذّلاتِ التجاريبُ
خَزِيَتْ بغدادُ .. ليس بها — مثلَ هذا الفَحلُ يعسُوبُ

وهذه القصيدة كسابقتها حيث أفاد الشاعر من التكرار ودلالته في هجاء خصومه أن مما يلحظ في تراكيب الشاعر أيضا أنه لا يكرر ألفاظاً أو جملا حسب إنما يكرر في بعض التراكيب الهجائية أساليب بعينها مثل تكراره لأسلوب الاستفهام في قصيدته (الإقطاع)[694] التي يقول فيها :

أهذي رعايا أمةٍ قَد تهيأتْ — لتستقبلَ الدُنيا بعزمِ المهاجِمِ
أهذا سوادٌ يُبتَغى لملمّةٍ — ونَحتَاجُهُ في المأزِقِ المُتَلاحِمِ
أهذي النفوسُ الخاوياتُ ضَراعةً — نُباهِي بِها الأقرانَ يومَ التّصادُمِ
أَمِن ساعدٍ رخوٍ هزيلٍ وكاهلٍ — عجوزٍ تُريدُ المُلكَ ثبتَ الدَّعائِمِ
...
أمبتَرداتٌ بالخمورِ تَثلّجَتْ — وبالماءِ يَغلِي بالعطورِ الفَواغِمِ
أَمِنْ كَدْحِ آلافٍ تفيضُ تَعاسَةً — يُمتَّعُ فردٌ بالنعيمِ المُلازِمِ

لقد وظف الشاعر تكرار أسلوب الاستفهام الإنكاري ليخرج به إلى التعجب واستطاع بدلالته رسم صورة مهجويه بدقة فالرعايا أثقلت بالظلم ورزحت تحت نير الإقطاعي فغدت خاوية هزيلة لا يرتجى منها الثورة لتغيير صورة الواقع الظالم آنذاك وكذلك تعجب الشاعر من أن وظيفة آلاف التعساء الكادحين هي إمتاع فرد واحد بالنعيم .

ويكرر الشاعر أيضا أسلوبا آخر هو أسلوب النداء مستثمرا دلالة الضيق والمعاناة من أفعال مهجويه وأيضا لزيادة التهكم بمثالبهم ونجد هذا قصائد عدة منها قصيدة (بور سعيد)[695] التي

---

[692] الديوان : 3 /119 .
[693] الديوان : 7 /235 .
[694] الديوان : 2 /355 .
[695] الديوان : 251/4 .

يهجو بها العدوان الثلاثي على مصر في عام 1956م ، فيكرر الشاعر (يا معدن الخسة) التي وصف بها مهجويه :

يــا معــدنَ الخســةِ مَــن تقاتــلُ	وفـــوقَ مَـــن تُســـاقِطَ القنابِـــلُ
يــا معــدنَ الخســةِ .. ثُــمَّ معبــدٌ	فِيـــهِ إِلـــهٌ تَدَّعِيـــهِ مَاثِـــلُ
يــا معــدنَ الخســةِ نَكِّــسْ عَلَمــاً	تَطَهَّـــرتْ مِـــن لمَسِـــهِ الأَنَامِـــلُ

أن تركيز الشاعر على أسلوب النداء وتكراره بـ(يا معدن الخسة) إنما يدل على ضيق الشاعر وبرمه من المعتدين على مدينة بور سعيد الذين ارتكبوا مجازر وحشية بحق المدنيين والشاعر باستعماله أسلوب النداء وتكراره إنما يريد مواجهة مهجويه وجها لوجه فاضحا كل جرائمهم .

ويرد مثل هذا التكرار في قصيدته (ثمر العار)[696] الساخرة حيث يكرر الشاعر أسلوب النداء في المقطع الأخير منها ساخرا وهاجيا رئيس الحكومة آنذاك ، يقول فيها :

أي جَرَبـا يــا (بهلــوانَ) الملعــبِ المجــربِ
يــا ضــحكةً جــادَ بهــا الــدهرُ علــى مُكتئــبِ
يــا فرجــةً لمعــدمينَ : فرجــةً عــن كثــبِ
يــا حكــةً مــن جــربٍ فــي دُمّــلٍ ملتهــبِ
يــا ثمــرَ العــارِ ويــا جريمــةَ التســيُّبِ
يــا (هــرةً) تريــدُ أن تحكِــي دهــاءَ ثعلَــبِ
يـــا أمـــةً مغلوبـــةً لأجـــذمٍ مُغلَّـــبِ
يـــا بومـــةً خائفـــةً مِـــن خـــائفٍ مُرتَقِـــبِ
مِـــن ســـارقٍ مُـــتَّهَمٍ وخـــائنٍ مُرتكـــبِ

لقد استطاع الشاعر إخراج أسلوب النداء من خطابيته إلى مستوى التشخيص الدقيق ، حيث عالج بتفريعات النداء كل صفات مهجوه وزاد من سخريته به حيث ألبسه أقذع الصفات مازجا الهجاء بالسخرية بدون أن تطغى خطابية النداء على نسيج هذا التركيب .

ومن المميزات التي تميز بها الشاعر أنه استطاع أن يطلق معنى هجائيا أو ساخرا أو متهكما بتراكيب لم تضم في بنائها أي لفظ له مدلول هجائي صريح وقد حفز الشاعر الدلالة الساخرة أو المتهكمة أن تنساب إلى ذهن المتلقي .

ونعتقد أنه حين صاغ هذا الأسلوب ، سار في مسلك خطر والسبب في ذلك أنه لم يأمن اللبس في بعض نصوصه مثلما حدث في قصيدته (رسالة إلى محمد علي كلاي) التي ظنها بعضهم أنها في مديح كلاي والشاعر أراد نقيض ذلك كما توحي دلالة النص المذكور أن قدرة الشاعر هي التي جعلته يصوغ أسلوبا مثل هذا في بعض هجائياته معتمدا على وعي المتلقي بالبحث في تراكيبه واستشعار الهجاء حتى وإن لم يأت بألفاظ هجائية واضحة ومثل هذا الأسلوب يمكن ملاحظته في تراكيب قصائد ، منها قصيدة (التعويذة العمرية)[697] التي يقول فيها :

عـــــوّذتُ وجهَـــــكَ بـــــالقمرْ	وبمـــــا أضـــــاءَ ومـــــا ازدَهـــــرْ
وبمـــــا تَفـــــتَّحَ مِـــــن (ضميـــــ	ـــــيمِ) النبـــــتِ أو نـــــورِ الزهـــــرْ
بـــــالآي مِـــــن (عـــــادٍ) و (نمـــــرو	دٍ) ومنزلـــــــــــةِ (البقـــــــــــرْ)
عوّذتُـــــهُ بـــــ(العفـــــص) رطـــــ	ـــــــــباً أو يبيســـــــــاً يُـــــــــدَّخرْ
مِـــــن شـــــرِّ حاسِـــــدِكَ الذَّميـــــ	ـــــيمِ علـــــى ســـــناكَ المزدَهـــــرْ
والشـــــــــانِئِكَ الأَغبِيـــــــــا	ءَ علـــــى حِجـــــاكَ المُســـــبَطَرْ
وعلـــــى اصـــــطِبارِكَ صَـــــبرَ (مـــــر	وانِ) الحـــــــرونِ إذا صَـــــــبرْ

([696]) الديوان : 313/3 .
([697]) الديوان : 4 /165 .

يلحظ من تراكيب هذا المقطع أنه لا وجود لألفاظ هجائية صريحة فيه إلا إن دلالة التهكم استطاعت الوصول إلى المتلقي فالشاعر بعد أن أوقع ألفاظ المدح في موضع الذم ، ظل يصعد من تهكمه من بيت إلى البيت الذي يليه ليختم مقطعه الهجائي بدلالة تاريخية مُكملاً لوحته التهكمية بتصوير صبر مهجوه كصبر (مروان الحمار) بعد أن حذف الاسم (الحمار) وألصق به الصفة (الحرون) .

ويلحظ هذا الأسلوب في مقطع في قصيدته (المقصورة)[698] ، يسخر فيه من بعض رجال الدين امتدادا لهجائه التاريخي في العشرينيات من القرن الماضي ، يقول في هذا المقطع :

وهـذا بعمَّتِـهِ سـاخراً   مـن (الجـنِّ) يرفَعُهَـا للعُلـى
تجـيءُ المطـامعُ منقـادةً   إليـهِ إذا شـاءَ أو لـم يشـا
وليتـكَ تحسِـبُ أزيـاءَهُم   فتجمـعُ منهـا زهـورَ الرُبـى
فتلـكَ اللفـائفُ كـالأقحوانِ   بهـا العِلـمُ يـنفحُ طيـبَ الشـذا
تطـقُّ المسـابِحُ مِـن حـولِهِم   لـتعلنَ أنَّ ملاكـاً أتـى

يبدأ الشاعر سخريته من البيت الأول حين يصور مهجوه وهو يرفع عمته ساخرا من الجن والمطامع تأتيه خاضعةً إذا رغب بها أو لم يرغب ، ثم ينتقل الشاعر لثياب مهجويه الملونة كزهور الربى وأيضا لعمائمهم التي ينفح منها العلم كالطيب ويصل الشاعر إلى قمة سخريته في البيت الأخير الذي يبدأه بالفعل (تطق) وقد اختاره بدقة ليعبر عن سخريته فتشكيل حروف الفعل وحيزه الصوتي وإسناده إلى (المسابح) وهو جمع مسبحة ، كلها تشير إلى بداية ساخرة ، إن الشاعر حين استعمل (تطق المسابح) أي أنها تصدر صوتا نتيجة ارتطام حباتها بعضا ببعض ، أخرج مهجوه (رجل الدين) من دائرة الزهاد والورعين الذين يستعملون (مسابح) لغرض التسبيح والتعقيب بعد الصلوات والتي تكون عادة ذات حبات صغيرة لا تصدر صوتا عند التسبيح بها فالهدف منها العدّ وضبط الحساب لا غير ، أما مهجووه فأنهم يستعملون مسابح أخرى تصدر صوت (الطق) هذا الذي يعلن قدوم الملائكة عند المُسبِّح ، وهنا بلغ الشاعر أوج سخريته وتهكمه بمهجوه ، فأي مسبحة هذه التي يعلن صوت ارتطام حباتها مجيء الملائكة ، والمقطع واضح مثلما أشرنا لا يضم أي ألفاظ هجائية صريحة فيه .

ويرد هذا الأسلوب أيضا في قصيدة الشاعر (رسالة إلى محمد علي كلاي)[699] التي تهكم بها من ضياع المقاييس الحقيقية في المجتمع في لجّة الهوس بأمور لم تغن الحضارة الإنسانية بشيء ، يقول فيها :

يـا سـيدَ (اللكمـاتِ) شـامخةً   تهـزا بمنسـوبٍ ومحسـوبِ
ومربـبَ الضـرباتِ مـا مسـحتْ   يومـاً علـى أكتـافِ مربـوبِ
مجّـدْ ذراعَـكَ إنَّهـا هِبَـةٌ   أغنتْـكَ عـن أَدَبٍ وتأديـبِ
محبوكَـةُ (الأليـافِ) فـي نمـطٍ   عجـبٍ ، مُعنّـى فيـهِ مَطلُـوبِ
للهِ نَسـجُكَ .. أيُّ ذي عصـبٍ   مـن عـالِمِ القـدراتِ مجلـوبِ
مـا كـانَ إلا أن مـددتَ بِـهِ   سـبباً لمجـدٍ جـدِّ مكـذوبِ
يفـدي عروقـكَ كـلُّ مـا حَمَلـتْ   أعـراقُ داودٍ ويعقـوبِ

إن الشاعر في هذا المقطع يتهكم بقناعات الناس وهوسهم برياضة الملاكمة ، وما ظاهرة كلاي إلا شرارة أطلقت المكبوت التهكمي في نفسه إلى هذا النص والشاعر أوقع ألفاظ المدح في موضع الذم متهكما فهو يذكر صفات تبدو في ظاهرها مدحا ولكنها نقيض ذلك فـ(يا سيد اللكمات) و(مربب الضربات) و(مجدّ ذراعك) و(لله نسجك) وغيرها ألفاظ لها دلالة تهكمية وإن ظن بعضهم عكس ذلك وهذا ما أثار الشاعر وتعجب ممن يقرأ الشعر ويسيء فهمه إلى هذا الحد .

([698]) الديوان : 201/3 .
([699]) الديوان : 7/ 19 .

ويتضح التهكم جليا في البيت الأخير ، فمن هذا الذي تفدي عروقه كل دماء أبناء داود ويعقوب ؟ - بحسب وجهة نظر الشاعر – إذا كان هذا مدحا ولم يكن تهكما كما نظر إليه بعضهم .

ومما يدل على التهكم خاصة في هذا البيت أن الشاعر أوقف شعره ممجدا بالثوار والعظماء والمفكرين والقادة والشهداء وأقرانهم ولم يخاطب كلاي أو نظائره يوما من الأيام .

لقد استطاع الشاعر بفضل وعيه الإبداعي ومهارته الشعرية أن يوصل سخريته أو تهكمه أو هجاءه إلى متلقيه بتراكيب لم تتدخل في بنائها ألفاظ هجائية صريحة وعلى الرغم من وعورة هذا الأسلوب فالشاعر تمكن من سلوكه والنجاة من اللبس الذي توقعه بعض النصوص في ذهن المتلقي .

المبحث الرابع
الصورة

تعد الصورة مزية نوعية أمتاز بها الشعر من غيره من فنون القول وهي جوهر الفن الشعري وقد حظيت باهتمام الباحثين من جانبين الأول لأنها أنواع بلاغية وهي بمثابة انتقال أو تجوز في الدلالة لعلاقة مشابهة كما يحدث في التشبيه والاستعارة بأنواعها أو لعلاقة تناسب متعددة الأركان كما يحدث في الكناية أو أضرب المجاز المرسل ، أما الجانب الثاني فهو يعالج طبيعة الصورة باعتبارها تقديما حسيا للمعنى [700] .

([700]) ظ : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب – جابر عصفور : 10 وما بعدها .

وقد عرّفها الدكتور عناد غزوان بعد أن تقرّى ما كتب عن الصورة في التراث العربي وما كُتِب عنها في الأدب الغربي ، فمصطلح الصورة عنده (يعني التأثير الذي يخلقه في نفوسنا التفاعل الفني بين الفكرة والرؤية الحسية عن طريق جودة الصوغ والسبك بلغة شعرية انفعالية صادقة بعيدة عن التجريد المستغلق والخطابية المباشرة)[701] .

ولسنا في هذا المبحث نتجه للتنظير حول ما يتعلق بتعريف الصورة ، فهذه قد أشبعت درساً [702] ، ونعتقد أن الباحثين سلسلة متوالية يكمل بعضها بعضاً ؛ لذلك سيُعنى المبحث بمتابعة مصادر الصورة عند الجواهري وما أنتجته تقنيات البناء الهجائي من صور رسمها الشاعر لمهجويه بحسب رؤيته .

تنوعت مصادر الصورة الهجائية عند الشاعر شأنه في ذلك شأن أي شاعر ، ولكنه تميّز من بعض الشعراء أنّه لم يوظّف الصورة التقليدية الجاهزة ، بل اعتنى بصوره وأفاد من مصادره باستيحاء دلالتها وتوظيفها بإنجاز معاصر في رسم لوحته الهجائية ، ومن مصادر الصورة عنده :

1- المصدر الديني :

تعد آيات القرآن بطاقاتها البلاغية المعجزة ، وبدلالة صورها النافذة في النفوس ، من مصادر الصورة عند الشاعر الذي أفاد منها في بعض هجائياته ، ومن أمثلة ذلك ما ورد في قصيدته (المقصورة)[703] :

يقولــون إنَّ يــداً فــي الغيــوبِ ... تُــديرُ علــى الأرضِ حُكــمَ السـما
ولمّـــا يَـــزلْ مَثَــلٌ ســـائرٌ ... علــى النــاسِ يجــري : بأيــدي سـبا
وتحريـــقُ (لـــوطٍ) بـــذنبٍ أتـــى ... وأخـــذُ (ثمـــودٍ) بســـقبٍ رغـــا
فمـــا بـــالُ كـــفِّ القضـــا لا تـــدور ... علـــى بلـــدٍ ظـــلَّ حتـــى اختـــزى
وأضـــحى (ثمـــودٌ) و(لـــوطٌ) بـــه ... ومـــن لهمـــا فـــي الشـــرورِ انتمـــى
ومـــن عـــاث فـــي أمـــمِ المشـــرقين ... وجـــارَ علـــى أهلهـــا واحتمـــى
حيـــين بـــين ولاةِ الأمـــورِ ... فـــي بلـــدٍ ضـــاعَ فيـــه الحيـــا

لقد وظّف الشاعر ما ورد من ألفاظ في بعض آيات القرآن الكريم ، مثل (الغيوب) و(سبأ) و(لوط) و(ثمود) ، واستعار قصص بعض الأنبياء وما جرى من إنزال العقاب على قومهم المكذبين لهم ، ليرسم لوحته الهجائية ويصوّر مهجويه مستثمراً أسلوب التعجب ، وكأنّ الشاعر يعجب عارفاً لا جاهلاً من إحراق قوم لوط لذنبٍ اقترفوه ، ودك ثمود لأجل ناقة صالح وفصيلها ، بينما يبقى حيّاً من عاث فساد في العراق وجار على أهله وارتكب أشنع مما ارتكب قوم لوط وقوم صالح ، وأحسب أنّه توظيفٌ أمثل للمصدر الديني في إنجاز صور الشاعر الهجائية .

وكذلك ما جاء في قصيدته (أيها الوحش .. أيها الاستعمار)[704] التي هجا فيها أمريكا بعد تدخلها العسكري في كوريا في عام 1951م ، وهو يصف أمريكا بالوحش ، يقول فيها :

ميّـــزِ العِـــرقَ وفَاضِـــلْ بالـــدّمِ
وتصـــاعدْ طبقـــاً عـــن طبـــقِ
وامـــــنح الســـــادةَ رقَّ الخـــــدمِ
واعـــطِ للصـــبحِ زمـــامَ الغســـقِ

([701]) مجلة أقلام – ع 11 ، 12 /1987 ، الصورة في القصيدة العربية الحديثة – د. عناد غزوان .

([702]) ظ : على سبيل المثال : الصورة الفنية في الأدب العربي – د. فايز الداية ، بناء الصورة الفنية في البيان العربي – د. كامل حسن البصير ، تطور الصورة الفنية في الشعر العبي الحديث – د. نعيم اليافي ، الصورة الفنية معيارا نقديا – د. عبد الإله الصائغ ، فضلاً عن المصدرين السابقين .

([703]) الديوان :201/3 .

([704]) الديوان : 53/4 .

استعمل الشاعر أسلوب الأمر في رسم صورة مهجوه مستثمراً المفارقة في إنجاز لوحته ، فهو حين يأمر مهجوه بـ(التميز) و(المفاضلة) و(التصاعد) وغيرها ، إنما أراد فضح أسلوب مهجوه (أمريكا) المنحرف في التعامل مع الشعوب ، وقد وظّف جملة قرآنية (طبقاً عن طبق) وسبقها بالفعل (تصاعد) حاذفاً فعلها الأصلي (لتركبُنَّ) لتنسجم مع ما يريده من دلالتها في سياق الهجاء .

وأيضاً ما جاء في قصيدته (في مؤتمر المحامين)[705] :

إلى كم تُداري شيوخُ العراقِ	وأقطابُ محوره الدائرِ
عُجُولاً تُربّى لمستعمرٍ	ويُلعَنُ في عجلِهِ السامري

وظّف الشاعر أسلوب الاستفهام الإنكاري وأخرجه إلى التعجب ، وهذا من تقنياته في الهجاء ، لرسم صورة مهجويه ، واستدعى في لوحته هذه دلالة قصة السامري وعجله واللعن الذي حلّ به جزاء ما اقترف ،وكأنّ الشاعر يعجب أن يلعن السامري لعجل واحد أوهمَ به الناس وحرفهم عن جادة الحق ، على حين لا تُلعن عجولٌ كثيرة أكلت الأخضر واليابس من خير العراق لتسمن للمستعمر في نهاية أمرها .

وكذلك ما ورد في قصيدته (خلفت غاشية الخنوع)[706] ، التي يقول فيها :

عوّذتُ جُلّقَ بالضحايا جمّةً	من كيدِ همّازٍ بها مشّاءِ
من سائرين القهقرى لم يعرفوا	بين الهجاتِ الستِ غيرَ وراءِ

استدعى الشاعر ألفاظاً قرآنيةً رسمت صوراً لصفات مذمومة (همّاز) و(مشّاء) وعد الله سبحانه وتعالى أصحابها بالويل ، والشاعر أفاد من دلالات هذه الصفات في رسم صورة مهجويه ، وهو لا يوظّف الصفات توظيفاً كاملاً ، بل استنفر منها إيحاءاتها النافذة في ذهن المتلقي الذي يدرك معاني هذه الصفات ، ليسهل عليه تصوير مهجويه .

لم يقتصر الشاعر على المصدر الديني الإسلامي في رسم صور مهجويه ، بل أفاد من الديانة المسيحية وتراثها في ذلك ، فأورد بعض الألفاظ مستفيداً من دلالاتها بحسب مقتضى حال مهجوه ، ومن ذلك ما ورد في قصيدته (الجزائر)[707] :

لكِ الويلُ فاجرةً علقتْ	(صليبَ المسيحِ) على المخدعِ
تهدِّمُ (بستيلَ) في موضعٍ	وتبني (بساتيلَ) في موضعِ

أفاد الشاعر من (صليب المسيح) المعروف بالقداسة عند المسيحين بدلالته الدينية ، ليرسم صورة مهجوه (فرنسا المسيحية) ، فصورها فاجرة تمارس الرذيلة ، وتضع على مخدعها (صليب المسيح) والشاعر ينال من سياسة فرنسا وشعارتها الدينية ، وتوظيفها للرموز المقدسة في تسويق همجيتها واحتلالها البلدان وسلبها خيرات الشعوب ، وقد نجح الشاعر في رسم صورة مقذعة وموجعة أيضاً لفرنسا .

ومن ذلك أيضاً ما جاء في قصيدته (تحية إلى رونتري)[708] التي هجا بها المبعوث الأمريكي للعراق في عام 1958 ، يقول فيها :

يا رسولَ الشرِّ والدَّنَسِ	وغرابِ البينِ في الغَلَسِ
يا ابنَ أحلافٍ قَدِ ارتَكَستْ	في الدُّنايا شرُ مرتَكِسِ
يا ابن بنت اللؤم قد سرقت	في الليالي لحية القسس

---

[705] الديوان : 89/4 .
[706] الديوان : 215/4 .
[707] الديوان : 233/4 .
[708] الديوان : 321/4 .

وظّف الشاعر (لحية القسس) رمزاً للكنسية المسيحية ، ليكون أحد أجزاء صورة مهجوه (المسيحي الأمريكي) ، وقد أوغل في هجائه حين صوّر أمّ مهجوه (أمريكا) لصاً سرق في الليالي الكنيسة دلالة ذوبان الكنيسة المسيحية في السياسة الأمريكية .

2- المصدر التاريخي :

أفاد الشاعر من دلالة بعض الحوادث وأسماء الأعلام وإيحاءاتها في تصوير مهجويه ، ومن أمثلة ذلك ما ورد في قصيدته (المقصورة)[709] :

إذا مـــا تصـــفحتَ أصـــنامَهُ	وهـــزأة ألقابِهــا والكنـــى
أراكَ – وإن أنكـــرَ العالمــان-	بمزمـــارِ داودَ ، بومـــاً شـــدا
وإنّ غرابـــاً شـــأى (معبـــداً)	وإن حمـــاراً (غريضـــاً) حَكـــى

استعار الشاعر دلالة (مزمار داود) التاريخية وأسماء المغنين الأمويين (معبد) و(غريض) في إنجاز صور مهجويه الذين استغلوا انقلاب المفاهيم الحقيقية في المجتمع ، فظنوا بأنفسهم الظنون ، فأحدهم (بوم) شدا (بمزمار داود) والآخر غراب يعتقد أنّه سبق (معبد) المغني ، والآخر حمار يحاكي (صوت غريض) ، والشاعر استثمر المفارقة في إيجاع مهجويه .

وكذلك ما ورد في بيتين له هجا بها مصر :

مـا انفـك يـا مصـرُ والإذلالُ تعويـدُ	يســـومكِ الخســـفُ كـــافورٌ وأخشـــيدُ
مقالـــةٌ كَبُـــرَتْ الحـــبُّ شـــافِعُها	حـبُّ المسـودين لـو شـاؤوا لمـا سِـيدوا [710]

استدعى الشاعر من الذاكرة التاريخية حكم الأخشيدين وكافور لمصر ، ليرسم بهما صورة معاصرة لمصر التي سامها كافور الهوان ، فأحبَّ أهلها أن يكونوا مسودين لا سادةً ، ويبدوا أن الشاعر كان في ضيقٍ شديد وانفعال نفسي عبّر بهما عن موقفه تجاه مصر ، وقد تنبّه الدكتور طه حسين لهذه البداية الموجعة ، فترجى الجواهري أن يترك إكمال القصيدة .

وأيضاً أفاد من المصدر التاريخي في قصيدته (التعويذة العمرية)[711] :

عوّذتُـــــهُ بــــ(العفـــص) رطـــــ	ـــــباً أو يبيســـــــاً يُـــــدَّخرْ
مِــــن شـــرِّ حاسِـــدِكَ الذَّميـــــ	ـــيمِ علـــى ســـناكَ المزدَهـــرْ
وعلـــى اصـــطِبارِكَ صَـــبرَ (مـــر	وانِ) الحـــــرونِ إذا صَـــــبرْ

وظّف الشاعر اسم (مروان الحمار) آخر حكام بني أمية وماله من دلالة تاريخية في رسم صورة مهجوه (العمري) رئيس وزراء العراق آنذاك ، وقد استعار الشاعر صورة (الحرون) من (مروان الحمار) ليلصقها في (العمري) موغلاً في هجائه حين أخرجه بهذه الصورة .

3- الموروث الشعري :

إن ثقافة الجواهري الشعرية ليست محل نزاع لمعرفته بالأدب القديم معرفة عميقة استوعب بها دواوين الشعراء التي لازمته طويلاً ، لذلك كان الموروث الشعري من مصادر الشاعر في رسم صـــــور مهجويــــه ، ومـــن أمثلـــة ذلـــك مـــا جـــاء فـــي قصــــيدته (طرطرا)[712] ، التي يقول فيها :

أي طرطـــرا (يـــا لـــكِ مـــن	قُبـــــــرةٍ بمعمـــــــرِ)
(خـــلا لـــكِ الجـــوُّ) وقـــد	طـــابَ (فبيضـــي واصـــفري)
(ونقّـــري) مـــن بعـــدهِم	(مـــا شـــئتِ أن تنقـــري)

([709]) الديوان : 201/3 .

([710]) الديوان : 86/4 .

([711]) الديوان : 165/4 .

([712]) الديوان : 119/3 .

ضمّن الشاعر قصيدته بأرجوزة ابن عباس وقد تصرف بها وأرسلها تشبيهاً بليغاً مستدعياً دلالتها التاريخية في تصوير حكّام العراق .
وأيضاً ما جاء في قصيدته (وعد بلفور)[713] :

وتـــاريخ أريـــدَ لنـــا ارتجـــالاً   فـــآبَ كمـــا أريـــدَ إلـــى افتضـــاحِ
شـــحنّاً دفتيـــه بمغمضـــاتٍ   (كأحـداقِ المهـا مرضـى صـحاحِ)
وغلّفنـــا مظـــاهرَهُ حســـاناً   مزخرفـــة علـــى صُـــورٍ قِبـــاحِ

يشير مضمناً لوحته هذه قول المنازي [714] :

ضَـعيفُ الصّـبرِ عنـكَ وإنْ تقـاوى   وســـكرانُ الفـــؤادِ وإنْ تصـــاحى
بـذاكَ بنـو الهـوى سـكرى صـحاةً   كأحـداقِ المهـا مرضـى صـحاحا

وأيضاً ما ورد في قصيدته (المقصورة)[715] :

يـــرونَ السياســـةَ أنْ لا يُمـــسَّ   هـــذا وأنْ يُتقـــى شـــرُّ ذا
وهـــذا وذا فـــي صـــميمِ الـــبلادِ   سُـــلٌّ وفـــي العـــينِ منهـــا قـــذى

لقد وظف في صورة مهجويه هذه قول الخنساء [716] :

قَـذىً بِعَينِـكِ أم بِـالعَينِ عُـوّارُ   أم ذَرَّفَـت أم خَلَـت مِـن أهلِهـا الـدارُ

وكذلك ما جاء في القصيدة نفسها :

وأنـتَ إذا الخطـبُ ألقـى الجـران   وحـــطّ بكلكلـــه فـــارتمى
ألحـــتَ بشـــعرك للبائســـين   بـــداجي الخطـــوبِ بريـــقَ المنـــى

يشير هنا إلى قول امرئ القيس في معلقته :

فَقُلـتُ لَـهُ لَمّـا تَمَطّـى بِصُـلبِهِ   وَأَردَفَ أعجـازاً وَنـاءَ بِكَلكَـلِ [717]

وأيضاً ما ورد في قصيدته (عبد الحميد كرامي)[718] :

وبـدَتْ علـى تلـكَ الملايـين التـي   شَـرِتِ الحريـرَ لغيرهـا أطمـارُ
وأفـاقَ مخـدوعٌ ليسـمعَ هاتفـاً   (خـفَّ الهـوى وتقضّـتِ الأوطـارُ)

لقد ضمّن الشاعر هنا مطلع قصيدة أبي تمام :

لا أنـتِ أنـتِ وَلا الـدِيارُ دِيـارُ   خَـفَّ الهَـوى وَتَوَلَّـتِ الأوطـارُ [719]

وكذلك ما جاء في القصيدة نفسها :

الآن نحـنُ إذا اشـتكينا غاصِـباً   قـالوا : ألاءِ بنـوكُمُ الأخيـارُ
(ممّـن حَمَلْـنَ بهـم وهـنّ عواقـدٌ   حُبـك النطـاقِ) حرائـرٌ أطهـارُ

لقد ضمّن الشاعر قول أبي كثير الهذلي مستنفراً دلالته الموجعة في رسم صورة مهجويه ، يقول أبو كبير الهذلي :

مِمّـا حَمَلْـنَ بِـهِ وَهُـنَّ عَواقِـدٌ   حُبُـكَ الثِيـابِ فَشَـبَّ غَيـرَ مُثَقَّـلِ [720]

4- الأمثال :

---

[713] الديوان : 129/3 .
[714] ثمرات الأوراق في المحاضرات : 47 .
[715] الديوان : 201/3 .
[716] ديوان الخنساء : 387 .
[717] ديوان امرئ القيس : 42 .
[718] الديوان : 37/4 .
[719] ديوان أبي تمام : 128 .
[720] ديوان الهذليين : القسم الثاني : 128 .

أفاد الشاعر من الأمثال العربية القديمة ودلالاتها ، فبثّ إيحاءاتها في لوحته الهجائية ، ووظّفها لرسم صور مهجويه ، ومن أمثلة ذلك ما جاء في قصيدته (طرطرا)[721] :

كوني على شاكلةِ الوزيرِ بادي الخطرِ
إي طرطرا كوني على تاريخكِ المُحتَقَرِ
أحرصُ من صاحبةِ النحيين أنْ تذكّري

استعار الشاعر الدلالة المقذعة للمثل العربي (أشغل من ذات النحيين)[722] في رسم صورة مهجوه .

وكذلك ما ورد في قصيدته (المقصورة)[723] :

يبصُّ لذي منصبٍ يُرتجى ويخدمُ ذا صولةٍ تختشى
يرى أنّه حين يُطري الفسيلَ جُذيلاً هجا وعُذيقاً رمى

أفاد الشاعر هنا من المثل العربي (أنا جُذيلها المحكك وعُذيقها المرجّب)[724] .

وأيضاً ما جاء في قصيدته (يا ابن الفراتين)[725] :

مشعشعاتٌ وليلٌ حولَها طَبَقٌ وطاهراتٌ ورجسٌ دونها نَضَدُ
يرتادُ في سوحها كونٌ بأجمعه ومالها سَبَدٌ فيه ولا لبدُ

وظّف الشاعر المثل العربي (مالهُ سبدٌ فيه ولا لبد)[726] أي لا شعر فيه ولا صوف ، منجزاً لوحته الهجائية .

وأيضا وظّف في القصيدة نفسها دلالة المثل العربي (هو أذلُّ من النَقَد)[727] والنقد نوع من الغنم قباح الوجوه ، قصار الأرجل ، مستثمراً هذه الدلالة في هجاء موقف السلطة السياسية العراقية في التفنن في طرد الوطنيين ونفيهم الذين عاشوا مصير هذا الوطن ، وكأنّه يقصد نفسه حين اغترب مجبراً لا راغباً ، يقول في القصيدة :

على الحدودِ أضابيرٌ لمن صلحوا من ثائرينَ على ظلمٍ ومَن فسدوا
نُذادُ عن وطنٍ عشنا مصايرهُ كما تُذادُ عن (المزروعةِ) النقدُ

5- الطبيعة المتحركة :

تعدّ الطبيعة المتحركة من أكثر مصادر الصورة حضوراً في هجائيات الشاعر ، فهو يحسن التقاط ما تجود به عليه موهبته ممّا حوله من مكونات الطبيعة باختلاف تفاصيلها ، ثم يبدأ الشاعر بعد ذلك بإعادة إنجاز ما التقطه ضمن لوحاته الهجائية ، بفنية عالية وأحياناً مدهشة ، لبراعته بتطويع دلالة مخزونه المتراكم من تفاصيل الطبيعة ، ومن أمثلة ذلك ما ورد في قصيدته (يدي هذه رهنُ)[728] :

وما رفعَ الدستورُ حيفاً وإنّما أتونا بهِ للنهبِ ألطفَ سُلّمِ
ستارٌ بديعُ النسجِ جِيكَ ليختفي به الشعبُ مقتولاً تضرّجَ بالدمِ

([721]) الديوان : 119/3 .
([722]) مجمع الأمثال : 376/1 .
([723]) الديوان : 201/3 .
([724]) مجمع الأمثال : 31/1 .
([725]) الديوان : 347/5 .
([726]) مجمع الأمثال : 270/2 .
([727]) م.ن : 284/1 .
([728]) الديوان : 77/2 .

أفاد الشاعر من صورة السلّم الذي يستعمله اللصوص أداة في سطوهم ، فاستعارها للدستور الذي ما رفع حيفاً عن أبناء الشعب ، وكذلك استعار صورة الستار البديع النسيج ، ليصور بها الدستور الذي أخفى تحت نسجه شعباً مقتولاً من شدةِ الظلم والحيف .

وكذلك ما ورد في قصيدته (المحرّقة)[729] التي أفاد الشاعر من صفات منحرفة تفشت في المجتمع العراقي ، مثل الغرور والحقد والتعجرف ، فوقف إزاءها مشخصاً لها ، وراسماً صور أصحابها ، ملتفتاً لكل تفاصيل صورته الحسيّة والذهنية ، يقول في القصيدة :

وهذا الذي إحدى يديهِ بجيبه	وأخراهما تلهو بشاربهِ كبرا
ولو فتشوا منهُ السالبينَ شاهدوا	خلالهما العاهاتُ محشورةً حشرا
وهذا الذي رغم النعيم وشرخهِ	يُرى حاملاً وجهاً من الحقدِ مُصفرّا
وهذا الذي إنْ أعجب الناسَ قولُهُ	مشى ليريهم أنّهُ فاتحٌ مصرا
وهذا الذي قد فخّمتْهُ شهادةٌ	خلاصَتُها أنّ الفتى قارئٌ سطرا

وأيضا ما جاء في قصيدته (الحزبان المتآخيان)[730] :

زخاريفُ قولٍ تعتَليهَا رَكَاكَةٌ	ويبدُو عليهنَّ الخَنا والتبذلُ
إذا مسَّها القولُ الصحيحُ تطايحتْ	كما مرَّ يمشي في السنابلِ منجلُ
وألعابُ صبيانٍ تمرُّ بمسرحٍ	يقومُ عليها كلُّ يومٍ ممثلُ

أفاد الشاعر من الطبيعة المتحركة ، مصدراً لصوره الهجائية ، فوظّف صور الحصاد (يمشي في السنابل منجل) و(ألعاب صبيان) و(المسرح) و(الممثل) وغيرها في إنجاز لوحته بعد أن سيق دلالاتها هجائياً بحسب ما أراده الشاعر منها .

وأيضاً ما ورد في قصيدته (المقصورة)[731] :

ومنتحلين سماتِ الأديبِ	يظنّونها جُبباً تُرتدى
كما جاوبتْ (بومةٌ) بومةً	تقارضُ ما بينها بالثّنا
ويرعونَ في هذرٍ يابسٍ	من القولِ رعيَ الجِمالِ الكَلا

استثمر الشاعر مما حوله من مصادر الطبيعة في إنجاز صوره الهجائية في هذا المقطع منها (جببا) و(بومة) و(هذر يابس) و(الجمال) و(الكلا) وغيرها .

وكذلك أفاد من صور (التكتل) و(التحزّب) و(أبرة البحار) و(والعاصفة) و(الطيور) وغيرها ليصور مهجوه متهكماً في قصيدته (ثمر العار)[732] :

أيْ جَرَبَا تَجرّبِي	تَكتّلِي تَحزّبِي
كَإبرَةِ البَحَّار فِي	عَاصِفَةٍ تَذبذُبِي
وكَالطُّيُورِ فِي السَمَا	ءِ حُرَّةً تَقَلَّبِي
أيْ جَرَبَا وِيحَكِ مَا	أصلَفَ وَجهَكِ الغَبِي
أَكُلُّ يومٍ تَطْلَعِي	نَ للوَرَى بِكُوكَبِ

واستعمل الشاعر الطبيعة مصدراً لصوره الهجائية في قصيدته (كما يستكلب الذيب)[733] ، التي هجا فيها بعضاً من الساسة وأذنابهم ، يقول فيها :

مَشَتْ إِليَّ بَعُوضَاتٌ تُلدِّغُنِي	وَهَلْ يَحِسُّ دَبِيبَ النّملِ يَعسُوبُ
ما أَغربَ الجِلفَ لَم يَعلَقْ بِهِ أَدَبٌ	وَعِندَهُ لِلكَرِيمِ الحُرِّ تَأدِيبُ
وَصَاحِبِ السُوأةِ النَكرَاءِ أَعوَزَهُ	كَي يَستُرَ النَاسَ ، ثَوبٌ عَنهُ مَسلُوبُ

---

(729) م.ن : 83/2 .
(730) م.ن : 95/2 .
(731) الديوان : 201/3 .
(732) م.ن: 313/3 .
(733) الديوان : 157/4 .

وأيضاً ما ورد في قصيدته (في مؤتمر المحامين)[734] التي استثمر فيها التشبيه بين ما التقطه من الطبيعة وبين ما في مهجوه ليرسم صورة هجائية له ، فأفاد من صورة (اللبن الخاثر) و(المرأة العاقر) لينجز صورة مهجوه (النفر الأوسط) الذي تخلى عن هموم شعبه ، يقول فيها :

ولَكِنْ عَلى نَفَرٍ أوسَطٍ	تَجمَّدَ كَاللّبَنِ الخَاثِرِ
قَعِيدٍ ويَكرَهُ سَعيَ الجُمُوعِ	إلى الخَيرِ كَالمرأةِ العَاقِرِ
فَلا هُوَ لِلشَعبِ في كُلِّهِ	وَلا هُوَ لِلجَانِبِ الآخَرِ

وأفاد أيضاً من صورة الغجرية وما أحاط بها من صفات منحرفة جعلت الناس ينفرون منها وينظرون إليها نظرة دونية تحفل بالاحتقار والازدراء ، أفاد من ذلك في رسم صورة مهجوه في قصيدته (عبدة الجبورية)[735] التي يقول فيها :

ويا غَجَريةً تُغني	بِكُنيَتِها عن اللقبِ
جُبُوريّتُها كانتْ	غطاء السبيِّ والجلبِ
وتلك خطيئةُ الساعي	لِمَجدٍ زائِفٍ كَذِبِ
فأنْ يَكُ للعُلى نَسَبٌ	فَنِعْمَ الحُسْنُ مِنْ سَبَبِ
وإنْ تَكُ نعمةٌ سَلَباً	فنعمتْ (عبدُ) من سَلَبِ

ونلحظ بعد هذه الأمثلة عن مصادر الصورة عند الشاعر ، إنّ مصادره كان منها الديني والتاريخي والموروث الشعري والأمثال وما جادت به الطبيعة المتحركة وما كان حوله ، و استثمرها الشاعر ، فجاءت منسجمة مع عصره وواقعه المعيش ، وأفاد من الأساليب البلاغية في إنجاز صوره التي جاءت متميزة معاصرة لأنها (تأتي من منطقة الوعي العام التام بمعنى أن المنطق يتحكم بالصورة ويحدد نطاقها قبل أن يسرقها الخيال كليّة وتقع في الغموض)[736] .

لقد عبّرت صور الشاعر عمّا اعتمل في نفسه من مشاعر عنيفة أزاء مهجويه فحاول الكشف عنها وتصويرها وإعطاءها علاقات فنية أسهمت في إنجاز لوحته الهجائية .

إنَّ صور الشاعر كثيرة كما ونوعا ، انطلقت من موهبته وخياله الواسع الواعي وأحاطته الفريدة باللغة مفردات وتراكيب واستعماله (كل أساليب البلاغة العربية : الخبر والإنشاء ، التشبيه ، المجاز ، والكناية ... الطباق والجناس والتكرار ومختلف طرائق الإيقاع)[737] .

وبتقري صور الشاعر التي انجزتها تقنيات البناء الهجائي وجدناها صيغت على عدة أنواع منها :

1-صورة الهدف :

ويظهر فيها المهجو هدفا ثبته الشاعر وسدد إليه سهام هجائه فانهالت الصفات الهجائية على هذا الهدف لتكوّن في النهاية صورة فيها كثير من التفاصيل المتنوعة أسهمت كلها في رسم ملامح صورة المهجو النهائية ويعد هذا النوع الأشيع في هجائيات الشاعر ، فظهرت في قصائد كثيرة منها قصيدته (يدي هذه رهن)[738] يقول فيها هاجيا الدستور ومَنْ سنّه :

وما رفع الدستور حيفا وإنما	أتونا به للنهب ألطف سلم
ستار بديع النسج حيك ليختفي	به الشعب مقتولا تضرج بالدم

---

(734)م.ن : 233/4 .
(735) ديوان الجواهري طبعة بيسان : 311/5 .
(736) تطور الشعر العربي الحديث في العراق : 320 .
(737) لغة الشعر الحديث في العراق : 355 .
(738) الديوان : 77/2 .

بــه وجــدت كــف المظــالم مكمنــا   تحـــــوم عليــــــه أنّــــــةُ المـــــتظلم
نلــوذ بــه مــن صــولة الظلــم كالــذي   يفــر مــن الرمضــاء بالنــار يحتمــي

لقد وضع الشاعر (الدستور) وكتابه في مرمى سهامه الهجائية وأوغل في رسم صوره ففي الصـورة الأولـى يظهـر (الدسـتور) سـلما اسـتعمله (كتّابـه) اللصـوص لنهـب خيـرات البلـد ومـن انزياحات هذه الصورة إن الشاعر صور خيرات بلده (العراق) عالية غير متدنية فكان لابد من وجود سلّم يكون الوسيلة الناجعة للنهب ، فكـان (الدسـتور) ضـالة السرّاق ، وفـي الصـورة الثانيـة يظهر (الدستور) ستارا يخفي تحت نسجه المتقن قتيلا وهو الشعب ، ووفر هذا (الدستور) في صورة أخرى ملاذا آمنا للقاتل الظالم وفي الوقت نفسه ظلت تحوم على (الدستور) أنّات المظلومين وفي الصورة الأخيرة من هذه اللوحـة الهجائيـة يستدعي الشـاعر صـورة تراثيـة لتكون ختاما فـي تكوين الملامح النهائية للوحته وهي صورة المستجير من الرمضاء بالنار .

أما في قصيدته (المحرّقة)[739] فتظهر أكثر من صورة لمهجويـه أو أكثـر من هدف صـوّب نحو هجاءه ، فقد قسّم الشاعر لوحته الهجائية على مجموعة أهداف لأنـه بصـدد هجـاء أصـناف من الناس تجمعهم صفات منحرفة يرفضها الشاعر بحكم تكوينه النفسي ، يقول فيها :

وهــذا الــذي إحــدى يديــهِ بجيبــه   وأخراهمـــا تلهـــو بشــــاربهِ كبــــرا
ولــو فتشــوا منــهُ الســالبينَ شــاهدوا   خلالهمــا العاهــاتُ محشــورةً حشــرا
وهــذا الــذي رغــم النعــيمِ وشــرخهِ   يُرى حـاملاً وجهـاً مـن الحقدِ مُصفرّا
وهـذا الـذي إنْ أعجـب النـاسَ قولُـهُ   مشــــى ليــــريهم أنّــــهُ فــــاتحٌ مصــــرا
وهـــذا الـــذي قـــد فخّمتْـــهُ شـــهادةٌ   خلاصَـــتُها أنّ الفتـــى قـــارئٌ ســـطرا

لقد استطاع الشاعر في هذا المقطع رسم صور حسية فيها تفاصيل كثيرة لمهجويـه ، ففـي البيت الأول والبيت الثاني يصور الشاعر مهجوه تصويرا دقيقا يعتمد علـى رصـد حركـات المهجـو المنبـأة عـن تعجرفـه ، أمـا فـي البيـت الثالـث اسـتدعى الشـاعر تركيبـا توصـيفيا لـه دلالـة تراثيـة واجتماعيـــة لتصـــوير مهجـــوه الآخـــر ذي الوجـــه المصـــفر مـــن شـــدة حقـــده الدفين ، أما في البيت الرابع فمهجو الشاعر قد أعجبه الكلام المنمق فأصـابه الغرور وخُيّـل لـه أنـه فاتح البلدان ، أما في البيت الخامس ينال الشاعر من مهجوه المتباهي بشهادة خلاصتها عند الشاعر أنها لا تساوي إلا سطرا واحدا وكأن الشاعر يستدعي البيت المشهور لأبي نواس :

فقـل لمـن يـدّعي فـي العلـم فلسـفة   حفظــت شــيئا وغابــت عنــك أشــياء

وتظهر صورة المهجو الهدف أيضا في قصيدة الشاعر (الحزبان المتآخيان)[740] التـي هجـا فيها بعض رجـال السياسـة فجعلهم الشـاعر هدفا وبـدأ بـإطلاق مفرداتـه وتراكيبـه الهجائيـة نحـوهم راسما أكثر من صورة في لوحته الهجائية ، يقول فيها :

زخــــاريفُ قــــولٍ تعتَلِيهَــــا رَكَاكَــــةٌ   ويبـــــدُو علـــــيهنَّ الخَنـــــا والتبـــــذلُ
إذا مسَّــها القــولُ الصــحيحُ تطايحــتْ   كمــا مــرَّ يمشــي فــي الســنابلِ منجــلُ
وألعـــــابُ صـــــبيانٍ تمـــــرُّ بمســـــرحٍ   يقـــومُ عليهـــا كـــلُّ يـــومٍ ممثـــلُ

لقد ثبت الشاعر مهجويه هدفا وأخذ يرميهم بصور هجائية متلاحقة لم تسمح لمهجويـه بالتخلص من هجوم الشاعر ، فهم زخاريف ركيكة لا تنتمي للقول الأصيل والفحش والابتذال بـادٍ عليها وهم أيضا سنابل تتطايح عندما يمر بها منجل القول الصحيح والشاعر يشير لنفسه بـ(المنجل) ويصور مهجويه في صورة ثالثة في هذه اللوحة ألعاب صبيان يحركها كل يوم ممثل وكأن الشاعر يعنـي مسـرح (العـرائس) الـذي يقـدم عروضـه فـي الشـوارع والسـاحات العامـة لتسـلية الصـبيان والمحرك الذي يتلاعب بها ويرسم لها أدوارها هو المستعمر (الممثل) .

([739]) الديوان : 83/2 .
([740])م.ن : 95/2 .

وفي قصيدته (شباب ضائع)[741] هجا الشاعر الشباب اللاهث وراء مظهره بعد أن أهمل قضايا بلده الوطنية والمهجو الهدف عند الشاعر هم هؤلاء النفر من الشباب ، يقول في أحد مقاطعها :

وكــلَّ أنيــق الثــوب شُــدَّ رِباطَــهُ	إلــى عنــقٍ يُعشــي العيــون لماعــا
يمـــوعُ إذا مـــسّ الهجيـــرُ رداءَهُ	كمــا انحــلَّ شــمعٌ بالصــلاء فماعــا
تــراهُ خلــيَّ البــال أن راح داهنــاً	وإن قــد ذكــا منــهُ الأريــجُ فضــاعا
ولـــيسَ عليـــهِ مـــا تكامـــلَ زيّـــهُ	إذا عَــرِيَ الخلــقُ الكثيــرُ وجاعــا

لقد وضع الشاعر مهجو نصب عينيه وبدأ بإطلاق هجائه على نقطة أخذت تنمو وتتسع شيئا فشيئا لتكتمل ملامح صورة المهجو في الأبيات الأربعة كلها التي كرسها الشاعر للنيل من مهجوه الأنيق ذي الرباط (ربطة العنق) اللماع الذي يعشي العيون لشدة لمعانه ومهجوه مائع إذا مسّه الحر ، منحلٌ بالحرارة كالشمع والشاعر يشير إلى ظاهرة الميوعة التي لا تتناسب أن تكون صفة للرجال ويظهر المهجو وهو لا يعبأ بشعبه إن جاع أو عري إذا ما تكامل ملبسه وزينته وعطره .

لقد أثقل الشاعر كاهل مهجوه بهذه الصور وزاد في هجائه بما صوّر من تفاصيل أغنت صورته الهجائية المثيرة للمتلقي والقاسية على المهجو في الوقت نفسه .

وفي قصيدته (يوم الشهيد)[742] هجا الشاعر رجال السلطة ورسم في كل بيت صورة لهم وقد شدّ صور بعضها ببعض بالعطف والإيقاع الموسيقي معا ، يقول فيها :

والممتلـــونَ كـــأنّهم كـــلُّ الـــدُنى	والفـــــارغونَ كـــــأنّهم أصـــــنامُ
والصـــادعونَ بمـــا يـــرى مســـتعمرٌ	فهُـــمُ متـــــى يـــــأمرهُمُ خـــــدّامُ
والمولعـــونَ بفـــاجرتٍ مطـــامعٍ	فلهُـــم قعـــودٌ عنـــدَها وقيـــامُ

لقد اتخذ الشاعر من مهجويه هدفا صوب إليه ما يشاء من الهجاء ، وقد أفاد من الطباق والتناظر الإيقاعي في تراكيبه ليثري لوحته الهجائية فنيا .

لقد تابع الشاعر مهجويه وانهال عليهم هجاءً من دون أن يترك لهم أي فرصة لتخلص منه ، فهـــم ممتلـــون يحســـبون أنفســـهم كـــل الـــدنى ، لكـــنهم فـــارغون كالأصـــنام الجوفاء ، وهم خدم المستعمر يصدعون لما يأمرهم به وهم مولعون بالفاجرات والمطامع التي لا ينفكون عنها قياما وقعودا وقد نجح الشاعر بتوظيفه صورة (القيام والقعود) الحركية ذات المصدر الديني حين صوّر علاقته مهجويه بفاجرات المطامع .

ويظهر هذا النوع من الصورة أيضا في قصيدته (غضبة)[743] التي هجا بها أحد كبار رجال السلطة والشاعر بدأ بتحديد هدفه ثم انهالت تفاصيل الصورة بالتتابع لتكوّن في نهاية المقطع صورة هجائية واضحة الملامح ، يقول فيها :

وزعـــيمُ قـــومٍ كـــالغرابِ بـــه	صـــغرٌ وفـــي خطواتِـــهِ كبـــرُ
يغتـــــرٌّ فيمـــــا لا يشـــــرِفُهُ	جهـــلُ المغفـــلِ كيـــف يغتـــرُّ
يغتـــرُّ أنْ ألقـــوا بمعدتِـــــهِ	عَفـــنَ الطعـــامِ فـــراحَ يجتـــرُّ
بـــادي الغبـــاء تكـــادُ تقـــرؤُه	بـــالظنِّ لا خَبـــرٌ ولا خُبْـــرُ
أضـــحى وزيـــرا فاغتـــدى رهقـــا	مثـــل الحمـــار يـــؤده الـــوزرُ
للهِ أنـــتَ مطيـــةٌ عَريـــتْ	منهـــا الشُـــوى وتأكّـــلَ الظهـــرُ

لقد ثبت الشاعر مهجوه هدفا وحشد عليه أكثر من صورة وكأنه يتسلى به ويستخف أيضا ، فمهجوه وإن كان زعيما فهو غراب مغرور والطريف أنّه يجهل كيف يغتر ، فهو غبي يغتر إن

([741]) الديوان : 319/2 .
([742]) الديوان : 267/3 .
([743]) الديوان : 305/3 .

ألقوا عفن الطعام بمعدته فراح يجتر كالحيوان ، والشاعر يشير هنا إلى أن مهجوه لا يختار طعامه إنما يطعم بما يلقى إليه من قبل أسياده الذين ألقوا لـه عفن الطعام ففرح بذلك وأخذ يجتره وهذه صورة موغلة في الهجاء ، وهو أيضا –وإن أصبح وزيرا- حمار أثقله الوزر فعريت أطرافه وتآكل ظهره من شدة ما يحمل فوقه .

لقد تنقل الشاعر في تفاصيل كثيرة من صورة مهجوه واستطاع ربط هذه التفاصيل بعناية ، فنمت تدريجيا وتطورت من بداية المقطع حتى وصلت في نهايته إلى إتمام الصورة الهجائية بكل ملامحها .

وحضرت صورة المهجو الهدف في قصيدته (عبد الحميد كرامي)[744] التي هجا بها أحد السياسيين العراقيين وقد بدأ الشاعر لوحته برسم صورة شمطاء عفا عليها الزمن وأفاد من انزياح هذه الصورة لإيصال صورة مهجوه إلى المتلقي ، يقول فيها :

أبصرتُ شمطاءً تتيهُ وفوقَها   تشكُو الضياعَ قلادةٌ وسوارُ
جسدٌ تعوّضَ بالحليِّ وجَرسِه   إذ غَاضَ منهُ شبابهُ الفوارُ
فذكرتُ كيفَ يُشدُّ من متغطرسٍ   واهي الضميرِ ضميرهُ المنهارُ

إن مهجو الشاعر في هذه الصورة يحاول شدَّ ضميره المنهار كما تحاول الشمطاء أن تستعيد ربيع جسدها الذي ولى ، وبتعويضه بالحلي والقلائد والأساور ، ولكن لا سبيل لكليهما في ذلك ، فالعطار لا يصلح ما أفسد الدهر ، ويظهر الشاعر وقد سيطر على هدفه المهجو فأنزله منزلة وضيعة حين صوّره بهذه الصورة .

ويتكرر ظهور المهجو هدفا لهجاء الشاعر في قصيدته (في مؤتمر المحامين)[745] وقد هجا في مقطع نفرا تخلى عن أبناء شعبه وادعى أنه يمثل (الوسطية) ، يقول فيها :

ولَكِنْ عَلى نَفَرٍ أوسَطٍ   تَجمَّدَ كَاللّبَنِ الخَاثِرِ
قَعِيدٍ ويَكرَهُ سَعيَ الجُمُوعِ   إلى الخَيرِ كَالمرأةِ العَاقِرِ
فَلا هُوَ لِلشَعبِ فِي كُلِّهِ   وَلا هُوَ لِلجَانِبِ الآخَرِ
وَلَكِن كَما شَغَلتْ نَفسَهَا   بِنَحيينِ أُختُ بَنِي عَامِرِ

لقد عُرِفَ عن الشاعر تمرده العنيف أزاء الحلول الباهتة فيما يتعلق بقضايا شعبه لذلك انطلق هجاؤه في هذا المقطع من هذا المعطى لصيب هدفه – المهجو – وقد صوّره باللبن الخاثر بعد آثر الجمود على الحركة فهو يكره السعي الى الخير كالمرأة العاقر التي يدخل في نفسها شيء من الحقد على أبناء غيرها ، ثم يستدعي الشاعر مثلا عربيا قديما وهو (أشغل من ذات النحيين) في استعارة مقذعة يصور بها حال النفر الأوسط .

لقد تفرعت تفاصيل كثيرة من نقطة النمو التي بدأ بها الشاعر لتلتحم معا فيما بعد في انجاز صوري هجائي نال الشاعر به من مهجويه .

وتظهر صورة المهجو الهدف في قصيدة (الجزائر)[746] التي هجا بها الشاعر السياسة الفرنسية في الجزائر المحتل يقول فيها :

لكِ الويلُ من رائمٍ أطمعتْ   دمَ الراضعينَ ولَم تشبعِ
وحاديةٍ أنزلتْ ركبَها   خداعاً على مذئبٍ مسبعِ
فيا عجباً من دُبى مُهلكٍ   على الزرعِ والضرعِ مُستَودعِ
ولصٍ يجوسُ خلالَ الديا   رِ في بزةِ الأفقهِ الأورعِ
ومستذئبٍ يستميلُ الرعاةِ   لتَلجأَ منهُ إلى مفزعِ
لكِ الويلُ فاجرةً علّقتْ   (صليبَ المسيحِ) على المخدعِ

---

[744] الديوان : 37/4 .
[745] م.ن : 89/4 .
[746] الديوان : 233/4 .

لقد استهدف الشاعر (فرنسا) بسهام هجائه المتتابع وبدأ لوحته برسم صورة بشعة لهدفه (فرنسا) ، حين تحولت صورة الأم الرؤوم الحانية على رضّعها المشفقة عليهم ، الى صورة أم تستطعم دم أبنائها الرضع والأنكى أنها لا تشبع من ذلك ، وهي أيضا الغادرة التي أنزلت من آمن بها على الذئاب والسباع ويعجب الشاعر في صورة أخرى أن تستأ من الحشرة الضارة المُهلكة (فرنسا) على الزرع والضرع وهي لص متستر كذباً بالحضارة والدين ، ويختم الشاعر لوحته بصورة مهجوه (فرنسا) التي دعى عليها بالويل ثانية مصورا إياها بالفاجرة (بائعة الهوى) التي علقت (صليب المسيح) فوق مخدعها لتمارس تحت هذا الصليب العهر والرذيلة وهي صورة لها تداعياتها المقذعة .

وتظهر صورة المهجو الهدف في قصيدته (أزح عن صدرك الزبدا)[747] التي هجا الشاعر في مقطع منها الدكتور مهدي المخزومي والشاعر عبد الوهاب البياتي وآخرين [748] يقول فيها :

وغـــــافينَ ابتنـــــوا طنبــــاً	ثــــووا فــــي ظلّـــهِ عَمَـــدا
رَضـــــوا بـــــالعلمِ مُرتَفقـــاً	وبـــــــــالآدابِ متَّســـــــــدَا
وجَـــابُوا عـــالمَ الفُصـــحى	ولمُّـــوا مِنـــهُ مَـــا شَـــردا
فَهُــــم إن عُميّـــتْ سَـــبلٌ	يــــرونَ اللاحِـــبَ النَجَـــدَا
وَهُـــم لا يبســـطونَ يـــداً	تُميــزُ الغـــيَّ والرشـــدا
وهُـــم يرثـــونَ مَـــن صَـــلَحوا	وهـــم يخشـــون مـــن فســـدا
يــــرون الحـــق مهتضـــماً	وقـــول الحـــق مضـــطهدا
و(أمَّ الضـــاد) قـــد هُتِكـــتْ	وربّ (الضـــاد) قـــد جُلِـــدا
ولا يعنـــون مـــا ســـلموا	بأيـــةِ طعنـــةٍ نُفـــدا
بهـــم عـــوزٌ الـــى مـــددٍ	وأنـــتَ تريـــدهم مَـــددا

تبدأ صورة مهجوي الشاعر بالنمو شيئا فشيئا ، بعد أن ثبتهم الشاعر هدفا يصيبه بهجائه كيف أراد ، فصور مهجويه غافين ثاوين في بيوت ابتنوها يتسدون الآداب ويتكأون بالمرفق على العلم وهم الجوّابون في عالم اللغة يلمّون ما شرد منه ويرون الواضح من الفصحى وهم يعتقدون أنهم المدافعون عن (الضاد) بما امتلكوا من علم عكفوا زمنا طويلا في سبيل تحصيله وقد استطاع الشاعر أن يمزج في لوحته هذه الصور الحسية والذهنية معا من دون أن تطغى صورة على أخرى ، ومن اللافت أن الشاعر لم يورد صورة هجائية واضحة ، بل ربما قد يفهم المدح من صوره لكن الشاعر يبدو حينما صوّر مهجويه العارفين باللغة وأسرارها بهذه الصور أراد تثبيتهم ليجهز عليهم كالصياد الذي تغافل عن فريسته ليصطادها في مقتل ، ومقتل هؤلاء عند الشاعر أنهم في عوز الى مدد وكأنه يقول ما قيمة العلم والتبحر به ونيل مراتبه العليا إن لم تدفعوا باطلا وتتخذوا موقفا صلبا في الحق وأهله .

وكذلك ظهرت صورة المهجو الهدف في قصيدته (آليت)[749] وهي من الهجاء الخاص هجا بها الشاعر الكاتب المصري غالي شكري الذي حرضته الحكومة العراقية للنيل من الشاعر [750] ، يقول فيها :

ومخنـــثٍ لـــم يُحتســـبْ	فـــي ثيِّـــبٍ خُطِبَـــتْ وبكـــرِ
أقعـــى .. وقـــاءَ ضـــميرَهُ	مـــلآنَ مـــن رجـــسٍ وعهـــرِ

([747]) الديوان : 205/6 .

([748]) أخبرني بذلك الدكتور محمد حسين الأعرجي (رحمه الله) في أحد اللقاءات ومرد هذا الهجاء تخلي هؤلاء عن الجواهري في موقف ظنّ الشاعر أنهم سنده فيه .

([749]) الديوان : 41/7 .

([750]) ظ : مجلة فيض الكوثر العدد (125) .

كـــــــذنابِ (عقربـــــــةٍ) لهـــــا	ســـــمٌّ علـــــى العـــــذباتِ يجـــــري
غـــــالٍ كـــــأرخصِ مـــــا تكـــــو	نُ أجـــــورُ غيـــــر ذواتِ طهـــــرِ
لـــــم يعـــــلُ قـــــدري مدحَـــــهُ	وبذمِـــــهِ لَـــــم يـــــدنُ قـــــدرِي
أســـــــــــلمتُهُ للمبتليـــــــــــ	ـــــنَ العـــــارفينَ بِـــــه بمصـــــرِ
ولمـــــنْ بـــــرى أظفـــــارَه	قَلـــــمُ المباحـــــثِ والتحـــــرِّي
يضـــــوي بمـــــا يُغـــــذى بـــــهِ	شـــــهمٌ ويســـــمنُ بـــــالتهرِي

لقد استهدف الشاعر مهجوه في لوحته الهجائية هذه من بدايتها حين صوّره بالمخنث وبدأ بتسديد هجاء انهال على المهجو بقسوة فالشاعر لا يعرف –متهكما- أكانت أم مهجوه ثيبا أم كانت بِكراً حتى يُحسب لها وظهر مهجو الشاعر في صورة أخرى أنه يمتلك ضميرا ولكنه ملآن رجسا وعهرا ثم يصوره بالغادر بانزياح دلالة ذنب العقرب وسمها الجاري في مغدوريها ويصل الشاعر الى ذروة هجائية عندما صوّر مهجوه صورة شديدة الإقذاع فهو عاهر ورخيصة أيضا مستثمرا اسم مهجوه (غالي) وطباقه (أرخص) في رسم ملامح صورته ثم يعرّج الشاعر في الأبيات الأخيرة بتصوير مهجوه ومحرضيه هازئا بهم ، فمدحهم لا يرفع قدر الشاعر وذممهم لا يحط منه .

لقد جاولنا التمثيل لصورة الهدف التي استثمرها الشاعر في كل اتجاهات هجائه السياسي والاجتماعي والخاص وغيرها ، في تصوير مهجويه بصور تنوعت مصادرها وتراكيبها والجو النفسي الذي عاش فيه ، وتأثيره في إنجاز لهذه الصورة .

2- الصورة المتضادة :

وفيها يقسّم الشاعر الصورة على جزئين الأول يرسم فيه صورته والثاني يصور فيه مهجويه ويخلق بين هذين الجزئين علاقة عكسية ، فبقدر ما ترتفع صورة الشاعر ، تنحط صورة مهجويه ، وكأن هذه الصورة تحمل في مكنونها صراعا بين خصمين أحدهما متضادٌ مع الآخر أو بين صورتين إحداهما تُجهز على الأخرى ، ويبدو أن الشاعر سيّق هذا النوع دلالة لانتصاره على خصومه ، وقد حضرت الصورة المتضادة في قصائد كثيرة منها قصيدة (هاشم الوتري)[751] التي رسم الشاعر في مقطع منها صورتين متضادتين الواحدة أزاء الأخرى ، يقول فيها :

مـــاذا يضـــر الجـــوع ؟ مجـــد شـــامخ	إنـــي أظـــل مـــع الرعيـــة ســـاغبا
أنـــي أظـــل مـــع الرعيـــة مرهقـــا	إنـــي أظـــل مـــع الرعيـــة لاغبـــا
يتبجحـــون بـــأن موجـــا طاغيـــا	ســـدوا عليـــه منافـــذا ومســـاربا
كـــذبوا فمـــلءُ فـــم الزمـــان قصـــائدي	أبـــدا تجـــوب مشـــارقا ومغاربـــا
تســـتل مـــن أظفـــارهم وتحـــط مـــن	أقـــدارهم وتثـــل مجـــدا كاذبـــا
أنـــا حـــتفهم ألـــجُ البيـــوت علـــيهم	أغـــري الوليـــد بشـــتمهم والحاجبـــا
خســـئوا فلـــم تـــزل الرجولـــة حـــرة	تـــأبى لهـــا غيـــر الأماثـــل خاطبـــا
والأمثلـــون هـــم الســـواد فـــديتهم	بـــالأرذلين مـــن الشـــراة مناصـــبا
بمملكـــين الأجنبـــي نفوســـهم	ومصـــعدين علـــى الجمـــوع مناكبـــا
أعلمـــت (هاشـــم) أي وقـــد جـــاحم	هـــذا الأديـــم تـــراه نضـــوا شـــاحبا
أنـــا ذا أمامـــك مـــاثلا متجبـــرا	أطـــأ الطغـــاة بشســـع نعلـــي عازبـــا
وأمـــط مـــن شـــفتي هـــزءا أن أرى	عفـــر الجبـــاه علـــى الحيـــاة تكالبـــا
أرثـــي لحـــال مزخـــرفين حمـــائلا	فـــي حـــين هـــم متكهمـــون مضـــاربا
لله در أبـــي يرانـــي شاخصـــا	للهـــاجرات لحـــر وجهـــي ناصـــبا

لقد وظف الشاعر أربعة عشر بيتا ألفت مقطعه الهجائي لرسم صورتين متضادتين ، صورته وصورة مهجويه وخلق بينهما علاقة عكسية فبقدر ما يرفع صورته ، يحط من صورة

([751]) الديوان : 391/3 .

مهجويه ، فهو يفضل البقاء من أبناء شعبه جائعا إذا كرس خصومه الجوع سلاحا يفتك بالجماهير وهو موج طاغ وهم سدود تحاول منعه من الوصول الى بغيته ثم يستدعي الشاعر صوت المتنبي فهو الذي تجوب قصائده المشارق والمغارب وهم الكاذبون المدعون نقيض ذلك ، وقد مُلِءَ استدعاؤه التاريخي بالكبرياء والتعالي على كذب خصومه في الحجر عليه وهو أيضا الحتف الذي يلج بيوت مهجويه ويفعل فيهم ما يشاء وكأن الشاعر يشير الى الآية الكريمة [يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ ﴿٧٨﴾][752]

ويستمر الشاعر باقتراح صورته وصورة مهجويه المتضادتين على المتلقي على طول أبيات مقطعه الهجائي ومن صوره المتميزة في لوحته هذه تلك الصورة الهازئة بمهجويه التي استطاع رسمها بثلاثة ألفاظ (وأمط من شفتيَّ) وهي صورة حسية تعبر عن حركة معينة للشفتين يقوم بها الإنسان تعبيرا عن هزئه بشيء ما مستثمرا منها دلالة الاستخفاف بمهجويه مهما ارتفعت مواقعهم السياسية .

وحضرت الصورة المتضادة أيضا في مقطوعته (أنا الفداء)[753] يقول فيها :

غَـذِيتْ بشـتمِكَ سـيدَ الشـعراءِ ديـدانُ أوبِئَـةٍ بغيـرِ غـذاءِ
عَلَقَـتْ زواحِفُهـا بمجـدِكَ مثلَمـا طمَـعَ العليـقُ بدوحـةٍ عليـاءِ
وتهضَّـمَ الأرجـاسُ ذكـرَكَ مثلمـا ضِـيمَ الأريـجُ بجيفـةٍ نتنـاءِ
مِـن عـالمِ الجبـروتِ نُـزِّلَ عُنصُـرٌ كـان الغريـبَ بعـالمِ (الجبنـاءِ)[754]
كـانَ الغريـبَ بعـالمٍ مُـتَمَخِّضٍ عَـن خـائنٍ ومخـربٍ ومُرائـي
وأَنـا الفـداءُ لمخلـصٍ مُتَعـذِّبٍ أَمَّـا الـدعيَّ فَفِديَـةٌ لِحِـذَائي

لقد رسم الشاعر صورتين متضادتين له ولمهجويه ، وهما تتصارعان على طول مقطوعته الهجائية ، وبقدر ما تسمو صورته ، تنحط صورته مهجويه ، فهو سيد الشعراء وهم ديدان أوبئة غذاؤها شتمه وهو المجد والدوحة العلياء وهم عليق يطمع به بعد أن علقت زواحفهم بمجده وهو الأريج الطيب وهم الأرجاس الذين تهضموا ذكره وهم أيضا الجيفة النتناء التي ابتلي بها الأريج وهو العنصر المتجبر وهم الجبناء ، ثم يستكمل الشاعر ملامح الصورتين في آخر أبيات مقطوعته حين يصور نفسه فدية لكل مخلص متعذب أما مهجووه فصورهم فداء لحذائه ، ليحط من صورتهم باحتقار واضح .

ويظهر هذه النوع من الصور في قصيدته (كما يستكلب الذيب)[755] التي هجا بها الشاعر نفرا من الحاكمين ومتملقيهم من طلاب مجد كاذب يقول في أحد مقاطعها :

مَشَـتْ إِلـيَّ بَعُوضَـاتٌ تُلـدِّغُنِي وَهَـلْ يَحِـسُّ دَبِيـبَ النِّمـلِ يَعسُـوبُ
مـا أَغـرَبَ الجِلـفَ لَـم يَعلَـقْ بِـهِ أَدَبٌ وَعِنـدَهُ لِلكَـرِيمِ الحُـرِّ تَأدِيـبُ
وَصَـاحِبِ السُـوأَةِ النَكـرَاءِ أَعـوَزَهُ كَـي يَستُرَ النَاسَ ، ثَوبٌ عَنهُ مَسلُوبُ
تَسـعُونَ كَلبـاً عَـوى خَلفِـي وَفَـوقَهُمُ ضـوءٌ مِـنَ القَمَـرِ المَنبُـوحِ مَسـكُوبُ
مِمّـنْ غَـذَتْهُم قـوافيَّ الَّتـي رَضَـعتْ دَمِـي فَعِنـدَهُمُ مِـن فَيضِـهِ كُـوبُ
وَقَبـلُ أَلـفٍ عَـوى أَلـفٌ فَمـا انتَفَصـتْ (أَبـا مُحسَّـدَ) بِالشَّـتمِ الأَعَارِيـبُ
يـا مُنطَـوينَ عَلـى بُغضِـي لَعلّهُـمُ أَنّـي لِـدَى النَـاسِ ، أَنّـى كُنـتُ مَحبُـوبُ

([752]) 78 من النساء .
([753]) وردت لفظة (الغريب) بالرفع في الديوان طبعة وزارة الثقافة العراقية ووردت بالنصب في الديوان طبعة دار العودة وهو الصحيح .
([754]) الديوان : 111/4 .
([755]) م.ن : 157/4 .

تغلــي الحــزازات فــيهم أنّ أرؤســهم	دونٌ وكعبـــي رفيـــع الشـــأن مرهـــوبُ
ويســـتثير شـــجاهم أصـــيدٌ عصـــرت	منـــه الخطـــوب وشـــدته التجاريـــبُ
يـــردد الجيـــل عـــن جيـــل أوابـــده	فهـــن فـــي الـــدهر تشـــريق وتغريـــبُ

يعرض الشاعر في هذا المقطع ، صورته وصورة مهجويه كدأبه في هذا النوع ، وقد جعل صورته تسيطر على صورة مهجويه ، متفوقة عليها شامخة أزائها وكأنه يرسم معالم واضحة للمتلقي كي يتقراها مفضلا صورة الشاعر المترفعة على صورة مهجويه المنحطة ، وفي هذا المقطع يظهر الشاعر بصورة اليعسوب كبير النحل الذي لا يلتفت إلى دبيب النمل وهم مهجووه الذين ظهروا بصورة بعوضات تسعى للشاعر تلدغه فما أحس بها وهو الكريم الأديب ومهجووه أجلاف يعوزهم الأدب وهو القمر الذي تنبحه الكلاب ومن جديد هذه الصورة (تسعون كلبا عوى خلفي) إن الكلاب عوت خلفه لا أمامه ، فهو ماضٍ أبداً لا يبالي أحداً وهم لا قدرة لهم على مواجهته فاختاروا مجبرين العواء خلفه دليلا على جبنهم وخوفهم منه ، ثم يستدعي الشاعر صورة المتنبي الذي شتمته الأعاريب ، فما نالت من قدره ، والشاعر محبوب أين حلّ وما بغض مهجويه له إلا لهذه المكانة ، وهو العالي فكعب قدمه أعلى من رؤوس خصومه وأرفع شأنا وهو الأصيد الذي شدته التجاريب وعصرته الخطوب وامتدت قصائده في المشرق والمغرب .

لقد وظف الشاعر هذا النوع من الصورة المتضادة للإجهاز على خصومه معليا شأنه مستثمرا ما شاء من الدلالات التاريخية والشعرية وما جادت عليه الطبيعة من صورها ، لينطلق هذا النمط من تمرده وتعاليه على مهجويه وتذمره من ضياع المعايير واختلال الموازين في ترتيب الناس بحسب مراتب شأنهم ، فكان هو العقل الواعي الحاضر الذي أعاد ترتيب الأوراق ووضع النقاط على حروفها فعرض صورتين تناظر أحدهما الأخرى وتظهر حالين أحدهما صالحة والأخرى منحرفة لتنتهي هذه المقابلة الصورية بانتصار صورة الشاعر على صورة مهجويه ، وإذا كان أحد الشعراء يؤمن بأن الضد يظهر حسنه الضد فالجواهري بهذا النمط آمن بأن الضد يظهر قبح الضد .

3-الصورة القلقة :

هي الصورة التي لا يستقر الشاعر فيها على تحديد ملامح واضحة للمهجو ، إنما يجعل هذه الملامح في مهب الشيوع ، وهي أيضاً حرص الشاعر على أن يظل المهجو ينتقل بعدة ملامح ، فلا تكاد تتوقف هذه الصورة على تشخيص محدد يظهر به المهجو ، إمعانا في إشاعة ما به من صفات سيئة ، بمعنى آخر أن الشاعر يجعل مهجوه ممزقاً ، فهو – أي الشاعر – كالوحش الذي يمزق فريسته ليكون عبرة لكل من يحاول أن يدخل في صراع معه ، والشاعر في هذا النوع من الصورة يحاول الدوران حول المهجو لتدمير كل صفاته فلربما تكون هناك صفات جيدة وأخرى سيئة عند المهجو ، لكن الشاعر يحاول أن ينفذ إلى الجانب المضيء لإطفاء كل الأضواء لتبدو كل جوانب مهجوه مظلمة .

وأحسب أن هذه الصورة هي عنوان فنية الشاعر لأنّه ليس رسام(بورتريه) (ملامح شخصية) ، إنما هو صانع ومبتكر لصور في ذهنه اختزنها لوقت يريده وهي دليل خبرته (بل أنّي أعد الصورة القلقة معيار تفوق الشاعر بما يبتدعه للمهجو من جوانب سيئة)[756] وغالبا ما جاء هذا النوع من الصورة في قصائد الشاعر التهكمية ومنها قصيدته المشهورة (طرطرا)[757] التي يقول في مقطع منها :

إي طرطـــــــرا تطرطـــــــري	وهلّلـــــــــــــي وكبّـــــــــــري
وطبّلـــــــي لكـــــــلِّ مـــــــا	يخـــــــزي الفتـــــــى وزمّـــــــري

([756]) رأي الأستاذ الدكتور علي كاظم أسد المشرف على الرسالة .

([757]) الديوان : 119/3 .

وســــبّحي بحمـــد مـــأ ... مـــون وشـــكر أبتـــرِ
أعطـــي ســـماتِ فـــارعٍ ... شـــمردلٍ لبحتـــرِ
واغتصـــبي لضـــفدعٍ ... ســـمات ليـــثٍ قســـور
وعطّـــري قـــاذورةً ... وبالمـــديح بخـــري
وصـــيّري مـــن جُعَـــلٍ ... حديقـــة مـــن زهـــرِ
وشـــبّهي الظـــلام ظُلـــ ... ـــما بالصـــباح المســـفرِ
وألبســـي الغبـــي والأ ... حمـــق ثـــوبَ عبقـــري
وأفرغـــي علـــى المخـــا ... نيـــث دروعَ عنتـــرِ
أو قيـــل أن مجـــدَهم ... مزيـــفٌ فـــأنكري
أو قيـــل أن بطشَـــهم ... مـــن بطشـــةِ المســـتعمرِ
وإن هـــذا المستعيـــ ... ـــر صـــولةَ الغضـــنفرِ
أهـــونُ مـــن ذبابـــةٍ ... فـــي مســـتحمٍ قـــذرِ
فهـــي تطيـــرُ حـــرةً ... جناحَهـــا لـــم يعـــرِ
وذاك لـــو لـــم يســـتعر ... جناحهـــا لـــم يطـــرِ
فغـــالطي وكـــابري ... وحـــوّري وزوّري

لقد حرص الشاعر أن ينتقل بمهجوه بعدة ملامح ، فلا تحديد لملامح واضحة له ، فقد مزّقه ونثر أشلاءه ، ودار عليه لتدمير كل صفة فيه مطفئاً كل جوانبه ، فظهر المهجو في صورة قصيرا يطلب صفات الفارع وفي أخرى ضفدعا يحاول اغتصاب صفات الأسد ويظهر في أخرى قاذورة ومرة جُعَلاً وظلاما يتشبه بالصباح المسفر وفي صور أخريات يظهر غبيا وأحمق ومخنثا وهو أهون من الذبابة ويظهر مغالطا ومكابرا ومحورا ومزورا لينتزعه الشاعر من مكانته المزعومة بعد أن تلقفه وطوّح به في كل الجهات متهكما به موغلا في هجائه بأقذع الصفات غير مبال بما قد يحدث وإن كان مهجوه رئيس الوزراء آنذاك (صالح جبر) ووزير داخليته (العمري) .

وتظهر الصورة القلقة أيضا في قصيدته (ثمر العار)[758] وهي من نمط التهكم برجال السلطة في العراق ، يقول فيها :

أيْ جَرَبَـــا تَجرّبِـــي ... تَكتّلِـــي تَحزّبِـــي
كّـــإبرَةِ البَحَّـــار فِـــي ... عَاصِـــفَةٍ تَذبـــذَبِي
وكَـــالطُيُور فِـــي السَـــمَا ... ءِ حُـــرَّةً تَقلَّبِـــي
أيْ جَرَبَـــا وِيحَـــكِ مَـــا ... أَصـــلَفَ وَجهَـــكِ الغَبِـــي
أَكُـــلُّ يـــومٍ تَطْلَعِيـــ ... ـــنَ للـــوَرَى بِكُوكَـــبِ
مُـــذنَّبٍ مِـــن فَضـــلِ مـــا ... أَعطِيتِـــهِ مِـــن ذَنَـــبِ
فَتَـــارَةً بِمشـــرِقٍ ... وَتَـــارَةً بِمغـــرِبِ
أيْ جَرَبَـــا فـــي كـــلِّ يـــو ... مٍ حُلّـــةً تَجلبَبِـــي
أيْ جَرَبَـــا كـــمْ تَدَّعِيـــ ... ـــنَ عَفَّـــةً لَـــمْ تُـــوهَبِي
إذْ أنـــتِ للفَجـــرةِ تمـــ ... ـــتطِينَ شـــرَّ مَركَـــبِ

لقد بعثر الشاعر عامداً ملامح مهجوه إيغالاً في التهكم به ، فصوره كبوصلة البحار التي لا تعرف ثباتاً عند اشتداد العاصفة ، وكأنّ الشاعر يوحي لنا بها النوع من الصورة ، ثم يؤكد على ذلك حين صور مهجوه طيرا حرا يتقلب في السماء واللافت هنا أن صورة الطير في السماء تدل على الحرية والانطلاق ، لكن الشاعر قلب هذه الدلالة حينما جاء بالفعل (تقلبي) ليسبغ على مهجوه صفة مذمومة وهو (التلقب) لأن الشاعر لا يريد الطيور الحرة ، إنما أراد تلك الطيور المدجنة التي

([758]) الديوان : 313/3 .

ما إن يطلقها صاحبها في الجو ، ويصفر لها حتى تبدأ بالقيام بحركات مسلية وماكرة ومنها التقلب رأسا على عقب .

ثم يستمر الشاعر بالتلاعب بمهجوه الغبي صلف الوجه الذي يطلع للناس في كل يوم بشكل مختلف وبحلة جديدة فيميل للمشرق تارة وللمغرب تارة أخرى دلالة عدم ثباته على أي رأي أو فكر أو عقيدة سياسية أو دينية وهو المدعي العفة التي لم توهب له فهو فاجر تمتطي للرذيلة شر وسيلة .

لقد حوّل الشاعر مهجوه في هذا النوع من الصورة إلى كرة ركلها بحسب ما يشتهي وبدا مهيمنا عليه غير آبه لموقعه السياسي ، ونعتقد أن الشاعر إنما استعمل هذا النوع من الصورة دلالة على تهكمه بخصومه وكأنه يتسلى بهم ولا يقيم لهم أي وزن فاستطاع انتزاعهم من كل استقرار حاولوا اللجوء إليه وجعلهم عرضة للتهكم والتندر والسخرية من قبل الجماهير وقد نجح الشاعر باختياره وزنا شعريا ملائما للحفظ والتداول والشيوع في الأمثلة التي ذكرناها لهذه الصورة فضلا عن حسن انتقائه ألفاظا وتراكيب أغنت بدلالالتها التهكمية فنية لوحته الهجائية .

4- الصورة المباغتة :

وفيها يباغت أو يفاجئ الشاعر المهجو نفسه بما ليس في حسبانه أن يكون كما أظهره الشاعر ، وأيضا يفاجئ المتلقي حين يصوّر المهجو بهذه الصورة ، ويمكن أن نعرّفها بأنها نقل نوعية المهجو من نوع إلى نوع ، ومن جنس إلى جنس ، وهذا أيضاً يعد معيار لفنية الشاعر (لأن أهم تعريف للنمطية هو التوقع والفن عكس النمطية)[759] وجاء هذا النوع من الصورة في قصائد منها (المقصورة) التي هجا بها رجال الدين :

وهـــــــذا بعمّتــــــهِ ســــــاخراً	مـــــن (الجـــنِ) يرفعُهـــا للعلــــى
تجــــيءُ المطــــــامعُ منقـــــادةً	إليـــــهِ إذا شــــاءَ أو لـــــم يشـــا
وليتــــــكَ تحســــبُ أزيــــاءَهم	فتجمـــــعُ منهـــا زهـــورَ الرُّبـــى
فتلـــــكَ اللفـــائِفُ كــــالأقحوانِ	بهـــا العلـــمُ يـــنفحُ طيـــبَ الشـــذا
تطـــوقُ المســــابحُ مـــن حولهـــا	لـــــــتعلنَ أنَّ ملاكــــــاً أتــــــى

لقد باغت الشاعر مهجويه ونقلهم من نوع إلى نوع آخر ، فهم إذا توقعوا أن يهجوهم أحدٌ ما فإنّ هجائه ينصب على مكانتهم مثلاً أو طريقة أدائهم الاجتماعي أو حتى تحصيلهم العلمي ، لكن الشاعر فاجأهم ساخراً من حيث لا يحتسبون ، فتهكم من طرائق ارتداءهم (العمة) التي يرفعونها وكأنهم يسخرون من الجن ثم يوسع الشاعر دائرة صور الهجائية المباغتة لتشمل أزياءهم وألوانهم المشبه بزهور الربى وعمائمهم التي ينفح منها العلم كطيب الشذا ثم يجهز الشاعر عليهم وهم في مجلسهم بصورة تلك (المسابح) التي يعلن (طقّها) مجيء الملائكة وهذه هي ذروة المباغتة التي أراد الشاعر بها مفاجئة مهجويه .

وتظهر الصورة المباغتة في قصيدة (عبدة الجبورية)[760] التي فاجأت المهجو والمتلقي في آن واحد فلربما يتوقع الجبوري أو متلقي هذا الهجاء أن الشاعر سوف يهجو الجبوري بأنّه لا يستحق مرتبته العلمية مثلا ، أو أنّه بخيل او أنه متحامل على الشاعر وغير ذلك ، لكن أن يصور الدكتور الجبوري بامرأة ويزيد على ذلك بأنها غجرية فهذا ما لم يكن في حسبان الجبوري أو المتلقي ، والحال تنطبق على مهجوه الآخر في القصيدة الصحافي عبد القادر البراك ، حين صوّره قرداً تابعاً لتلك الغجرية ، يقول الشاعر في مقطع من القصيدة :

ألا يــــــا (عبــــــدةَ) الأســــــيا	نِ والنشـــــــــواتِ واللغــــــــــبِ
ويــــــا كربــــــاً لمفتـــــــتنٍ	ويــــــا فرّاجَـــــــة الكــــــربِ

([759]) من آراء الأستاذ الدكتور علي كاظم أسد المشرف على الدراسة في إحدى محاضراته .

([760]) ديوان الجواهري طبعة بيسان : 311/5 .

ويـــــا حُرمـــــاتِ مغصـــــوبٍ	ويـــــا حـــــــلاً لمغتصـــــــبِ
ويـــــا ســـــحّارةً تـــــذكي	حيــــاضَ المـــــاءِ باللهـــــبِ
وتنقـــــلُ كـــــفَّ مختضــــبٍ	لآخــــــر غيـــــر ِمختضـــــبِ
وتبـــــدلُ قفـــــرةً صــــديّت	بمرعـــــى ممـــــرعٍ عشـــــبِ
تحـــــدّت مكمـــــن الضـــــبِّ	وحلّـــــت عقـــــدةَ الـــــذنبِ
ولاعـــــبَ عِقـــــدُها الزاهـــــي	فويهـــــةَ جحـــــرهِ الخـــــربِ

لقد صوّر الشاعر مهجوه الدكتور الأكاديمي على صورة غجرية تبيع اللذة الرخيصة فنقله من نوع إلى نوع آخر ، ومن جنس إلى جنس ، وأظهره بما ليس فيه موغلاً في هجائه حين نقله من الحقل العلمي إلى الحقل الغجري ، ونظن أنّه باغت المتلقي أيضاً فضلاً عن المهجو .

ثم ينتقل الشاعر في القصيدة نفسها للمهجو الآخر (البراك) فمن العدل أن يأخذ مهجوه الآخر نصيبه من الهجاء أيضا ، يقول في أحد مقاطع القصيدة :

بقـــــدرةِ (قـــــادرٍ) عجـــــبٍ	أرتنـــــا الجـــــدَّ باللعـــــبِ
وراحَ القـــــردُ (مبـــــروكٌ)	يلّـــــم حشـــــائشَ العشـــــبِ
ينشّـــــرُ مـــــن لفائفهـــــا	(ضـــــباباتٍ مـــــن الســـــحبِ)
ولـــــوحُ الطـــــينِ فـــــي يـــــدِهِ	يعيـــــثُ بمنـــــزلِ (الكتـــــبِ)
يعـــــضُّ علـــــى (دنـــــانيرٍ)	يلقّـــــط عضـــــةَ الكَلَـــــبِ
ويُلفـــــي عنـــــدَها لعقـــــاً	صـــــدُوقاً عـــــن منـــــى كـــــذبِ
وســـــالَ لعـــــابُ مرتغـــــبٍ	وجـــــفَّ غليـــــلُ مرتعـــــبِ

لقد رسم الشاعر صورة مباغتة لمهجوه (البراك) فنقله من دائرة الصحافة مجال عمله إلى أن يكون قرداً وأيّ قرد ، فهو يتبع غجرية يعاضدها في عملها وكأنّ الشاعر يشير إلى ما كان يفعله البراك من الترويج لمواقف الدكتور الجبوري العدائية للشاعر ، وأحسب أن هذا الهجاء من أقذع ما هجا به الشاعر أحد مهجويه مستثمراً عنصر المفاجأة في رسم هذا النوع من الصور ، الذي لم يكن بحسبان المهجو من جهة ، ولا بحسبان المتلقي من جهة أخرى .

يتضح لنا من متابعة تقنيات بناء الصورة الهجائية عند الشاعر أنها جاءت على عدة أنواع ، فظهرت صورة المهجو الهدف والصورة المتضادة والصورة القلقة والصورة المباغتة ، وقد أوردنا بعض الأمثلة لكل نوع ، وعرّفناها بما ينسجم معها تأصيلاً منا كلك نوع من أنواع الصور الهجائية عند الشاعر .

لقد ظهرت صور الشاعر بأنواعها وكثرتها وهي مشحونة بانفعالاته النفسية وقد استثمر دلالاتها الحسية والذهنية فضلاً عن أنواعها لشد المتلقي إليه ، واستطاع بموهبته صهر ألفاظه وإيقاعاته وأفكاره معاً لإنضاج الصورة الهجائية وإخراجها من دون ترهل ، وقد حقق (التوازن بين الصوت والصورة والفكرة)[761]

([761]) أزمة المواطنة في شعر الجواهري : 349 .

الخاتمة

بعد هذا البحث في هجائيات الجواهري في موضوعها وفنّها ، خرجت الدراسة بجملة من النتائج يمكن إدراجها على النحو الآتي :

1- إن الهجاء غرض له حضور واضح في شعر الجواهري ، وقد ساقه للتعبير عمّا اعتمل في نفسه من انفعالات في مواقف مختلفة ، وتوزع على عدة اتجاهات وهي الهجاء السياسي ، وفيه يهجو الشاعر صور انحراف السياسة وما ترتب عليها من مفاسد ، ولم يقتصر بهجائه على السياسة العراقية ، فقد هجا السياسات الغربية ، ومنها الأمريكية والبريطانية والفرنسية والأسبانية ؛ لارتباطه بأحداث عصره ، ولرؤيته الخاصة إزاء ما يجري ، وحضر هذا الاتجاه في ثمان وخمسين مرة ، والهجاء الخاص وهو ما هجا به أو عرّض بأفراد ذكر أسماءهم في شعره أو في ذكرياته ، ومن مختلف مستويات المجتمع السياسي والاجتماعي والثقافي وغيرها ، وحضر في ست وعشرين مرة ، وفي الهجاء الاجتماعي يأخذ الشاعر على المجتمع ألواناً من الانحراف ، وينعى عليه ضياع معايير وقيم مثل خمول الشباب ودكتاتورية الإقطاع والجهل والتشبه بالغرب ، مَلبساً وسلوكاً وغيرها ، وحضر في أحدى عشرة مرة .

وفي هجاء رجال الدين يهجو الجواهري بعض الذين نصّبوا أنفسهم رجالاً للدين منحرفين عن الشريعة السمحة ، متقنعين بالتفاف الجهلة حولهم ، مستغلين صفحات ناصعة سابقة من رجال رفعوا من شأن الدين فوقف هؤلاء عثرة في تقدم العلم وانتفعوا من المؤسسة الدينية من غير وجه حق ، وحضر هذا الاتجاه في خمس مرات ، وثمةَ هجاء متعدد الاتجاهات ، لا يسير الشاعر فيه على اتجاه واحد ، بل وجدنا نصوصاً تنوعت فيها الاتجاهات آنفة الذكر ، وحضر هذا في ست وعشرين مرة ، وبذلك

يكون مجموع حضور الهجاء في مائة وستة وعشرين موضعا ، سواء أكان في قصيدة واحدة أم في مقاطع من قصائد ، وبمجموع أبيات قارب من ألفين وخمسمائة بيت.

ووجدنا أيضاً أن هجائياته اتخذت نمطين مختلفين ، نمطا جاداً ، نجد فيه الشاعر ملتزماً بقضاياه الوطنية والإنسانية ، جاداً الجد كله في التعبير عنها بما تمليه عليه نفسه وخلجاتها تجاه الواقع المعيش ، والنمط الثاني هو الساخر الذي جعل الشاعر فيه خطابه الهجائي – وإن تلبس فيه الوجدان – ذا نمطية ساخرة عبّر بها عن إحساسه ونظرته لحقيقية الواقع المرّ وما ضمّ من تناقضات ظاهرة أو غير ظاهرة ، وقد تجاذب هذا النمط السخرية والتهكم والاستهزاء والاحتقار ، فضلاً عن مشاعر الغضب .

2- إن الدوافع الموضوعية (من مواقف وأحداث تفاعل معها) وإن أسهمت في إطلاق هجائه ، لكن دوافعه الخاصة (النفسية) كانت المنتج الحقيقي لهجائياته ، فهو المتمرد ذو المزاج الثائر الرافض للجمود والرتابة والقيود والأعراف التي تفرض عليه ؛ لذلك كانت نفسه الوعاء الذي انصهر فيه كل ما يؤدي إلى الهجاء (إن صحَّ هذا التعبير) ، وما كانت الدوافع الموضوعية إلا قدحات حفّزت ما نفسه في إطلاق طاقته الشعرية ، وبهذا تباين الجواهري عن غيره من الشعراء الذين عاصروه في التعبير عن تجربته الخاصة لطبيعة تكوين مزاجه ، وما تأجج فيه من انفعالات التمرد والمشاكسة والنزوع لرفض الظلم بأشكاله كلها .

3- إن قدرة الشاعر واضحة في استثماره للألفاظ الهجائية ، فقد أفاد من مخزونه الهائل الذي أمدته به مصارد لغته ، فكانت اللفظة أو المفردة طيعة بحسب تمكنه ، فتصّرف بها وبناها منسجمةً مع غرضه الهجائي ، وإن اختلفت رؤيته الفنية مع بعض القواعد ، فضلاً عن صور الاشتقاق التي أثرى بها بناءه ثراءً بيّناً ، وظّفه في نصوصه الهجائية ، واستطاع في أكثر هجائياته أن يزود المفردة بالطاقة التأثيرية ، وبروح معاصرة .

4- اختلف الجواهري عن غيره من الشعراء المعاصرين له باستناده إلى معايير غير المعايير التراثية للهجاء ، فضلاً عن التقاطه معايير معاصرة ، مما حوله ، ليعبر بها عن هموم الجماهير ، ولم تكن هذه المعايير عائقاً أمامه في أن يسمو بهجائياته إلى مستوى الفن .

5- إن التراكيب التي استعملها في هجائياته جاءت متناغمة مع ما أراده منها ، ومنسجمة مع ما في نفسه المتمردة ، وقد تميّزت تراكيبه بمزايا منها تكرار لفظة بعينها ، وتكرار جمل كاملة ، وتكرار أساليب في التركيب الواحد في نص واحد ، هذا واستطاع أن يسيق هجاءه بتراكيب لم تضم في بنائها أي لفظ هجائي صريح ، وهذه إحدى تقنياته المتميزة .

6- استخلصنا من إنجاز صورة المهجو عند الجواهري أنّه شاعر هجّاء متميز ؛ لأننا قسنا إنجازه الهجائي وتميّزه بصناعة صورة المهجو صناعة مبتكرة غير تقليدية ، وكانت له رؤى وأضواء معاصرة جديدة لم يقلد فيها التراث ، وتحسب له فضلاً عن كونه شاعر الوطنية والجماهير .

وبعد متابعة تقنياته في بناء الصورة ، وجدنا أنّ هناك أنواعا لصورة المهجو عند الشاعر ، وهي صورة الهدف التي يظهر فيها المهجو هدفاً ثبته الشاعر وانهال عليه بسهام الهجاء ، والصورة المتضادة التي رسم فيها صورتين متضادتين ، أحداهما للشاعر ، والأخرى لمهجويه ، وخلق بينهما علاقة عكسية ، فبقدر ما ترتفع صورة الشاعر ، تنحط صورة مهجويه ، والصورة القلقة التي لا يستقر الشاعر فيها على تحديد ملامح واضحة

للمهجو ، وكأنّه يمزقه كما يمزق الوحش فريسته ، حتى تكون عبرة ، والصورة المباغتة التي يباغت الشاعر فيها مهجوه بما ليس بحسبانه ، فضلاً عن مفاجئة المتلقي ، وبها ينقل الشاعر مهجوه من نوع إلى نوع ، أو من جنس إلى جنس .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث : د. رؤوف الواعظ ، منشورات وزارة الإعلام العراقية ، سلسلة الكتب الحديثة (64) ، دار الحرية للطباعة – بغداد ، 1974 .
- أجداد وأحفاد : د. محمد حسين الأعرجي ، دار المدى ، دمشق ، ط1 ، 1999 .
- أزمة المواطنة في شعر الجواهري : فرحان اليحيى ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2001 .
- الأسس النفسية للإبداع الفني (في الشعر خاصة) : مصطفى سويف ، دار المعارف ، مصر ، 1951 .
- الأغاني : لأبي فرج الأصبهاني : تحقيق : د. يوسف البقاعي و غريد الشيخ ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط1 ، 2000.
- الأمالي في الأدب الإسلامي : د. ابتسام مرهون الصفار ، توزيع مكتبة باقر ، الناصرية ، (د.ت) .
- البيان والتبيين : لأبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط7 ، 1998 .
- تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك : لأبي جعفر بن جرير الطبري ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر ، ط5 ، 1967 .
- التجربة الخلاّقة : بورا ، ترجمة سلافة حجاوي ، منشورات وزارة الإعلام ، بغداد ، سلسلة الكتب المترجمة (31) ، 1977 .
- تطور الشعر العربي الحديث في العراق – اتجاهات الرؤيا وجمالات النسيج : د. علي عباس علوان ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد .
- تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام : د. شكري فيصل ، الناشر دار العلم للملايين ، بيروت ، ط5 ، (د.ت) .

- التفسير النفسي للأدب : د. عز الدين إسماعيل ، دار المعارف ، مصر ، 1963 .
- الثابت والمتحول – بحث في الإبداع والاتباع عند العرب – صدمة الحداثة : أدونيس ، دار الساقي ، بيروت ، ط9 ، 2006 .
- ثمرات الأوراق في المحاضرات : للإمام تقي الدين أبي بكر علي بن محمد ابن حجة الحموي القادري الحنفي ، شرحه وضبطه : د. مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1983 .
- جامع الدروس اللغة العربية : الشيخ مصطفى الغلاييني ، راجعه : د. عبد المنعم خفاجة ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا ، لبنان ، ط82 ، 1993 .
- الجواهري – دراسة ووثائق : د. محمد حسين الأعرجي ، دار المدى ، دمشق ، ط1 ، 2002 .
- الجواهري ونقد جوهرته : عبد الله الجبوري ، عالم الكتب ، بيروت ، 1968 .
- دور الكلمة في اللغة : ستيفن أولمان ، ترجمه وقدّم له وعلّق عليه : د. كمال بشر ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط12 ، (د.ت) .
- ديوان أبي تمام ، شرح وتعليق : د. شاهين عطيّه ، الناشر دار صعب ، بيروت ، (د.ت) .
- ديوان الجواهري ، الناشر – بيسان للنشر والتوزيع والإعلام ، بيروت ، 2000 .
- ديوان الجواهري ، دار العودة ، بيروت ، ط3 ، 1982 .
- ديوان الجواهري ، طبع وزارة الثقافة والإعلام العراقية ، 1973 .
- ديوان الحطيئة : برواية وشرح ابن السكيت ، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه : د. حنا نصر الحتي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط1 ، 1995 .
- ديوان الخنساء : شرح ثعلب ، حققه : د. أنور أبو سويلم ، دار عمّار للنشر والتوزيع ، عمّان ، ط1 ، 1988 .
- ديوان الهذليين ، شرحه وأخرجه : أحمد الزين ومحمود أبو الوفا ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1965 .
- ديوان امرئ القيس ، حققه : حنا الفاخوري ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 1989 .
- ديوان بحر العلوم : شاعر الشعب محمد صالح بحر العلوم ، مطبعة دار التضامن ، بغداد ، 1968 .
- ديوان علي الشرقي ، جمع وتحقيق : إبراهيم الوائلي وموسى الكرباسي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط2 ، 1986 .
- ذكرياتي : محمد مهدي الجواهري ، دار الرافدين ، دمشق ، ط1 ، 1988.
- الشاعر والحاكم والمدينة : جبرا إبراهيم جبرا ، دراسات نقدية أعدها فريق من الكتاب العراقيين ، مطبعة النعمان ، النجف ، 1969 .
- الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء : لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، حققه وضبط نصه : د. مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط2 ، 1985 .

- شرح ديوان الحماسة لأبي تمام : الخطيب التبريزي – وضع فهارسه العامة أحمد شمس الدين ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 2000 .
- الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر : إبراهيم الوائلي ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ط2 ، 1978 .
- الشعر العراقي الحديث – مرحلة وتطور : د. جلال الخياط ، دار صادر ، بيروت ، 1970 .
- الشعر العراقي الحديث والتيارات السياسية والاجتماعية : د. يوسف عز الدين ، مكتبة الدراسات الأدبية (72) ، دار المعارف ، مصر ، (د.ت).
- الشعر العراقي أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر : د. يوسف عز الدين ، مكتبة الدراسات الأدبية (73) ، دار المعارف ، مصر ، (د.ت).
- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب : د. جابر عصفور ، المركز الثقافي العربي ، ط3 ، 1992 .
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ابن رشيق القيرواني – حققه وعلّق حواشيه : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة حجازي ، القاهرة ، ط1 ، 1934 .
- الفروق في اللغة : لأبي هلال العسكري ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط2 ، 1977 .
- فن الهجاء وتطوره عند العرب : إيليا الحاوي ، دار الثقافة ، بيروت ، (د.ت) .
- كافوريات المتنبي – دراسة تاريخية وفنية : د. علي كاظم أسد ، دار الضياء للطباعة ، النجف ، 2001 .
- لسان العرب : للإمام العلامة ابن منظور ، اعتنى بتصحيحه : أمين عبد الوهاب و محمد الصادق العبيدي ، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، ط3 ، (د.ت)
- لغة الشعر الحديث في العراق : د. عدنان حسين العوادي ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، سلسلة دراسات (375) ، 1985 .
- لغة الشعر العراقي المعاصر : د. عمران خضير الكبيسي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط1 ، 1982 .
- لغة الشعر عند الجواهري : د. إبراهيم السامرائي – دراسات نقدية ، أعدها فريق من الكتاب العراقيين ، النجف ، 1969 .
- لغة الشعر عند الجواهري : د. علي ناصر غالب ، دار الحامد للنشر والتوزيع ، عمّان ، ط1، 2009 .
- مجمع الأضداد : د. سليمان جبران ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط1 ، 2003 .
- مجمع الأمثال : أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت ، (د.ت) .
- معاني الأبنية العربية : د. فاضل صالح السامرائي ، كلية الآداب - جامعة الكويت ، ط1 ، 1981 .

- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة : د. سعيد علوش ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط1 ، 1985 .
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : د. أحمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، 1986 .
- من الغربة إلى وعي الغربة : فوزي كريم ، دراسات نقدية أعدها فريق من الكتاب العراقيين ، مطبعة النعمان ، النجف ، 1969 .
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء : حازم القرطاجني ، تحقيق : محمد الحبيب ابن الخوجة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د.ت) .
- مواقف في الأدب والنقد : د. عبد الجبار المطلبي ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، 1980 .
- الهجاء الجاهلي صوره وأساليبه الفنية : د. عباس بيومي عجلان ، الناشر مؤسسة شباب الجامعة ، الأسكندرية ، مصر ، 1985 .
- الهجاء والهجاءون في الجاهلية : د. محمد محمد حسين ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ط3 ، 1970 .
- الهجاء والهجاءون في صدر الإسلام : د. محمد محمد حسين ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ط2 ، 1969 .

الرسائل الجامعية :

- النقد الاجتماعي الساخر في الشعر العراقي : ابتسام عبد الستار محمد ، رسالة دكتوراه ، جامعة بغداد – كلية الآداب ، 1989 .

البحوث والمقالات :

- تحولات الخطاب بين مقتضيات الدافع وواقع التجربة في الشعر المعاصر : د. علي كاظم أسد ، (بحث غير منشور) .
- مقصورة الجواهري – قراءة في آفاق البناء : د. علي كاظم أسد ، من أعمال مؤتمر الجواهري في كلية الآداب – جامعة الكوفة ، نيسان ، 2011 .
- ولا مناص من السؤال : د. علي كاظم أسد ، (مقال غير منشور) .

الدوريات :

- مجلة أقلام ، بحث (الصورة في القصيدة العربية الحديثة) د. عناد غزوان ، العدد 11-12 ، كانون الأول 1987 ، السنة الثانية والعشرون.

- مجلة الأديب العراقي ، مقال (المفردة تجربة حياة) محمد مهدي الجواهري العدد الأول ، شباط 1961 ، السنة الأولى .
- مجلة الموقف الأدبي ، بحث (الخطاب التهكمي عند الجواهري) ، د. قيس الجنابي ، العدد (399) ، تموز 2004 ، السنة الرابعة والثلاثون .
- مجلة فيض الكوثر ، لقاء مع الأستاذ الدكتور محمد حسين الأعرجي ، العدد (125) ، شباط 2010 ، السنة الحادية عشرة .

المقابلات العلمية الخاصة :

- عدة مقابلات أجريتها مع الدكتور محمد حسين الأعرجي (رحمه الله) .
- عدة مقابلات مع الأستاذ الدكتور علي كاظم أسد المشرف على الدراسة.

Al-Jawahohis Expressions of Satire

By A'dil Najih Abbaas al-Buseisi

This paper attempts to show al-jawahiris ability to select his vocabulary and to use them in accordance with the poetic

traditions. He was so much concerned with his poetic diction that he was distinguished from his contemporaries and those who follow them. Although he was closely connected to the heritage and its genres of poetry and prose that highly enriched his language, he was not subjected to the old and glorifying it but in the way by which this old heritage looked like a basis for authentically diagnosing reality in a contemporary sense within a wide and accurate understanding of the circumstance.

Al-Jawahirh's poetry reader, even in the long satirical poems, does not feel that poetry to be weak, common, or downfallen in almost all aspects of use; al-Jawahirh tends to be keen in selecting his vocabulary and so able of conjugating that vocabulary, deriving them, and using them best that he mostly use them out of their familiar senses.

The present paper deals with two points. The first the way al-Jawahiri retains his satirical vocabulary in the expected familiar sense and the way he intended these vocabulary to mean in addition to their meanings. The second is concerned with the poet's style of exploiting these satirical vocabulary in the construction of the satirical text.



University of Kufa
College of Arts
Department of Arabic Language

A Thesis Submitted to
The Council of the college of Art / University of Kufa

By:
Adil Najeh AL-bosisi

In partial Fulfillments of the Requirements for the Master Degree in the Arabic Language and Its Literature

Supervised by
Assistant Professor Dr. Ali Kabom Asad

1432 2011